

المجلة

فبراير

١٩٣٣

الجزء العاشر

موضوعات لهذا الجزء

- | | |
|---------------------------------|---------------------------|
| آراء في الشعر والشعراء | للدكتور طه حسين |
| » » » » | للاستاذ السكندري |
| » » » » | لخليل بك مطران |
| الفلسفة الإسلامية | للاستاذ مصطفى عبد الرازق |
| أسرار النفس وعلاقتها بالنفس | للاستاذ محمد فريد وجدي |
| التربية في الأسرة | للاستاذ أحمد المعروسي بك |
| هل التاريخ علم ؟ | للدكتور عبد الرحمن شهنند |
| مارسباتات مصر في العصر الإسلامي | للدكتور أحمد عيسى بك |
| ماذا ينبغي أن يقرأ طفلك ؟ | للاستاذ زينب الحكيم |
| ملكه الأخيرة في أيامها الأخيرة | للاستاذ يوسف بك غنيمه |
| اتحاد شعراء جوتنجن | للدكتور علي مظهر |
| من رومة إلى مسكة | للاستاذ السيدة خير النساء |
| المستشرقون وضررهم على الإسلام | للدكتور حسين الهراوي |
| البول السكري وعلاجه | للدكتور محمود فريد |
| حلم وانقضى (قصة مصرية) | للاستاذ محمد بك تيمور |
| في كتاب ابن الرومي | للاستاذ مصطفى حواد |

المعرفة

مجلة - شهرية - جامعة

تصدر عشر مرات في السنة

وتعوض مشتركها عن الشهرين الباقيين بكتابين

صاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز السيد

في مصر والسودان ٥٠ قرناً

في خارج القطر ٧٥ قرناً

أو ١٥ شللاً تجليزياً

أو ١٠٠ فرنك فرنساوى

الاشتراك السنوى

« مخصم للطلبة والمدرسين ٢٠ في المائة »

« اشتراك نصف السنة بنصف القيمة »

« وكل طلب اشتراك غير مصحوب بالقيمة لا يلتفت اليه »

الاعلانات

مركز الادارة

المطبوعات

تكون باسم الادارة | شارع عبد العزيز رقم ٤ بالقاهرة | تخار بشأنها الادارة

Al-Maarefa
AN ARABIC MONTHLY
REVIEW

4, Abd-el-Aziz Street, CAIRO



الأميرة الانجليزية السيدة خير النساء
انرا موضوعها المنشور في هذا الجزء
«من رومة إلى مكة»

آراء في الشعر والشعراء



الأستاذ خليل بك مطران



الأستاذ أحمد الأكندري



الأستاذ الدكتور طه حسين

[لمناسبة آرائهم المنشورة في هذا الجزء]



الآنسة زيب الحكيم
لمناسبة موضوعها
« ماذا ينبغي أن يقرأ طفلك ؟ »



الدكتور محمود فريد
لمناسبة موضوعه عن
« البول السكري »



الدكتور على مظهر
لمناسبة موضوعه عن
« اتحاد شعراء جونتجن »

محاضرات العمروسي بك

أو

دائرة معارف التربية والتعليم

لكبير المربين

الدكتور احمد فهمي العمروسي بك

يسر « المعرفة » أن تعلن حضرات قراءها أنها وفقت إلى جمع محاضرات العالم الكبير ، والمربي المعروف ، الأستاذ أحمد فهمي العمروسي بك ، الذي خدم التربية والتعليم قراية ، عاماً ، كان فيها المثل الأعلى للمربي ، الذي يطبق العلم على العمل ، ويكرس حياته في خدمة التربية والتعليم .

وبحسب « العمروسي بك » غراً ، أن يكون من تلاميذه كثير من أولئك الأعلام البارزين في وزارات المعارف والحقانية والخارجية والمالية والمواصلات .

وقد رجونا الأستاذ الكبير أن يسمح لنا بطبع محاضراته ، فتفضل بتحقيق رجائنا ، وقدم لنا جميع بحوثه وكل ما ينفعنا من هذه المحاضرات القيمة ، التي أخذنا في طلبها ، لنقدمها إلى حضرات المشتركين الكرام ، (الذين سددوا قيمة الاشتراك) ملحقاً للمعرفة عوضاً عن شهرى مارس وأبريل سنة ١٩٣٣ .

وسبهر لقرء الملحق في ٤٠٠ صفحة تقريباً من مجلد « المعرفة »

ومن موضوعاته :

التربية والتعليم عند العرب والافرنج
التربية في انجلترا
التربية في فرنسا
التربية في أمريكا
التربية في الأسرة والمدرسة
التربية الخلقية والبدنية
العقل وكيف يتكون ؟
علاقة العلم بالأخلاق
هربارت الفيلسوف الألماني
فن الأعمال اليدوية وعلاقته بالتربية
غرض التربية والتعليم في القرن العشرين
الجمال وأثره في التربية والتعليم
الرسم والتصوير — الموسيقى — الطرق العملية لتربية الذوق — الفنون
الجميلة عند العرب .
المعاهد والجمعيات العلمية الحرة
أهم حادث أثر في مجرى حياتي
تاريخ ادريس الأكبر وابنه ادريس مؤسس مدينة فاس
رحلة في بلاد المغرب . رحلة في فلسطين . رحلة في سوريا . رحلة في
جزيرة رودس .

والكتاب فوق ما احتوى من موضوعات قيمة، فإن به صوراً فنية مطبوعة
بالألوان على ورق مصقول . وتشجيعاً لاقتنائه ، قررنا تجليده تحليداً حسناً .
فبادر بتسديد اشتراكك لتصلك هذه الهدية الثمينة ، التي اتفردت بها «المعرفة»

من الكتاب لغير المشتركين

٤٠ قرناً مصرياً

[بخلاف أجرة البريد]

المعرفة

الجزء العاشر
السنة الثانية

فبراير سنة ١٩٣٣
شوال سنة ١٣٥١

مجلة — شهرية — جامعة

لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الإسماعيلي

الربع

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

المجلد

خاتمة السنة الثانية

بهذا الجزء العاشر من السنة الثانية ، أو العدد الثاني والعشرين من حياة « المعرفة » ، نختم السنة الثانية ، مغتربين أشد الاغتياب بما أتيج لنا أن نساهم به في خدمة الثقافة العربية الشرقية الصحيحة ، خدمة أقل ما توصف به ، أنها كانت في منأى عن الدجل والتهويش ، بميدة عن كل قصد مادي ، منزهة عن كل مأرب تجاري .

وإذا كنا قد تحملنا كثيراً من الحسائر المادية ، فإن هذه لم تكن لتتبط من عزائنا يوماً ما . علماً منا بأن ذلك نصيب كل عمل يقوم لوجه الحق ، وبأننا أنشأنا « المعرفة » لخدمة الفكرة تحسب ، ففكرة الثقافة العربية ، وربط البلاد الشرقية بعضها ببعض أولاً ، ومن ثم ربط الشرق بالغرب ثانياً ، وذلك بالعمل على نشر معارف الأول في الثاني ، واستخلاص النافع لنا من علوم الغرب ، واستصفاء ما يصلح لنا من مدينته لنقوم به ببيان مدينتنا .

لم نكن إذن — علم الله — ننتظر ربحاً ولا مغنماً يمت إلى المادة بسبب ؛ ولهذا صبرنا وصابرنا وثابرنا في سبيل نشر أفكارنا ، وبث المذاهب الفلسفية الصوفية الروحية العالية ، التي لا يدخلها الزيف أو يلبسها الزيف ، حتى حق لنا النصر ، ورأينا « المعرفة » تنمو في

جميع بقاع العالم من شرفيه إلى غريبه ، بل تقتحم أرجاء الشرق السحيقة البعد ، وتحتل من النفوس مكافة سامية ، ومن بعض الجامعات العلمية متزلة رفيعة ، ومن مؤتمرات المسلمين والمستشرقين جابجا عظيما ، عز على غيرها الوصول إليه في عشرات السنين .

وإذا كان القراء قد تعودوا منا أن نصدر « المعرفة » اثنتي عشرة مرة في السنة — وهو ما فعلناه في السنة الأولى — ، ولم يروا ذلك متبعاً في هذا العام ؛ فرجع هذا إلى ما رأيناه من فرصة سانحة لخدمة قرائنا ، بل لخدمة الشرق والعربية ، من طريق التربية والتعليم ؛ وإيقاف أبناء الشرق عامة ، والعرب خاصة ، على ما كان لأجدادهم من فضل في نشوء مذاهب التربية والتعليم ؛ وهما أشد ما يتصل بنهضتنا الحديثة ، التي تأثرنا فيها الغرب دون الشرق . وهذه الفرصة التي سنحت لنا ، أتيحت على أثر ما وقفنا عليه لدى العالم القذو كبير المربين ، الأستاذ أحمد فهمي العمروسي بك ، من جمهرة البحوث والمحاضرات القيمة ، التي تناول فيها مذاهب عدة ، ونواحى مختلفة في التربية والتعليم والفنون الجميلة الخ ، مما تراه موضحاً في غير هذا المكان ؛ منها ما نشر ، ومنها ما لم ينشر بعد ، فاستأذنا « العمروسي بك » في جمعها وطبعها وتقديمها إلى قراء « المعرفة » كهدية خاصة للسنة المقبلة ، فتنفصل مشكوراً ، مؤثراً « المعرفة » على غيرها بهذا السكتر الثمين ، مختصاً إياها بنشره وطبعه .

فلما أن بدأنا العمل وجدنا أن الكتاب سيقع في ٤٠٠ أربعمائة صفحة من حجم « المعرفة » تقريباً ، قرأنا أن تسح له من وقتنا بعض الشيء ، لاظهاره في ثوب يسر قراء « المعرفة » ، ثم تبين لنا بعد ذلك أن هذا العمل يستغرق شهراً ونصف شهر ، فأثرنا جعله ملحقاتاً « للمعرفة » يعرض قراءها عن جزأى مارس وإبريل من سنة ١٩٣٣ ، وهما ختام السنة الثانية في النظام القديم . وإذا كنا سننضحى من وقتنا قرابة شهرين ، فضلاً عما سنكلفه من نفقات كثيرة في سبيل طبع الكتاب وإخراجه في صورة فنية ، وهي نفقات تكفى — على أقل تقدير — لضعف نفقات عديدين من « المعرفة » ، فنحن نقبل هذه التضحية الجديدة بصدر رحب ، مضيفيها إلى سابق ما ضحينا به في سبيل المبدأ الذي أخذنا أنفسنا به . ولستطيع — في الوقت ذاته — أن تقتنص بعض الوقت للقيام بتحقيق ما اعترمناه من تحسينات جديدة ، سندخلها على « المعرفة » في سنتها الثالثة إن شاء الله ؛ وأهمها القيام بأبحاث مبتكرة ، ورحلات قصيرة ، واستجاء قوى مدخرة لاستحداث عناصر جديدة في العمل ، سواء أكان منها ما يتصل بالآلات الطباعة ومعدات الإدارة ، أم بإخراج بعض المؤلفات ، وأقاني التحرير والتجديد والتنويع والتلدين ، إن في العلوم والآداب ، وإن في الفلسفة والفنون من مستحداثات العصر الحديث ؛ وبما لانشك في أن نصيب القراء منه سيكون أكثر مما كان في الماضي باذن الله .

ونحن ننتهز هذه الفرصة لنسجل على أنفسنا عاطر الثناء وجزيل الشكر لحضرة صاحب
الغزة أستاذنا الأبر « العمروسي بك » على هذه الهدية الثمينة .

صراحة لا بد منها

ولعل من الخير أن نصارح حضرات قرائنا بشيء مما صادفنا من العقبات ، التي كادت تذهب
بحياة « المعرفة » ، لولا يقين وإيمان بالله جازمان ، ووثوق وإطمئنان إلى ما ندعو إليه . نذكر
شيئاً من هذا تاركين ذكر عقبات أخرى وضعها في طريق « المعرفة » قهر من الناس لقتلها
وهي جنين لم يولد ، وعرقلتها وهي طفلة لم تحب ، لكن الله أبى إلا خذلانهم وإزهاق باطلهم
ولفزة الحق الذي تدعو « المعرفة » إليه ، وتأخذ نفسها بسبيل الدفاع عنه .

وهذا الذي سنصارح القراء الكرام ببعض منه ، قد لا يقل عما تقدمه أهمية ، وقد
لا يعرفه أكثر الناس ، بينما هو يؤثر في عمل الصحفي المصري التريه أشد تأثير .

وآية ذلك أن « الصحافة المصرية » تعاني أكثر مما تعانيه صحف العالم أجمع ، من أعباء
جسام ، ومن أثقال وأوصاب ، ومن متاعب وآلام ، أقل ما توصف به ، أنها تقيد
« الصحفي التريه » بقيود ثقيلة ، وتهد من عزيمته هداً ، بل فيها ما يقوض صرح الآمال ،
ويدعو « الصحفي المصري العف التريه » إلى الفرار من ميدان القلم الملوث ، ونشدان الهرب
من حلبة الملوك والرياء والنفاق ، التي يكون نصيبه منها دائماً نصيب الجواد الخاسر ، والتي كثيراً
ما خلقت له الاعسار والقلق والحيرة والضيق .



إن الصحفي التريه القلم ، العف اللسان ، الحى الضمير ، الطاهر اليد والذمة ، لتتجسر نفسه
وتفتت كبده ، من رؤية بعض هذه الجموع المتاجرة تتراكم حوله ، متألبة عليه ، جاحدة ناكرة ، مذبذبة
منافقة ، متسولة مستجدية ، تفرر بالشعب ، وتهزأ بمقول أبنائه ، وتلعب بقلوب رجاله أجمعين .
وإذا كان هذا الذي يعانيه « الصحفي التريه » يصور لك حقيقة مهنته تصويراً دقيقاً
لعم منه حافل القوادح التي تجثم على كنفه ، فلا والله إننى لا أريد من وراء هذا التصوير المؤلم
أن أغضب أحداً ، أو أحمل العبء كاهل إنسان ، وإنما أريد أن أقص عليك أيها القارئ الكريم
نصول رواية هي المأساة العنيفة ، بل هي « الدراما » التي تجدد كل يوم على المسرح ، حتى تضع
يدك على موضع النار التي تأكل طائفة من مواطنيك الذين احترقوا صناعة القلم .

في الصحافة المصرية الشريفة التريه — التي لا يستجدي أصحابها الاشتراكات ، ولا يتملقون
أعيان ولا وزراء ولا يرعون كبيراً أو صغيراً — جنوح إلى توجيه الأذهان المصرية توجيهاً علمياً

قومياً شريفاً يشغلها عن كل ختل دجيل ، أو رياء مستتر ، وفيها نزوع إلى تنوير العقول تنويراً يسمو بها على الدجل والحدس والتخمين .

والصحفى النزيه حين يتوجه إلى أبناء أمته بما تضرره نفسه من أحاسيس ، وما يحتشده دهنه من خواطر ، وما يفيض به وجدانه من أسباب الإصلاح ، إنما يشمر من سويده أنه يخاطب جمهوراً يفهمه ، وأمة تحمل من متباين الآمال والآلام مثل ما يحمل . فهو إذن يرس صوته إلى أعماق القلوب ، لأنه صوت صادر عن قلبه ، لا تعمل ولا تكلف فيه .

والصحيفة المصرية الشريفة أيضاً . حين تشق طريقها إلى الوجود ، إنما ترى لزماً عليها أن تكون لساناً صادق التعبير عن حوائج الشعب . صادق الأداء لما يريد . ويدعو إليه . ويحث أن يكون عليه ، فهي إذن لا تهتف بالرخ كفاء مانهتف بالإصلاح . وهي إذن لا تدعو إلى حديعة ، ولا تجرى وراء مغم . وإنما تدعو إلى الخير والإصلاح . في وضع النهار . وفي ظل مائدة على إداغته من مبدأ غير متلبدة ، ولا متذبذبة ، ولا حائرة . ولا متأرجحة بين كفى المير . هذا هو الصحفى المصرى الشريف الزيه . وتلك هي الصحيفة لمصرية الشريفة الزيه .

فهل بلغ كلامها حياة الهدوء ، وهل صاب من حياته ما يمتعى ؟
إن الصحفى الزيه يعيش في جو من الفاقة ، كما يعيش في جو من الأحلام والآلام . لا يعرف هذا القدر القدر التسول والاستهداء . أو المدح والهجاء — حتى يستطيع احتواء . وحتى يخرج به آراء بحارته لا تحدى ولا تميد . وإنما تهتم الأخلاق وتبديد .

وإن الصحيفة المصرية الشريفة لتعيش في جو من الفاقة . وفي جو حر من حقيق . لأن لا يستطيع أن تكون مسرحاً يقف على حشبه كل سفاف ، ويلابس التمثيل عليه كل مهرج .
فهل خلق الصحفى المصرى الزيه ليكون تاعساً ؟ وهل خلقت الصحيفة المصرية الزيه لتكون من سقط المتاع . . . ؟

نواقع أن الصحفى المصرى يملك لنفسه حصائص فما يستقيمها صحفى في لوجود . فهو في كثير أمره . ديب يحيد دراسة الأدب ، ويحذف صناعة الكتابة . وهو . في دبه عند ذلك يدرك همه السيم . ومضة الطيف ، ويستخرج منهما — لو أراد — عاصفه قوه ، وصده ، ماهر الاشعاع . وهو . مع ذلك . يحدث يستطيع أن يحمل الأبنك على مرأولة الكلام . وهو بعدئذ . مبن على إذاعة أمته في الوضع الذى لا يظورها أمام الشعوب . وكأنها جمعات من كلى الأحذية والزجاج والناعيين . . . !

فما هو سر إحقاقه ؟ وما هو سر يؤسه ؟
كبير اليقين عندى أن إحقاقه يعود إلى عقيدته الزيهة إلى وحت إليه أن يكون مصرى صلباً .

في مصريته . وإن يكون داعية من دعاة الإصلاح . وأن يكون رجلاً روحانياً لا يفتنى بمتاع الدنيا قدر ما يفتنى بتوفير السمادة لأمته ، وتأدية رسالته في صدق وإخلاص . وهذه العقيدة . أو قل هذه المفاهيم المجتمعة . فما يفتنى باعتناقها أولئك الذين اندسوا في صحافة — سواء كانوا مصريين أم غير مصريين — ليؤلفوا من بينهم عصابة من حملة الأقلام . نوحى إلى الشعب المصري أبشع ما نوحى به النفس الشريرة من سواها .

وهذه العصابة المفترضة ماذا جنت منها مصر ؟ اللهم إنها لم تجن منها غير الشر والوبال ؛ فشب شر هائل منبت به عقول المصريين من هذا الطعام العاسد . الذي يقدمه إليهم طهارة لا يسميها . كانت عاقبة الطعام تمزيقاً لهذه الهياكل . أم كانت طاقبته سحقاً لما فيها من حلقات خفية . ونمت وبال هائل تحقق للمصريين من أولئك الأدعياء الذين يسابرون الريح حينما تنحدر وتسير . ولكن : هل آمن المصريون بأن هذا الشر سيقضى عليهم . وأن هذا الوبال سيدفع بهم إلى مواطن الهلاك ؟

يبدون أن سواد الشعب قد آمن بهذه الحقيقة المرة . فأعرض بعض الاعراض عن كل تحججه من هذا النوع . ولكن خاصة الشعب . وإن آمنت مع السواد بهذه الحقيقة : إلا أنه لم يعمل حتى اليوم في دمه تهذيباً عملاً حاسماً .

وآية ذلك أنك ترى صحفاً تعطيل بين الخير والخير . وهي لا تعطل بأمر تصدره الحكومة . كما كان متبعاً من قبل — حسب . وإنما تعطيل بأيدي شباه معطاء . وشباه العلماء . ودعياء لأدب وتعليم . لأن صحيفة المصرية العربية تربأ بنفسها عن أن تكون مسرحاً للتهمير طولا . به قد يحاربونها ولا يتورعون عن احتلاسها . وكل حقوقها . والاحتيال عليها بقراءتها دون غش . والخلاصة أنهم يأبون إلا الحصول عليها لقمة سائفة !

وبد كان تعطيل الصحيفة يبيء لصاحبها ومن يعمل فيها . وفي عشرات من الصحف لأدب كبيرة — سيلاً في لعاقبة والمور والضيق . فإن هناك صحفاً أخرى ليست معطلة ، ولكنهم تعطل في حصص من نقادها . لأنها تبعت بأعدادها تبعاً إلى من اشرك فيها من شباه مصر . حتى إذا مضى الحول . ورسلت وراءهم رسلاً ليجمعوا منهم قيمة الاشتراك . كان من شأنهم أن يعبسوا في وجود الرسل . وأن يشكروا حتى صلبت اشتراكهم الممصة من حصصهم : بل يشكروا وصول الأعداد إليهم . ولو شهدت دور البريد لعكس ما يقولون . تذكروا : إنكاراً صريحاً على هذه الصحيفة تناول حقها . وإن يكن هذا الحق في مجموعها لا يفتنى بآفته الكليات التي يستغنيها أقلهم شأن في يوم واحد !

ليس هذا تمضيلاً آخر لرسالة الصحف المصرية العربية : وعملاً شنيعاً لأحياء الصحف المستهزئة . . . ؟

إن الصحفي المصري العربي لا يستغني لنفسه عن يسائر الصحف الأخرى في عملها حيال من يسكر عليها حقها . أو يدعو إلى ابتلاعها . فلا يرضى أن يذيع أسماء أولئك الذين يأكلون

الحق بالباطل . وهو لا يتعقبهم بقلعه ليهتك هذه العثرات الدنيئة . . . ولكنه في كل هذه العواطف الذليلة لا يرى إلا الاعسار .

ونمة ناحية أخرى تلقى على هذا الظلام قبساً من النور التي يحترق الصحفي العربي بجذواته المتقدة . . . ذلك أن الحكومة تمصده صحفاً معينه . منها الطيب ومنها الخبيث . باشتراك سعيه ترجى إليها كل عام . أو باعلانات قصائية كل دورة . وهذه الاشتراكات أو هاتيك الاعلانات كفيلة وحدها بتغذية الصحفية تغذية مادية طوال الحول كله . . .

أما الصحفية الزهية التي لا تتون بأى لون حكوى ، فمن حقها أن تصيب النكوص حين تنحى إلى الحكومة ، بما لها من حق . لتسألها أن تمدّها بأشياء هذه الاشتراكات . ولعمري إن « الصحفي المصري العربي » الذي ياشد حكومة العون . إنما يريد أن يبلغ بهذا العون شأن الكمال في عمله . أما الصحفي المتسول فانه حين يتحمل من حكومتها هذا العون السخي . إنما يدخره ليكون آخر الأمر من رجال المال . أو يصبح من ذوي اليسار والمرتب الذي يكفى له العيش في رفاهة وهناء . ولتذهب الثقافة بألوانها مع الريح .!

والآن . فلندع ذلك كله . فليس من طبيعتنا - علم الله - المطر إلى مثل هاتيك توفه . وإننا ذكرنا ما ذكر . في هذه الكلمة المرة النائرة . التي أملاها على القلم تأثر لنحق أن يلحقه باطل . وحرص على كرامة العلم أن يصيبها هوان . ليمتط من يمتط . ويعتبر من يعتبر . وبعد : فانا نعتذر إلى حضرات القراء الكرام . عما أسفلنا به من شأن قد يروه شامخاً نحن . وهو في الحق شامساً وشأنهم . إذ ليست « المعرفة » ملكاً لشخص معين

ونحنم كمتنا هذه بتقديم شكرنا الجريئ إلى حضرات الدين خلصوا « المعرفة » . ولبيب منهم كل عون . سواء كانوا من المشتركين الذين «دوا» إليها حقوقها . أم من الأساندة لكتاب والأدباء والشعراء وقادة الرأي والفكر . الذين ساهموا معنا بأوفر نصيب . وقامت « المعرفة » على بحوثهم القيمة ورسالاتهم الرائعة .

وحيراً أنا في سبيل الفكرة والمبدأ «نشأنا» «المعرفة» . وفي سبيل الفكرة والمبدأ صحبة مصحرينا . وفي سبيل الفكرة والمبدأ نصحي وسنصحي حتى آخر رمق من حياتنا . مادامنا لعين ، ندعو إليه من حق ويقين . وسنظل في المستقبل . كما نحن الآن . ندب في حزم وعزم . وفي قوة وقوة . وفي همه وشباب . لا نعرف الكلال ولا الملل . حتى يتحقق مثلنا الأعلى . أو نشده آخر رمق من حياتنا وأرواحنا فرحنا على مذهب الحق المقدس . فأما إلى الصدر وإما إلى القبر وسنظل شعارنا دائماً : « اعرف نفسك بنفسك »

« ما حياة تبعت الميت في البلى ونلت في تلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعده ممات لعمري لم يقس بجمات
وإلى اللقاء القريب إن شاء الله ...

الفلسفة الإسلامية*

بقلم الأستاذ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب

من المستشرقين من يريدون بالفلسفة لاسلامية الرعات اليونانية في التفكير الاسلامى .
وعهدون لدرس هذه الفلسفة باستنباط خصائص تفصل بين لمزاج العقلى السامى والمزاج العقلى
الآرى ...

فيقول (ريسان) مثلاً . في كتابه عن ابن رشد ومذهبه : « إن خواص النفس السامية
تتجلى في انسياق فطرتها إلى التوحيد من جهة الدين ، وإلى البساطة في اللغة والصناعة والفن
ولمديية : أما النفس الآرية فيميزها ميل فطرى إلى التعدد وانسجام التأليف »
ويقول مؤلف حديث اسمه (مسيو لاني 1.111) في كتاب له عنوانه « المدييات التونسية » :
« إن النفس السامية تختلف في شعبها العظيمين : اليهود والعرب . فالنفس اليهودية منساقة
نفسها إلى المستقبل . والنفس العربية منساقة بفطرتها إلى الماضي . فهي متمافرتان . والنفس
الأوربية تختلف عنهما معاً »

ولا يرضى هذا التفرع ولا ذلك (مسيو حوتى Gauthier) أستاذ تاريخ الفلسفة
لاسلامية في جامعة الجزائر . فهو يريد أن يميز بين الجنس السامى والجنس الآرى بخصائص
أخرى ، فيقول في كتابه « المدخل إلى درس الفلسفة الإسلامية »

" Introduction à l'étude de la philosophie Musulmane "

« في كل مظاهر النشاط الانسانى من أديانها كمسائل الطعام واللباس ، إلى أغلاها كالعلم
سياسية والاجتماعية . تتجلى في الجنس الآرى من ناحية والجنس السامى معتبراً في أحلص
نوايه — أى النوع العربى — رعات أساسية متقابلة . العقل السامى يجمع بين الأشياء متناسبة
وغير متناسبة مع تركها منفصلة من غير رباط يصلها . متقللاً بينها ثوبية مباغثة من غير تدرج .
أما العقل الآرى فعلى عكس ذلك يؤلف بين الأشياء بوسائط متدرجة لا يتحصى واحد إلى غيره
لا على سلم متداني الدرج ، لا يكاد يحس تنقله » .

ومتى تم لهذا التريق من المستشرقين وضع الحدود الفاصلة في نظرهم بين العقل السامى والعقل

* هذا البحث جديد . سأل هو دة درس الفلسفة الإسلامية التي ألقاها الأستاذ "سكبير السيد مصطفى
سعد . روى . في طية الآداب بالمعزة المصرية .

الآرى حتى لا تتلاقى منازعهما ، ذهبوا يبينون أن الاسلام دين قوى فى ساميته جداً ، فلا يمكن تصور نظام دينى أشد منه معارضة لفلسفة اليونان القوية فى آريتها جداً . وكان أول واجب على الفلاسفة المسلمين أن يوفقوا بين هذين التيارين المتقابلين ، بحكم أنهم مسلمون متمسكون بدينهم ، وبحكم أنهم فلاسفة همهم أن ينشروا مذاهب الفلسفة اليونانية .

ويقول مسيو جوتى : « إن الفلسفة الاسلاميين لم يأتوا جهداً فى القيام بواجبهم من هذه الناحية ، وقد أبدوا فى ممارستها — على ما فيه من دقة وعناء — حصالة منطقية الضمير من مهارة وتقاذ وبعد نظر . ورأيهم فى ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال هو السائد على نظائرها الفلسفية ، وهو معقد الطرافة فى هذه الفلسفة اليهودية الاسلامية » .

وبين الأستاذ بعد ذلك أن الفلسفة اليونانية هى التى سافت فلاسفة الاسلام إلى هذا الاتجاه . وهى كانت مستمد عناصره ، وذلك بأن فكرة التوفيق بين الفلسفة والدين هى فكرة مزج واتصال . وليس غير التعمير الآرى محاولة الاتصال بوسائط متدرجة فى سلسلة متتابعة بين ضدين . هما : الاسلام دين الفصل . وفلسفة الوصل اليونانية .

ووراء هذه الطائفة من المستشرقين طائفة أخرى تقرر أن المراد بالفلسفة لاسلامية رعة اليونانية فى الحكمة الاسلامية . مع اعتبار ما بذله مفكرو الاسلام من جهود عنيه مبنية على ما كان معروف فى عصوره من معانى البحث العلمى لتحصيل صورة عميقة عامة للكون . ووجهود بدلت على الأقل لبحث مسائل متصلة بتصور شامل للعالم . وهى بهذا الاعتبار ينبغي أن تعتبر من الفلسفة .

هذا قول الأستاذ (هرتن) محرر الفصل الخاص بكلمة « فلسفة » فى دائرة المعارف الاسلامية " Hoertn Insyclopedie De Islam " .

وبعد أن قرر أن هذا التعريف ينطبق على علم الكلام ، Theologie speculatie ، بين أن تقدير قيمة الفلسفة الاسلامية يتوقف على تعرف ما فى منهاج فلسفة أرسطو طاليس من قصص كلمته تلك الفلسفة الاسلامية . ثم بين أن من مميزات هذه الفلسفة أن رجالها مؤمنون إيماناً راسخاً بأن الاسلام هو أكمل ما نزل به الوحي السماوى . فالنبي تنكشف له حجب الغيب عن حقائق ربانية لا يصل إليها العقل ثم يبلغها للناس . أما الفيلسوف فينتهى بعقله الضعيف إلى بعض تلك الحقائق من غير حيدة عن تمام الانسجام مع ما جاء به القرآن . ففلاسفة الاسلام كأنما هم السنة حجاج عن الدين .

ونأتى بعد ذلك لمذاهب مؤلفى العرب فى معنى الفلسفة الاسلامية . فنجد فيهم أمثال

« شهرستاني » الذين يرون : أن فلاسفة الاسلام قد سلكوا كلهم طريقة أرسطاطاليس
و جميع مذهب إليه وانفرد به ، سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأى أفلاطون والمتقدمين .
أما ابن خلدون فيقول في المقدمة :

« اعلم أن العلوم التي يحوز فيها البشر ويتداولونها في الأُمصار تحصيلًا وتعليمًا ، هي
في صميم : صنف طبيعي للانسان يهتدى إليه بفكره ، وصنف تقني يأخذه عن وضعه .
والأول هي العلوم الحكيمة الفلسفية ، وهي التي يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكره .
ويهتدى مداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء رايها ووجوه تعليمها حتى يقفه
سره وغنه على اصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر . والثاني هي العلوم العقلية
وصية . وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي . ولا مجال فيها لعقل إلا في الحقائق
القروء من مسائلها بالاصول .. »
ويقول ابن خلدون أيضاً :

« وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية للانسان من حيث إنه ذو فكر . فهي غير محتصة
تة . بل يوجه النظر فيها إلى أهل المدن كلهم . ويستوون في مداركها ومباحثها ، وهي موجودة
لجميع الانساني منذ كان عمر من الخديقة . وتسمى هذه العلوم علوم الفلاسفة والحكماء .
ومدائن بين العلوم التي تشتمل عليها ملسمه . وتصدى لتاريخ لهسفه قبل عهد الاسلام .
« في عصر المأمون فذكر العناية باستخراج علوم اليونانيين وترجمتها ثم قل :
« وعكف عليها النظار من أهل الاسلام وحدثوا في فروعها واتهب إلى الغاية ثنارهم
ثم وحالفوا كثيرًا من آراء المحدث الأول واحتصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ، ودونوا
في ذلك اندوا وب . وأربوا على من تقدمهم في هذه العلوم »

وحلاصة رأى ابن خلدون . أن الفلسفة الإسلامية تقوم على آراء فلاسفة اليونان . خصوصاً
رسطاطاليس . مشروحاً غامضها . مصححاً ما فيها من خطأ مكملًا نقصها .

وهذا الرأي غير بعيد من رأى الاستاد هرتن : غير أن ابن خلدون يرى أن هذه الفلسفة
مبعدة عن الاسلام بمد كل فلسفة عن كل دين خصوصاً في قسم الاهليات وهو قسم عظيم من
أقسام الفلسفة :

« لأن مسائل علم الكلام إنما هي عقائد متلقاة من الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع
بها إلى العقل ولا تعويل عليه ، بمعنى أنها لا تثبت الآن . فالعقل معزول عن الشرع وأنظاره
وما نحدث فيه المتكلمون من إقامة الحجج فليس بحثاً عن الحق فيها . فالتعميل بالدليل بمد أن
م يكن معلوماً هو شأن الفلسفة ، بل إنما هو التماس حجة عقلية . تعصد عقائد الايمان ومذاهب

السلف فيها . وتدفع شبه أهل البدع عنها الذين زعموا أن مداركهم فيها عقلية . وذلك بعد أن تفرص صحيحة بالأدلة العقلية كما تلقاها السلف واعتقدوها . وكثير ما بين المقامين : وذهب أن مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الأنظار العقلية . فهي فوق ومحيط بها لاستمدادها من الأنوار الإلهية . فلا تدخل تحت قانون النثر لصعيف والمدارك المحاط بها ...»

ومن أجل اعتد الفلسفة الإسلامية — ككل فلسفة — على العقل وحده . كانت غير شرعية ، وكانت في نظر الشرعيين — كالغزالي — ما بين أبحاث مستغنى عنها لتكفل علوم الدين بمجاهات به . وأبحاث ضارة غير نافعة من الوجه الديني . ولم يسلم من الحرج الذين عند هؤلاء من أقسام الفلسفة إلا الرياضيات .

ولسنا نذكر فصل المستشرقين على الفلسفة الإسلامية . فان أبحاثهم الحافلة بنفون المعروف ودقائق الأنظار . الآخذة بأسباب المباح الحديثة في الدرس . هي من ثم المراجع في دراستنا الناشئة ولا غنى لنا عنها .

لكننا نلاحظ أن حكاية السامية والآرية . التي يفتقر لها بعضهم . وهي شبيهة شكايه اشعوية وما إليها ثما في الناس في عهد لاسلام حينما . لا تعتمد — برغم عرصها في صورة بحث «عالي» — على سناد علمي . وإما هي فروض مضطربة لاتحوي — عندنا عجيص — من عصبة وعوى . وقد ذكر الشهرستاني في كتاب «الملل والنحل» ما كان معروفاً في زمانه من انحراف خاصة بأجناس العالم فقال :

« من الناس من قسم أهل العالم حسب الأقاليم السبعة . وأعطى أهل كل إقليم حقه من اختلاف الضبائع والأقسام التي تدل عليها الألوان والألسن . ومنهم من قسمهم حسب الأقاليم الأربعة . التي هي الشرق والغرب والجنوب والشمال . ووفر على كل قطر حقه من اختلاف الضبائع وتباين الشرائع . ومنهم من قسمهم بحسب الأمم فقال كبار الأمم أربعة . عرب والعجم والروم والهند . ثم راجع بين أمة وأمة . فذكر أن العرب ولهم يتقاررون على مذهب واحد . وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء . والحكم بأحكام الماهيات وحقائق واستعمال الأمور الروحية : والروم والعجم يتقارران على مذهب واحد . وأكثر ميلهم إلى تقرير ضبائع الأشياء والحكم بأحكام الكيفيات والكميات واستعمال الأمور الجسمية »

وبدل ذلك على أن هذا البحث العميق لم ينته بالباحثين إلى اتفاق . ولعله لن يزال متجدد

نظريات حتى يحو الله من نفوس البشر عصبية الأجناس والألوان .
ونلاحظ أيضاً أن وجهة المستشرقين في درس الفلسفة الإسلامية هي وجهة ضيقة، وأنهم
إنما يتعرفون نسبتها إلى الفلسفة اليونانية وأثر هذه الفلسفة فيها . وذلك يجعل البحث عن كيان
الفلسفة الإسلامية والإلمام بأطرافها وتتبع نشأتها وأطوارها في المحل الثاني من عنايتهم .
أما الباحثون في الفلسفة الإسلامية من علماء الإسلام فهمهم أن يعرفوا نسبتها إلى العلوم
الشرعية ليدلوا على موضع التعارض ويردوه . وليس هذا ولا ذلك مرمى بحثنا .
وجهة بحثنا في هذه البحوث هي أن نستخرج بواكر التفكير الفلسفي الذي يعتمد على
مقل وحده في الجماعة الإسلامية منذ نشأة الإسلام . وتتبع تطوره في عهوده المختلفة حين
نفس بعض علوم الدين ، وحين امتاز عنها ، مع اعتبار العوامل التي كان لها أثر في هذه التغيرات .
وإذا خفنا من أن تضيق عبارة الفلسفة الإسلامية بمعناها الاصطلاحي ، عن أن تسع
مد البحث ، فقد يكون من الأخذ بأسباب الوضوح في البيان أن ندعو موضوع دراستنا :
منظر العقى وأطواره في الإسلام .
مصطفى عبد الرازق

جاءه

من والد حزين الى ولد دفين

لعمري ما مرسي شاكر الطنطاوي

[قالها في رثاء ولده محمد برهان شاكر، اُمتوى في سن العشرين]

برهان انتهى كتاب العيد يحمله	صمت أراه على الآلام مستندي
فقد غنيت به عن شرح واقعة	كادت تثور على حلمي ومعتقدى
لولا يقين وإيمان يطالني	يوماً ألاقيك في— غير متدد
فا سمعت فراقاً أنت شارعه	إلا لحكمة ماقررت من جلد
كم ذا أحسك طيفاً في مشاهدني	ولا أمسك ضيقاً حل بين يدي
أودعت قلبي أرضاً كنت تسلكها	وعشت فيها بلا قلب ولا كبد
وما زعت ثياب الموت بالية	إلا ارتديت لباس الغير من جدد
سبحان من شفع البسوى بطائفة	من الخلود تقيم الذكر في خلدي

(م — ٢)

٢- آراء عامة

في الشعر ————— وعبر والشعراء

لناسبة وفاة المرحومين: « حافظ » و « شوقي »

١ - هل أُعبرت موت الشاعرين فراعنا ؟

٢ - ما مدى مستقبل الشعر والشعراء ؟

في العدد الماضي من هذه المجلة ، وضحنا هذا الاستفتاء الذي قمنا به منذ شهرين تقريباً . والغرض منه التعرف إلى آراء كبار الكتاب والشعراء . في هذا الموضوع الذي كان في الأصل يتضمن ثلاثة أسئلة : فاقصر جميع الدين حادثاته على الجواب عن السؤالين الأولين . أما السؤال الثالث وهو : من من شعراء الحاليين أُجدر برعامه الشعر ؟ فلم نعتزله على جواب ؛ وهذا ما توجهنا به إلى القراء لاستفتائهم فيه (انظر ص ١١٧٩) ونحب أن نذكره بآثاره في الجزء الماضي آراء حضرات الأساتذة : إبراهيم عبد القادر المارني . ونبطون الجليل . وعبي الجرم . ومحمد حسين هيكل ، ومحمد المزاوي .

وفي هذا الجزء نشر آراء حضرات الأساتذة : طه حسين ، وحليم مطران . ومحمد الأسكندري .

رأي الأستاذ الأسكندري

الأستاذ الشيخ أحمد الأسكندري ، من دهاقين الأدب العربي . وفي الذروة من أعلامه الممدودين ، وهو نسيج وحده . لأن له في دراساته أسلوباً ومنهجاً فريداً في بوعها ، وهو يجمع ، إلى هذا كله ، دقة البحث ، وحسن الترتيب ، وعميق الاستقراء ، وسلامة الذوق ، وصحة الاستنتاج . ثم هو ، بعد ذلك أيضاً ، من أئمة اللغة الذين يؤخذ برأيهم ، ويحتج بأقوالهم . ويوثق ببحوثهم ، ويكاد يكون أكثر الأساتذة في مصر طلاباً ؛ بل لعلك تدهش ، حين تعلم ، أن أكثر الأساتذة المدرسين — الذين يزامنونه بدار العلوم — من تلاميذه .

لهذا حرصنا على تعرف رأيه الذي تقدمه إليك ملخصاً في ما يلي :

هل أهرت موت الشاعرين فراغاً ؟

فما من موت الشاعرين أحدث فراغاً أو لم يحدث ، فسؤال يكاد يتفق أصحاب الرأي المنزه عن الهوى ، في أنه أحدث فراغاً ليس بالهين ولا باليسير . وأما مدى ذلك الفراغ فقد يكون من سبب التسبؤ به الآن ، وقد لا نستشعره إلا بعد عشر سنوات كاملات .

حتى أنه يحسن بنا لفهم ذلك أن نتساءل أولاً عن مبلغ ما للشعر من منزلة في نفوس أهل هذا العصر ، وعما إذا كان يستطيع أن يحتل مكاناً بين ما يضطرم به هذا العصر من مديات ومعنويات لها مكاتبتها ومنزلتها .

ما أنا فاقول لك إن الشعر في ذاته فن جميل . وكل ما هو فن ، هو في ذاته كمال ، وفي ندور كل إنسان أن يدعه دون أن يحس نقصاً أو فراغاً البتة .

وليس أدل على هذا من أن مصر الحديثة لم تكن في حاجة مطلقاً إلى الشعر ولا إلى الشعراء ، بذلك أن « محمد علي باشا » منفي مصر الحديثة ، لم يكن يرى حاجة إلى الشعر ولا إلى الشعراء ، بل يتمتع بالشعر في توطيد ملكه ، أو يستمد من الشعراء قوة في تدعيم حكمه ، وإنما كان كل من موحى إلى خلق مصر كدولة مستقلة ، لها سيادتها وعظمتها ، فلم يجد بداً في القيام بنهضته القوية الوثابة من التسليح بسلح العلم ، ومن التمسك بعروة الدين . فأرسل البعثات ونظم خبوش وقام الجسور ، وتناول كل مرافق الحياة ، واستعان بكل مستخرجات العلوم الكيميائية وسبعية ، وما عت إلى الأدب بسبب قوى ، ولم تر في تصاعيف ذلك كله أثراً للشعر ولا للشعراء ، بل نصرت باع « محمد علي » عن بلوغ ما كان يحلم به لمصر الحديثة من شأو ؟ أو هل شعرت أنه آثد بأن ثمة ما ينقصها ؟ الحق أن شيئاً من ذلك لم يكن ، والحق أن الشعر لم يكن ذلك ضره . وإنما كان عصره في البداوة لا في عصور التمدن والحضارة .

ثم إن الشعر لم يخلق للعلم مطلقاً ، وليس مما يرتجل لتحقيق القواعد وتضمين الأوضاع ؛ وهو في نفسه خروج على النفس ، وتمرد على العرف ، وهو لا يكون بليغاً إلا حيث يخرج من حد المألوف ، ولذلك يقال : « أبلغ الشعر أكذبه » .

والخلاصة أن مثل الشعر مثل الزخرفة في البيت سواء بسواء ، فأنت تستطيع أن تأوى بيتك سواء أ كان مزخرفاً أم غير مزخرف ، أو هو كالحلية تستطيع المرأة التجرد عنها ، دون أن يقلل هذا من رائع جمالها أو فتنتها عند مجيئ النظر وسليمي الذوق .

والشعر من الضمور أو قل إنه من الأحاسيس أو من العاطفة ، فلا يتقيد بالعقل ولا يشتمل على منطوق المنطق ، ولا هو مما يقبل الحقائق .

مستقبل الشعر والشعراء

«ما المستقبل فلنا أن تأمل فيه الخير كل الخير، وأستطيع أن أصارحك القول بأن لدينا الآن بعض طلاب «دار العلوم» ممن يقولون الشعر، ومن أقرأ لبعضهم شعراً، فأراه - بالنسبة لبأكورة سنهم - مما يبشر بمستقبل حسن، بل لا أكون مبالغاً إذا قلت لك إنى أراه أروع من شعر «شوقي» في بداية عهده بالشعر. أيام كان في مثل تلك السن في مدرسة الحقوق. وقد صاحبت «شوقي» ووفدت معه إلى بعض المؤتمرات، كمؤتمر المستشرقين امعند في أثينا عام ١٩١١، ثم عاصرته وقرأت له جل ما أنشأ. وعرفت له أخطاء كثيرة. ورى ن هذه الروايات وتلك القصص التي قام بها أحياناً ليست بدات خطر، ولا بالنوع الحديد لى كنا ننتظره، ثم هى لا تتمشى مع النوع القصصى ولا الأوبريت اللذين تفهمهما. وإنما كانت من نوع خليط، فأنت ترى البيت الواحد من الشعر يقطع ثلاث مقاطع أو أربع في بعض الأحيان، فيبدأ أحد أشخاص الرواية بقطع. ويتلى آخر. ويتبعه ثالث، ثم يعود ريع، وهكذا حتى يتم البيت. وقد يكون صدر البيت من «الهمزج» بينما عجزه من «البحر الصوير». مما لا يتسق والموسيقى، أو يتمشى والذوق السليم. ولهذا كانت تنفر منه الاستماع.

على أنى لا أنكر أن «شوقي» تقدم بالشعر خطوات واسعة. فقد حاول أن يتأثر انشئ وأبا فراس الحمدانى وأبا تمام وابن المعتز وأبا نواس وابن هاني وغيرهم من عيون الشعراء، فوفق إلى حد بعيد، وأجاد إجادة تقرب من الكمال: ثم خرج عن الشعراء المعاصرين له أو الذين سبقوه بقليل، فلم يشايهم في النقد أو التقرىظ إلا غراراً. وإلا ما كانت له ضرورة ملح. ومع هذا فأنى أرى الظروف مواتية الآن لظهور الشعراء وبروز الشعر. وارتقاء إلى ما يقرب من سابق عهده في سالف عصور الاسلام: فقد بدأنا نرى معجبين من الأمة كثيرين يتأثرون الشعر ويتمصبون للشعراء.

بل أعتقد أن مؤهلات النبوغ الموجودة الآن، تسمح بانبات شعراء مغاوير. أكثر مما سمحت لشوقي وحافظ وصبرى والبارودى وأصراهم: فقد انتشر التعليم - ولا انتشار التعليم دخل في ذلك ليس بالقليل -، ولدينا جرائد ومجلات مختلفة تعنى بالشعر والشعراء. ثم هناك كتب الأدب ودواوينه القديمة التى طبعت حديثاً، والتي لم تكن مطبوعة من قبل شوقي وحافظ؛ وهذه سيكون لها أثرها في تخرج شعراء في المستقبل.

ولست أنكر - إلى هذا - أن روح الأمة غير مشبعة بروح الشعر العربى الفصيح رغم هذه الظاهرة: ظاهرة التشجيع التى زارها الآن، وذلك بسبب تنشئ الروح العربى في شوقى

لها . وتقهقر مدنيتهما الروحية . والشعر كالسائح لا يحل في غير البلد الذي ترتضيه روحه ، فليعلم
ملايه ذلك . وليتذاكروا عهود العرب وأسواقهم ودواوينهم ولقمتهم إن كانوا يريدون شعر العرب .
ورأي في النهاية هو أن هذه النهضة التي تبشرنا بمستقبل حسن ، ستكون باكورة موفقة
بهد ربه في القريب إن شاء الله ؛ فلنتظر عشر سنوات كاملات .

رأي الدكتور طه حسين

الدكتور طه حسين زعيم المجددين دون منازع . وحامل لواء التفكير الحر غير مدافع .
وقد يكون أكثر دماثنا إنتاجاً وأثراً في بلاد العربية دون استثناء أو تخصيص ، بل قد يكون
مدانها ودباثنا ذبوع صيت ونباهة ذكر في الشرق والغرب .
أما نسوبه . وأما بحوثه . وأما بيانه . وأما مادته ، وأما جولاته ، وأما آراؤه ، وأما
أعرافه . وما لا أعرف من سحره الحلال ، فأمر سارت بذكرها الركبان ، وطارت بها الشهرة
بأجواز القضاء .

لراء ذلك كله ، لم يكن من بد من التحدث إليه في موضوع اليوم ، وتعرف رأي الذي تقدمه
ليث في شيء من الإيجاز يسير ، وفي شيء آخر من البسط قليل ؛ بل في شيء لست أعرف
إلا كان حيرة أم تردداً . وإنما أعرف أن ما أقدمه إليك الآن ، هو خلاصة ما وعته الذاكرة
الضعيفة ، فلينسب إليها التقصير ، إن كان ثمة تقصير .

هل أهرت موت الشاعر فيه فراغاً ؟

لآن ، في حيث لا اتهام بتعصب ولا غرض ، وفي حيث لا وجود لمنافسة ولا منازعة ،
ولآن بعد أن عرف الناس ما تسألني عنه حق المعرفة ، وبعد أن علم القاصي والداني ، ما تريدني
في نحدث إلى قرائك عنه ، أقول إن الانصاف يقضي على أن أقر لك ولقراء مجلتك أيضاً ،
وكلا من الشعراء أجاد في ناحية ، وأن كلا منهما أحسن في بعض قصائده ، وأنهما معاً ، ومع
مجموعة بعهدي قصير ، ومع بعض الشعراء الموجودين الآن ، سواء أكانوا ممن في مصر أم في
غير مصر من بلاد العربية عامة ، قد استطاعوا جميعاً أن يردوا إلى الشعر العربي بعض شبابه
في الدولة العباسية إلى حد محدود ، كما استطاع الفقيد أن يحتفظ لمصر بزمامة الشعر .

ريد أن أعترف بهذا في غير ما موارد ولا خفاء ، وأريد أن أعترف أيضاً ، وفي غير
مواحدة ولا ضغينة أيضاً ، أنهما حاولا جهد طاقتهما أن يتكبرا ، وأن يقلدا ، وأن يجيدا في
الابتكار ، وأن يجيدا في التقليد . فأصابا بعض النجاح ، وأخفقا بعض الاخفاق .

حاول « شوقي » أن يبتكر في باكورة شبابه ، أو قل حاول أن يجدد في مستهل حياته . فكان يوفق بعض التوفيق حين يعمد إلى الصراحة ، ويفشل كل الفشل حين يلجأ إلى النثر والمداورة .

وحاول « حافظ » أن يحاكي شعر القدماء في بداءة عمره ، أو قل حاول التقليد في غر شبابه ، فكان يوفق أغلب التوفيق حين يعمد إلى أسلوب القدماء وأخيلتهم ، ويفشل الفشل كله حين يلجأ إلى نفسه يستلهمها الخيال والفكرة ، وإلى حافظته يستعيرها الألفاظ القديمة والحديثة .

حاول كل منهما أن يسلك الطريق التي رسمها لنفسه في ضحوة العمر ، لكنهما خفيا في النهاية ، أو قل إنهما استحالوا إلى الضد . فسلوك « شوقي » في نهايته ، طريق « حافظ » في بدايته ، واختط « حافظ » في آخرته ، خطة « شوقي » في باكورته . وقد يكون إحقاق « حافظ » تجديدياً أو بعض تجديد . فيصح أن نسميه نجاحاً أو شبه نجاح . وقد يكون إحقاق « شوقي » تقليداً أو بعض تقليد ، فيجوز أن نسميه — بالرغم من أنه تقليد — نجاحاً أو شبه نجاح . ومع هذا ، هل حدث موتهما فراغاً ؟ ما أظن ذلك إن صح مجازاً بالذي يصح في عالم الحقائق . ولو افترضنا صحته فلن نعدم من يسده ، ما دمننا نرى الشعر في حاله الراهنة بعيداً عن ر يمثل النفس المصرية ، أو يحقق أطماع الروح العربية . أو يهتف بما للشرق من آمال وحلام . أو يتمثل للشباب المثل العليا التي يجب أن تصور لأبناء الشعب وشبابه تصويراً دقيقاً بدعهم إلى الاحساس بها والتمثل لها .

وقد يكون من الخير ، لو تنتقل إلى السؤال الثاني لتفصيل ما أجملت في هذه النقطة .

مستقبل الشعر والشعراء

قد يكون الشعر في حياتنا الحاضرة مما لا ضرورة له ، بل أزعج أنه لم تعد له الصلوة التي كانت له في العصور السابقة ، ذلك أنه كان في تلك العصور الخالية من طبيعة الحياة . باعتبارده اللسان المعبر عما في الحياة من مختلف الألوان والمشاعر . ولهذا كان القدماء يقولون : « الشعر ديوان العرب » ، والحق أن الشعر في ذلك العصر البائد . كان يصلح لأن يكون ديوان حياتهم الساذجة إلى حد بعيد ، لأنه كان يتناول جل أنواع حياتهم وأغراضهم ، وهي حياة محدودة ، وأغراض متواضعة .

ومع هذا ، ومع ما كان للشعر العربي من منزلة ومكانة . فإنه لا يكفي وحده مظنة لتعرف آثار العرب ، وبمكس هذا الشعر اليوناني ، فأنت تستطيع أن تلمس ما تبحث عنه من آثار العقل اليوناني . والحياة اليونانية الفلسفية والروحية والفنية ، في الشعر اليوناني نفسه . في « الاليازة » و « الأودسا » مثلاً .

لقد كان «هوميروس» يفهم الشعر اليوناني حق الفهم . ولذلك كان يصور المعاني البديعة في لسان المختار الذي لا يند عنه اسمع . ومع هذا فلم يكن شعره ليخلد هذا الخلود لو لم يتناول دق العواطف الانسانية ، ويصور دفين النزعات النفسانية أدق تصوير .

أما الآن ، وقد تغير فهمنا للحياة عن فهم العرب القدماء للحياة . واتسعت أطرافنا ، وتعددت مطالبنا ، واختفت أذواقنا . وبلغت الانسانية في حاضرها هذا الشأو ، وقطع عقل البشري مرحلة كبيرة في سبيل التطور والرقى . فقد أصبحنا في غنى عن الشعر . وصبح لا يوفينا حاجتنا . وأصبحنا حين نود التماس هذه الحياة نفزع إلى النثر . وإلى كتاب النثر الجيدين .

وهاهنا دى «حادثة البدارى» . هل ترى النثر وصفها وتحليلها من الشاعر أم من الكاتب ؟ نسئ شك في أنا معاً . أنا وثقت . نلتقيها عند كتابنا احميد بن «كهيكل» أو أضراب «هيكل» ممن ضربوا في النثر بسهم وافر .

وهذا دليل على أن النثر أخذ يحل محل الشعر . لأن النثر صنو للعقل ، يتقدم بتقديمه ، ويخلف بالخطا : بعكس الشعر فانه وحس العاطفة والخالط .

وتعال معى إلى الدولة العباسية . فها هو ذا «الجاحظ» قد طرق كل فنون الشعر ، فحدثى المدح والهجاء والسخرية وما شابه ذلك مما اختص به الشعراء . بل تحدثى أمم مميزات شعراء في الغزل . وهذا نفسه دليل على أن النثر من يستطيع التغلب على الشعر ، لأن العقل كما تغلب على الحياة فك من قيود الشعر .

ولقد قالوا قديماً «إن الشعر هو الكلام الموزون المقفى» ، وأنا أقول إن كل إنسان يستطيع أن يقول هذا الكلام الموزون المقفى . ولكن ليس معنى هذا أنه يستطيع الآن أن يحدث في نفس الأثر الذي يحدثه الكاتب .

ثم مسألة أخرى أحب أن أعرض لها بشيء من التعمير يسير . تلك هى وظيفة الشعر ؛ فها نرغم لك أنها تغيرت عن دى قبل . فأصبح من أنواع الترف لامن أنواع الضرورات كما كان عند القدماء . وأنا وأنت نعلم أن مثل هذا النوع من الترف يعمل في الحياة أقر مما تعمل الضرورات .

ثم لا ننس أن للشعر صلة وثيقة بالموسيقى . وإن له ذوقاً خاصاً يجب أن يلائمها ويتطور معها ، فمن ترى في شعرنا الحالى ما يلائم ذوقنا الموسيقى ؟ أكاد أشك في ذلك أكثر الشك ، بل أزعم أن أشك في ذلك كل الشك . وهما هى ذى الموسيقى تطورت ، بينما ترى الشعر جامداً أشد الخود . اللهم إلا من بعض محاولات ضئيلة جداً ، والتطور ظاهرة القوة والحياة . واية ذلك أن

الشعر الفرنسي تطور تطورات مختلفة من الناحية الموسيقية حينما أحس حاجته إلى التطور. فظل نشأ قوياً، وأصبح لدى الفرنسيين مذاهب مختلفة في تصور ألفاظ الشعر وأصواته. تقار تصورنا لبحور الشعر العربي وقوافيه. مما تواضع عليه العروضيون. وقد راد « شوقي أن يجدد في الوزن متمشياً مع الذوق الموسيقي فقال قصيدته التي مطلعها :

مال واحتجب وادعى الغضب
ليت هاجري يذكر السبب

وزعم أنه وزن فارسي استحدثه، ولكن علماء العروض لم يتركوا له هذه الدعوى دون أن يرجعوها إلى وزن عربي قديم.

والشعر لكي يكون صادقاً بليغاً يجب أن يتوفر فيه شرطان أو حاجتان كما يقول القدماء، وهما : المعنى واللفظ، وثنا فهم المعنى على أنه الحال النفسية التي يحسها محدثها الشاعر في نفس من يسمعه أو يقرأه. أما اللفظ فليس هو الكلمات. وإنما المقروص فيه الصوت الذي يمس الأذن ويحدث فيها أثراً معيناً.

فن ناحية المعنى تلمس المثل العليا، ومن ناحية اللفظ تلمس الموسيقى، أو ما يرضى ذوقنا الموسيقي. وليس في شعرنا من وفق إلى أن يحس هذه المثل أو تمثلها كما ينبغي. أو أرضى ذوقنا الموسيقي.

وفي اعتقادي أن ذلك راجع إلى أن ثقافتهم ثقافة ناقصة. فهم لم يقرأوا في الأدب والشعر أو الفلسفة الحديثة كثيراً. ولم يروا بالآراء العلمية المبتكرة، ولا بالمذاهب الاحتمالية المستحدثة، وإنما ثقافتهم ثقافة خاصة محدودة. لم يتعدوا لفظها. فهم جميعاً. والمحدثون في التحديد أيضاً، أو الذين يرمون أنفسهم بمحدثين. لا يزالون ينظرون إلى الشعر نظر القدماء إليه. فيعتمدون على الطبيعة ويحافظون على الوزن والقافية لا يبتغون عن ذلك حولا

يقول رُسْطُو الشعر محاكاة، فيجب على من يحاكي شيئاً أن يعرفه، فهل لدينا من محاكي شعراء اليونان مثلاً. وهل منهم من جاءنا بما أقرأه أنا وأنت في «الليازة» مثلاً. أو ما قرأه لراسين وكورنيل وغيرهما؟ وهل لدينا من سبق عصره، كبودليير مثلاً، أو المعري الذي نجد فيه العزاء. وغيرهما ممن عظم حظهم من الثقافة؟

إن الحكمة التي كانت تقال في العصر الجاهلي فتَهَرَّ لها نفس العربي. وتفخر بها قبائل على قبائل أخرى، لم تكن كافية لا رواء ضلَّ العرب بعد فتوحاتهم. ولدا رأيناها يتجهون إلى الفلسفة اليونانية يلمسون فيها مثلهم. وفي هذا دليل على صدق ما نقول. ثم هو دليل على أن التعمق في البحث عن الأشياء لم يكن من طبيعة العرب في عصورهم الأولى.

والآن لكي تكون لنا حياة شعرية يجب أن تتطور الألفاظ والمعاني، والتطور ضر

مظاهر حياة ؛ وليس لدينا — بكل أسف — من هذا التطور شيء ، بل لا نكاد نحسه . ولا نكاد نرى ذلك الشاعر الذي يستخرج لنا عواطف قد لانحسها نحن لبعد غورها ؛ والنفس الانسانية تعمق غوراً من أن يحسها أصحابها تمام الاحساس ؛ فكم يكون عجبك حين تجد شاعراً كشف لك عن عاطفة غريبة عنك ، ومعنى بعيد عليك .

لكل ما ذكرت أرى أن الحاضر والمستقبل القريب للنثر دون الشعر .

رأى الأستاذ خليل بك مطران

لن ما سطره قلم الأديب النابغة الأستاذ أنطون بك الجميل ، خير ما يقال في « مطران » .
دب نجد فيه بروز صورة تصور لك شخصية « مطران » الفسدة وشاعريته الحساسة ، أدق تصور ، وهو ما نحرم على تقديمه إليك :

نشأ تحت سماء سوريا بين أوديتها الخضراء ، وجبالها البيضاء ، بين آثار بعلبك ذات مضمه و الجلال والبهاء . وترعرع وشب في وادي النيل ، بين آثار المدنية القديمة ، وصروحها مضيه . عاش تارة في القرى والجبال ، فشرب حب الطبيعة والفصيلة فأسمعنا الشعر زاهراً معروفاً . وعاش طوراً في المدن فراه ما فيها من الشمس والشقاء ، فألقى إلينا إنشاده مبكياً بحرارة . شعره يجمع الصور وملعب الخيال . ونفسه كالصحيفة الحساسة ينطبع عليها كل ما مر بها . وهو شاعر الشعور والخيال . وشاعر بعلبك والأهرام . وقد عرف أن يستفيد من لغات وحسب دون تقليد ، وينهج نهج قدماء العرب دون تقليد ، فاحتفظ بصيغة العرب في تعبير . ودخل أساليب الأفرنج في التأليف والتفكير .

هذا رأى الأستاذ الجميل في « مطران » وهو رأى صائب . وأما رأى « مطران » في موضوعنا فهو ما تراه في مايلي :

هل أهرت موت الشاعر فيه فراغاً ؟

إن تنفيذ العظمين طلا في كل حياتهما وفي مختلف مراحلهما ، وسيظان حتى الأبد منذ حتى مر الأيام والدعور ؛ بما أسديا إلى النهضة الفكرية الحديثة من فصل جم ويد كريمة ؛ وسيبقى سماهما يترددان في أرجاء العالم العربي ، ما بقيت العربية وبقى الشعر ، لذلك نشعر بأن ما أحدثه موتهما في نفوسنا من ألم وحسرة بالغ الأثر ، فقد أديا رسالتهم في الحياة بالقدر الذي تحته لكل منهما ظروفه . في أبلغ أداء وأصدق تعبير . ومن هذه الناحية نستطيع القول بأن موتهم أحدث في حياتنا الشعرية أثراً ليس بالهين ، وفراغاً ليس باليسير ؛ وإنا لنترجو أن نوفق إلى من يملأه في عهد قريب .

لقد أحسن كل من الشعارين في أبواب خاصة ، كما أجاد كل منهما في مناح خاصة . ومن شك في أن لكل منهما ميزات وخصائص تختلف عن ميزات الآخر وخصائصه . وقد كانت لكل منهما ملايسات وظروف تخالف ملايسات الآخر وظروفه . ثم كان لهذه الملايسات وتلك الظروف ثمر في شعرها وتوجيه وجهه نرضاها كل الرضا حيناً وبعض الرضا حيناً آخر . وقد حاولا محاولات عدة لمعالجة الشعر الحديث . وتناول أغراضه المتحدة . وموه المتنوعة ، فكانت محاولتهما جد قليلة . لأنهما لم يكونا واثقين منها ؛ ولأن النفوس لم تكن قد تهيأت لقبول هذه الآراء التي يدفعها إلينا غرب دفعا .

وأنت لو حاولت تلمس القصائد الطوال في المعنى الواحد ، والغرض الواحد ، في ملامح السياسية مثلاً ، فلن تظفر من ذلك بشيء يجدى أو يفيد ؛ وليس ذلك عيبهما وحدهما ، وإنما عيب الشعب أيضاً . فقد كان يرضيه في نهضته السياسية مثلاً البيت الواحد ، فيصفق له وينسب منه ويجعله أنشودة ومثلاً ، أما أغراض الشعر البعيدة المرمى ، السامية المغزى . وما استقر التاريخ العام . وتحليل الشخصيات البارزة تحليلًا دقيقاً ، وتناول أروع عواطف النفس بالتصوير والوصف . وأما تصور المثل العليا ورسم الأوضاع الشعرية السامية . فأشياء لم تعمل معها قبلاً ولا كثيراً ، وإذا كنت تظفر بشيء من هذا فإني تظفر بالنادر الذي لا حكم له ولا يقاس عليه ومرد ذلك إلى أنا لم نقشع بالروح العربي الخلاق ، ولا بالروح الغربي الحديث والتصوير والوصف وسوق الأفاصيص ونحوها ، وينقصنا في ذلك الروح الحربي الجري . والروح القومي السليم . والثروة الصافية من الألفاظ العربية الفصيحة .

ولذلك لا نجد في شعرنا ما تجده بارزاً في شعر الألمان أو الفرنسيين أو الانكليز . من روح حربي أو روح قومي أو روح خلقى .

وما ذلك إلا لأننا وقفنا عند القديم فحسب . ثم تركنا الحياة وكل مافي حياة مر جديد . وخذنا تمثلاً مثل القدماء من العرب ؛ وتخيّل أخيلتهم . ونستعير ألفاظهم وقومهم وأوزانهم . من غير ما تجديد ولا تهذيب ولا تشذيب ؛ ومن غير ما نفلر إلى الأمام . بل رجع إلى الوراء وننظر إلى الخلف . ونذهب إلى جرير وإلى الفرزدق وإلى امرئ القيس وإلى لبّيد وإلى أمثال هؤلاء وهؤلاء عن بعدت بيننا وبينهم الحقب . ودالت بيننا وبينهم دول .

وفي عصر الخديوي عباس مثلاً نرى الشعراء يتوجهون بشعرهم كله إليه تدحونه ويرتلون إليه ، ويميدون إليه المدح القديم في ألوان جديدة . وقل أن يكون في الغصيدة ما ينبيء عما يمدو هذا الغرض ، فكيف نكون من هذه الكلمات روحاً قوياً وثاباً ينفي بالعرض المقصود ، حتى نعمل منه سمطاً تتألف منه درر الشعر وجواهره ؟

الحق أنا لم نعرف رسالة الشعر إلا إلى حد قليل ، والحق أن جمهورنا العربي أيضاً لم يفهم رسالة الشعر؛ فشعراؤنا يحاولون جهد طاقتهم تعرف الرأي العام والناحية التي يتوجه إليها . وهم يسمعون إلى إرضائه بالقدر اليسير؛ لأن الرأي العام يكفيه جداً البيت الواحد تشير فيه إلى الدستور أو إلى الاستقلال أو إلى فرح الأمة أو حزنها؛ وليس هذا فهماً للشعر، ولا فهماً لرسالته . وقد يكون النثر قطع مرحلة أكبر من تلك التي قطعها الشعر، بفصل نفر من الجهازة الأعلام لتصلين من اللغة والعلوم . أما الأكثر ومن عداهم، فما زالوا في حاجة إلى التغذية العمية والمعارف الهامة من لغات مختلفة وآداب متعددة وعلوم متباينة، وهو ما لا بد منه للشاعر والكاكتب : وإني لأذكر أنا إلى عهد قريب لم تكن تعرف هذا الذي يستطيع وصف الغرفة في شكلها الحديث . فلما توفرت لدينا طائفة من الكتاب الذين وفقوا إلى ألفاظ وأساليب جديدة ، سواء أكان ذلك بالخلق أم بالابتكار أو بالتمريب والتركيب أو بالنحت والاشتقاق؛ ولما أن داع هذا وكثر استعماله؛ أصبح التلميذ الصغير قادراً على وصف الغرفة ومحتوياتها أدق وصف . واللغة العربية ضافية الثروة . غنية الألفاظ ، كثيرة التراكيب . وهي كفيلة بتحقيق رسالة شعر لمن يحسن استعمالها . ويفهم غريبها وقريبها ، ويصيف إلى علمه بها علماً بمستحدثات الحياة من آداب وفنون في الأمم الأخرى .

والخلاصة أنه متى وجد العقل الخلاق المبتكر ، والذهن الصافي الواعي . فيبتكر جديداً مع شاه الأصل السليم في اللغة على ما كان عليه من فصاحة وبلاغة ؛ استطعنا الوصول بالشعر إلى درجة قد تتيج لواحد منا الطمع في الحصول على جائزة « نوبل » التي لم ينلها شاعر من شعرائنا حتى الآن .

عبد العزيز

والله ما رأى القارىء

فيمه هو أم هو برعامة الشعر؟

رسل إلينا رأيك حراً صريحاً ، موضعاً اسم شاعر واحد يقع عليه اختيارك . ويجب أن يصلنا الرد داخل مظروف بعنوان « المعرفة » . ومكتوباً عليه عبارة « الشعر والشعراء » . وستفرض هذه المظارييف في يوم ٦ ابريل سنة ١٩٣٣ . بمعرفة لجنة خاصة مكونة من كبار رجال الأدب واللغة والنقد والتعليم وأعلام الكتاب المعروفين . وستعلن نتيجة الآراء جميعاً ، وعدد الأصوات التي حازها كل شاعر بالترتيب، مصحوبة صورة الشاعر الذي نال أ كثرية الأصوات . في العدد الأول من السنة الثالثة « للمعرفة » الذي يصدر في أول مايو سنة ١٩٣٣

حرية التفكير في الشرق

[كتبت لجريدة « الجامعة الإسلامية » كبرى صحف فلسطين]

ومهداة الى شباب العرب

حينما وقد عني رسول « الجامعة الإسلامية » الفراء ، الزميل الفاضل الأستاذ محي الدين رصا ، يسألني في نبل وأدب ، أن أكتب له - في الحال - فصلا عن تاريخ الفلسفة الإسلامية . أو الفرق الصوفية وتطوراتها . أو في ما يزعم أو يظن أني مختص فيه . وقف نفسي على دراسته . لم يكن من عسري - وأنا الذي يقدر هذا الظرف الصحفي الدقيق - إلا أن أضحك من ، لهذا المطلب العسير ، يطلب في مثل تلك السرعة ، وفي أدق ساعات عملي الصحفي ضيقاً وحرَجاً أيضاً ؛ لكنني لم أعدم مخرجاً من هذا المأرق الذي لا يجدي فيه الاعتذار . فانتقلت سائلاً بعد أن كنت مسئولاً . وطالباً بعد إذ كنت مطوباً . فقلت : وهل ترى الكاتب يستطيع أن يكون حراً ، آمن النفس . مطمئن البال إلى ما يريد أن يكتب . صادفاً في تأدية ما يطلب إليه من حق ودين . حيال مخالفته في الرأي أو مناهضه في الفكرة ؟

أحسب أن الكاتب في الشرق عامة ، وفي الشرق العربي خاصة . ما زال يرسف في أغلال من عبودية الفكر . ويخطو في قيود من حديد الأوضاع والتقاليد . بل ما زال أبعد كتب العالم جمع . عن التمتع بهذه الميزة السامية . وتملك هذا الحق المكتسب بالنسبة للشرق ، في طبيعته الشرقية الروحية من نزوع إلى الحق والخير والجمال .

وهأنذا أسمعك تبدد وهمي هذا بما تظنه من حق . فترغم أن علة ذلك راجعة إلى استعمار الغرب للشرق فحسب ؛ وأنه يوم يبيد الاستعمار تعود إلى العقول حريتها وطمأننتها ، وأنا إذا كنت لا أنكر ما لهذه الحجة من قيمة . إلا أنني لا أظنها وحدها كافية لتفصيل ما رسف فيه من ستمبار وتأخر وجود . لأن بعض دويلات أوروبا - في القديم والحديث - لم يعمه احتلال دول أخرى لها ، من الحربة العسكرية التي كانت سبباً - في سبب - في زوال الاحتلال . ولماذا نذهب بعيداً وهماهي دي « تركيا الحديثة » يصح اتخاذها دليلاً على ما قدمت وإن كنا نحالفها نحن العرب المخلص في كثير مما انتهت إليه حالها الراهنة ؟

وانقصر بحثنا الآن على الشرق العربي وهو ما اصطلاح على أنه منبت الاسلام ومنبعه . فدا صح هذا الذي يزعمون - وهو صحيح لا يحتمل جدلاً ولا مناقشة - صح لنا أن نتساءل : أي شطري العالم أحق بحرية الرأي والتفكير ؟

أهو الشرق أم الغرب؟

ما أنا فأزعم أن الشرق أحق بهذه الدعوى وأحدر، لأنها منه نبقت، وفي ظل دينه السائد فيه طاشت ونمت. بينما كان الغرب يعيش في ظلام دامس، وفي ظل من التفكير ثقيل، فلم يكن يسمح للإنسان أياً كانت صفته، أن يضمر، فضلاً عن أن يعلن، رأياً يخالف المجتمع، أو يبين المعسر الذي يعيش فيه. وقد كانت كلمة «الهرطقة» وهي «الكفر» تخرج من فم رجل الكنيسة، كافية لزوج الملايين بله الآلاف في أعماق السجون، إن لم تودى بأرواح الكثيرين. فكم من دماء أهرقت، وأرواح أزهقت، وأعراض انتهكت، وجرائم ارتكبت، باسم الدين تارة، وباسم الدفاع عن الدين تارة أخرى!

في هذه العصور المظلمة التي كانت يحدث فيها ذلك الاضطهاد لأسمى مافي الوجود من كائنات، جاء الاسلام باسطاً سلطان العقل بأوسع معانيه، داعياً إلى دين الله بالحجة والمنطق، متغلباً بالبرهان والدليل، حاثاً على تقديس الحرية الفكرية، والأخذ بالعقل إذا ما تعارض العقل والنقل. فكان ذلك أول دين سماوى نادى بتخليص العقل البشرى من القيود والأغلال، وكان من خير هذا المبدأ الحق الجديد، أن هزم المسلمون — وكانوا أقلية في العدد والعدة — دولتي الرومان والفرس، وقد كانا يقتسمان العالم كله اقتساماً، ويحكمانه بالسيف والمدفع، والباطل باسم الحق، والظلم باسم القانون، والوثنية باسم الدين، ويخضمانه لطائفتين اثنتين لا ثالث لهما: رجال الدين، ورجال الحكم أو الملك. وإذن فلم يكن عجباً أن يبلغ الاسلام في أقل من الثمانين عاماً، ما لم يبلغه قياصرة الرومان، وملوك أنوشروان، في مئات من السنين.

فجل إنه لم يكن عجباً أن نرى هذه الدولة الفتية، دولة الاسلام الناشئة، دولة العرب الساذجة، تطفر طفرة واحدة من قبائل رحل لا تؤلف دولة صغيرة، لتترغم العالم كله من شرفيه إلى غربيه، ولتبسط سلطانها على المشرقين، حتى صحح هارون الرشيد أن يقول — وقد أمطرت السماء —: امطري حيث شئت يأننى خراجك. فهل ترى التاريخ يعكس الآية فيصبح العرب أذلة صاغرين، بعد أن كانوا أعزة سائدين؟ وتصبح آية الرشيد آية الانكيز الآن. الذين لا تغرب الشمس عن إمبراطوريتهم كما يدعون؟

الحق أنا في محنة طال عليها المهدي، حتى حجب إليها الركون إلى ربوعنا المباحة، والاستقرار في قومنا الملتاعة؛ وهانحن أولاء تتجرع الكأس حتى الثمالة، وتتشبأ الصاب والملقم، فيلى متى ياشيية العرب، وحتى يامعشر الشرفيين، وماذا أتم فاعلون ياسلالة محمد بن عبد الله؟ لقد سئمنا الذل والهوان، وأتقنا الاستعباد والاستعمار، فهل لم يئن الأوان بعد لتصحوا من هذا الرقاد؟ إن ذلك في مقدوركم أتم، وفي أيديكم وحكمكم، فاعملوا على حرية الفكر،

وهدوا باستقلال العقل ، وأعيدوا إليه سلطانه ، فهو واقع قوام دينكم ، عليه قامت دعوته .
وبه استتمت زعامته ، ومن قال بغير ذلك عن يلبسون مسح الوعاظرياء ، ويتشجون بوشاح الدين ظالماً .
فهو غير محاصر في ما يدعى ، إنما هو للدين عدو . وبه متاجر مساوم ، وللمستعمر مبشر وعضد .
إذ التاريخ في مختلف مراحل ، لم يحدثنا عن عصر من عصور الاسلام الزاهية ، دون أن
يقربه بالعدل والمساواة والحرية ، وينعته باحترام العقل ، والرجوع إلى المنطق ، والاعتماد على
الفكر . ولنا في ذلك أسوة برسول الله ومحابته وأئمة دينه وتابعيه ممن كانوا يبرأون إلى الله
من كل عمل يخالف روح الاسلام السمح ، وشريعة التوحيد الخالصة من القيود والتمقيد .

* * *

وبعد فليسكن الشرق شرقاً ، والغرب غرباً . فسيعود الشرق قريباً إلى سابق أيامه الزاهية .
وماضي عصوره الذهبية ، ليهديه إلى سبيل العلم الصحيح . كما هداه من قبل إلى الدين القويم .
ووقتئذ يقتصر عليه نصرتين : نصراً في العلم ونصراً في الدين . ووقتئذ أيضاً يعرف متدار الخوف
قول « جون كريستوفر مارلو » أحد نقاد الانكليز في القرن السادس عشر ، الذي يقول :
« الشرق والغرب يساويان في الميزان الجغرافي - تمام المساواة - الشمال والجنوب . تخالف
تقاليد الشرق تقاليد الغرب ، كما تخالف أجواء الشرق أجواء الغرب ؛ وفي اختلاف الأحوال
اختلاف البيئة . وفي اختلاف البيئة اختلاف الذوق ؛ وفي اختلاف الذوق اختلاف التقدير ؛
ومن هنا يختلف التقدير والنظر إلى لباب الأشياء ، لأن الهادي إلى ذلك إنما هو الذوق
والاحساس بالجمال قبل كل شيء . وفي اعتقادي أن ذلك الذي ينادي بفكرة العالمية مشعور
أكثر منه رسول تفكير »

وبعد ، فتلک خواطر سريعة ، نرجو أن تكون باعناً — لمن لديهم سعة من الوقت والتفكير —
لبحث الموضوع من نواحيه العلمية والدينية والفلسفية المختلفة ؛ ولعل مالنا من حق الزمالة
على رميلنا العالم الجليل السيد الفاروقي ، يشفع لنا في هذه الكلمة السريعة ، التي أردنا بها الاجمال
لا التفصيل والسلام ؟

الاسلامبولي

للانفس

تسديد قيمة الاشتراك

نرسل اليك ما حق المعرفة

انزى أمرنا اليه في أول هذا العدد

أسرار النفس وعرفتها بالتنفس

عند الهنود

بقلم الاستاذ محمد فريد ومبرى بك

الهند بيئة الأسرار النفسية من قديم الأزمان . فقد انهمك مفكروها وحكاؤها من أبعاد
مهور - تاريخية ، في اكتناه سر النفس واستخدام قواها ، فوضعوا لذلك الأساليب الكثيرة ،
ووصفوا منه إلى ما لا يتحمله المتخيلون ، وصعدوا إلى عرفان الغيوب ، والتسيح في بقاع الأرض
بحكم لئان الروح ، فيما يكون الجسد ساكناً في مكانه ، والبقاء تحت الأرض شهوراً بلاهواء ،
وغير ذلك مما لا يحصى . كل ذلك من استخدامهم قوى أرواحهم ومعرفتهم بوسائل ذلك الاستخدام .
سعى الطائفة التي تحد من قديم الزمان في التمكن في هذه المعرفة باليوغى Yoghis ، وقد
عن يوم كثير من علماء أوروبا بدراسة الخوارق التي تصدر عن أيديها . وكتبوا في ذلك أسفاراً .
وعن نرى أن تلخص لقراء « المعرفة » ما قرأناه فيها :

1- كلمة يوغى مشتقة من الكلمة السنسكريتية (يوغ) التي معناها « اربطهما معا » ،
وضاهر أنه يصعب تعليل تسميتهم بهذا الاسم أو إطلاقه على مجموع تعاليم عالية . وقد عليها
ساحنون تعليقات مختلفة أقربها للصواب هي التي تذهب إلى تصوير اليوغى بصورة المرتبط
بغيره التي يقصد بها إخضاع الجسد والروح لسلطان الإرادة .

والمعلم اليوغى ينقسم إلى فروع عدة ، أولها : العلم بكيفية التسلط على الجسم . وآخرها :
علم الذي يكشف الوسائل للوصول إلى أعلى الكمالات العقلية . وإنا لن نغس هذا العلم الأخير
من تعارف اليوغية إلا في ما هو ضرورى لدراسة علم النفس .

إن بالهند مذاهب عظيمة للعلم اليوغى ، من أتباعها القسم الأكبر من الرجال المديرين لشئون
بلاد . وإن الفلسفة اليوغية هي القاعدة الحيوية لملايين من الناس هنالك ، ولكن التعاليم
اليوغية السامية تتأثر بها بعض العقول العالية ، ويكتفى السواد الأعظم بما يبق من فضلات موائدهم .
وقد بدأت الأصول الغربية تنتشر في الشرق ، فأصبحت التعاليم التي كانت محتكرة لدى
عدد القليل من الممتازين معروضة أمام كل من أراد أن يدرك أسرارها .

وقد اهتم اليوغيون الهنود في كل زمان بعلم النفس غاية الاهتمام ، لأسباب ستبدو للقارىء .
وقد بحث رجال من علماء الغرب هذا العلم ، ولكننا نظن أنه كان من حظ أحدهم وهو « بواسون

دولاريفير « أن وفق لإعطاء القارىء الغربى الأصول الأساسية لعلم التنفس اليوغى والأساليب العملية لأنواعها التى يحرص عليها اليوغيون .

يقول اليوغيون: إن الانسان يتنفس لا ليعيش كما يتفق ، ولكن ليحصل على حيوية عطية ويكسب جسمه مقاومة كبيرة ضد الأمراض، وليستطيع أن يطيل أمد وجوده على الأرض . وقد ذهب اليوغيون إلى أبعد من هذا ، فقالوا : ليس نتيجة التنفس أن يحقق الانسان صحته الجسدية فحسب ، ولكن يجب أن تكون نتيجة تكميل خصائصه العقلية أيضاً . وقد تأسست مذاهب فلسفية فى الشرق على علم التنفس وحده . بحيث لو أدرك مراهبها الغريون وطبقوها على ما لديهم لأحدثوا بها الغرائب . وإن أهل هذه الطائفة يراقبون تنفسهم مراقبة دقيقة ، ويذهبون فى أدائها مذاهب شتى ، لتكون ثمرتها التكميل الروحاني .

فاليوغى يحدث من الأعمال الرياضية التنفسية ما يجعله حاكماً على جسده ، ويستطيع بإرادته أن يرسل إلى كل عضو من أعضائه سيالاً قوياً من قوة حيوية يسميها « البرانا » . فهو يعرف كل ما يعرفه الغريون عن التنفس ، ويزيد علمه العلم بأن الهواء يحتوى على شئ غير الأوكسجين والازوت ، يفعل فى الجسم غير ما يفعله الأوكسجين من الامتراج بالدم . وذلك الشئ هو « البرانا » الذى يحمله الغريون . وهو يعرف وظيفة هذا العنصر الحيوى فى الجسم . ويعرف كيف يستفيد منه .

يعرف اليوغى أن الانسان بالتنفس المرتب يوافق الذبذبات الطبيعية للهيولى ، فيساعد بذلك على تكميل خصائصه الكامنة فيه ، ويعرف أنه بترتيب تنفسه لا يتغلب على الأمراض حسب ، ولكنه يخلص أيضاً من المخاوف والأوهام . ومن جميع الاتفاعلات الساقلة . فلنرجع الآن إلى « البرانا Brana » التى يمتزجها اليوغى الأصل الأصيل فى الايصال إلى كبر الحالات الحيوية والعقلية التى تقول الفلسفة الهندية إنها منبثة فى كل شئ على درجات متفاوتة حتى فى الجمادات ، فهي إذن سيال عام سار فى كل شئ . ويقولون لا يجوز الاشتباه بين البرانا والايغو Ego ، فإن الأولى هى الأصل الحيوى ، ولكن الثانية هى روح الله المنبثة فى كل روح آدمية . فالايغو تستخدم البرانا للظهور بمظهرها المعروف ، فإذا خرجت الروح من الجثمان خرجت البرانا من سلطانها ، وبقيت مقادير صغيرة منها فى كل ذرة من ذرات البدن لتسمح له بالدخول فى مركبات جديدة . وما زاد من تلك البرانا تلحق بمستودعها العام الذى تزلت منه . ولما تكون البرانا تحت تصرف الايغو ، يسود الوثام بين ذرات الجسم ، ويكون مجموعها تحت سلطان الايغو .

وما الكهرباء والقوة الجاذبة والقوة المدبرة للكواكب والحياة الحيوانية لإمظاهر مختلفة

لثبت البرانا المألثة للكون . وهى وإن كانت فى كل ذرة من ذرات المادة إلا أن مستقرها هو . وإن لم تكن من مركباته الكيميائية . والحيوانات والنباتات تستنشقها مع الهواء . فان لم يحدث فيه هلكة الكائنات وعدمت الحياة . فهى تصحب الأوكسجين فى دخولها فى الأجسام . ولكنها ليست منه فى شئ لأنها توجد حيث لا يوجد الهواء . ونحن باستنشاقنا للهواء نستنشق معه لأصل الحيوى العام فنستفيد منه الحياة والقوة . وكلما كان الهواء نقياً كان مقدار البرانا به أكثر . ولذلك تحسن الصحة حيث يكون الهواء أكثر نقاءً .

قد نقنأ فن التنفس . استطعنا أن نخزن مقداراً كبيراً من البرانا فى مخنا ومراكزنا العصبية . نستخدمه عند الضرورة . وإننا نستطيع أن نخزن هذه البرانا كما نخزن البطارية الكهربائية مقداراً من الكهرباء . وإن أكثر رجال العوم الخفية . لاعلة لا يطهار أعمالهم الخارقة للمادة . لا يعرفهم هذا السر واستخدمهم للبرانا التى يخزنونها فى أجسادهم .

وليونغيون الهند يعلمون أنهم بوساطة التنفس - على أساليب خاصة - يتعبون بالمستودع . للبرانا فيأخذون منه المقدار الذى يحتاجون إليه منها . فيتوصون بذلك إلى تقوية جميع أجزاء أجسامهم حتى المخ الذى يثرون فيه قواه الكامنة فيكتسب بذلك قوة نفسية عظيمة . الذى يستطيع أن يستمد من هذه البرانا - سواء علم بذلك أم لم يعلم - تشرق عليه القوة والحياة ينسلخ بها عن غيره . بل يستطيع أن يمد غيره بهذه القوة فيرد عليهم صحتهم الضائعة . وما حوادث الشفاء . التى تصدر على أيدي المفسطين ، إلا بسبب ما لديهم من البرانا المخزنة . وأكثرهم من رجال الغرب يجعل علة هذه القدرة فيه .

وإن علماء الغرب لعدم وجودهم أثراً للبرانا فى تحليلاتهم الكيميائية عمدوا إلى إنكارها ، ولكن الأطباء منهم ينصحون مرضاهم بالذهاب لبعض الأماكن ، تحقيقاً منهم بأن فى هوائها قوة على مدافعة الأدوية غير نقاء الهواء .

وكأن الدم يمتص الأوكسجين ويستخدمه لتقوية الأعضاء ، كذلك يمتص الجسم البرانا من الهواء ويستخدمها فى تقوية مجموعته العصبية .

وعما أن كل فكر نعمله ، وكل عمل نخدته . وكل جهد إرادى نبذله . وكل حركة عضلية نؤدبها لا يمكن حدوثها إلا بفقد تكايد القوة العصبية ، فنحن إذا فى حاجة شديدة إلى تحديد ذلك الأصل الحيوى فينا وهو البرانا . وإذا تقرر أن مستودعها الهواء ندر كنا أن نأهس أنفسنا على قاعدة حكيمة من أوجب الواجبات .

محمد فريد وجدى

(م - ٣)

التربية في الأسرة

بقلم الأستاذ أحمد فهمي العمروسي بك

وقفنا بك في العدد الماضي من «المعرفة» عند واجب الأم في مدة الحمل . وفي هذا العدد يجدر بنا أن نتساءل : ألا يجب على الأم في هذا الطرف المحيىب الذى تفرس فيه بذور المرء ، وصول الاستعدادات والميول فى نفس الطفل . أن تسيطر الحياة الاجتماعية العامة . بعض الشيء . فلا تثقيد بتلك الزيارات الطويلة المملة للأقارب والأباعد ؟ ألا يجب عليها ألا تسرف فى غشيان دور الخيالة والتشيل . وأن تقتصد فى التألق والتجمل ، إذا كان فيهما ما يصيق إلى الجين الخلقى فى مسكنه ومضجعه ، فتموق بذلك حركة الدورة الدموية فيه ، وتوقف نموه بعض الشيء ؟

وأول واجب عليها . إذا رزقت طفلاً . أن تغذية بلبنها . إذا كانت صحيحة مفاة . لأن لبنها هو الغذاء الطبيعى الوحيد . الذى يناسب بنية طفلم واحتاجاته . وهو الذى يقيه الأمراض التى تهدده . ثم إذا وكت أمر إرضاعه إلى مرصعة أجنبية . فأن أقل ما يقال فى عهد ، إن إدخال لبن أجنبى فى الأسرة ، هو إدخال دم أجنبى فيها . وبالتالى إدخال وراثية أجنبية فيها . ذلك أن الناس لا يهتمون إلا بلبس لمرصعة وغذائها . دون أن يعنوا بقياس درجة دكاؤها . وتبين ميولها وعاداتها وأخلاقها . مما يؤثر تأثيراً كبيراً فى نفس الطفل وعقليته . يقول هربرت سبسر . فى أهمية الغذاء واختيار الأغذية . ومعرفة القيمة الغذائية لكل طعام ، والوقوف على أسرعها هضمًا . وسهولتها تمثلاً بالبنية . وأسسها لتركيب الجسم . مع مراعاة البيئة التى يعيش فيها الإنسان . والأعمال اليومية التى تفرض عليه : « إن لأم ذات السيادة والسيطرة ، هى التى تعرف كيف تتغذى » .

إن هذا القول . وإن كان فيه شيء من المبالغة المقصودة . إلا أن القاريح وانعرة يؤيد به إلى مدى بعيد . وقد أجريت تجارب فى بعض مدارس فرنسا حديثاً . نشرت عن هك رسائلاً وثيقة بين نوع الغذاء والأخلاق . إذ شهدوا أن درجة تقدم التلاميذ ونجاحهم فى لدرس . وحضوعهم لاسظام . كانت تنمو وتطرّد باطراد الغذاء المنظم . الذى كان يقدمهم : أما السير على غير هدى فى اختيار الغذاء وتحديد كميته للأطفال والرجال ، فينشأ عنه تشوأمراض المدة . واضطراب الجهاز الهضمى . وقد شوهد أنها أكثر انتشاراً فى الضيقت الغنية منها فى الفقيرة .

ولهواء النقي غذاء ضروري للطفل ، كاللبن وغيره من الأطعمة الأخرى سواء بسواء ؛ فقد يستغنى الإنسان ، عن الأكل والشرب ، ساعات وأياماً ، ولكنه لا يستطيع بحال أن يستغنى عن استنشاق الهواء بضع دقائق ؛ فيجب على الآبوين أن يعنوا برياضة طفلهما كل يوم في التمرينات ، حيث يوجد الهواء الطلق . والشمس ، والخضرة ، وأن يباشرا ذلك بنفسهما كي ينعم الإنجليزي ، خاصتهم وعامتهم .

والتقارىء يعرف بلاشك مقدار الضرر الذي يلحق بالطفل إذا وكل أمره إلى الخادومات ، فقد ربنهن مراراً وتكراراً يتركن الطفل في عربته يبكي ويئن تحت أشعة الشمس المحرقة ، يستغيث ولا يماث ؛ بينما تلهو الخادم ، بالمحادثة مع الرجال من الخدم وغيرهم ، ثم هي بعد ذلك تأتي وتوسعه شتاً وصباً ولكما أحياناً .

والسكى تتبين مبلغ عناية الإنجليزي بكل ماله علاقة بتربية أطفالهم ، أذكر لك فقرة من كتاب « تربية في إنجلترا » تأليف الكاتب الفرنسي « مسيودى كوبرتين » . عن الأسرة الانجليزية : يرقق الإنجليزي عادة جداً غفيراً من الأولاد يجهشون متتابعين ، فيعنى بوضعهم في حجرة ممرلة خاصة بهم تجرى عليهم فيها أحكام التربية في سنينهم الأولى وتسمى بالمربى Nursery . ومما من الأساسية التي يجب أن تتوافر في المربى ثلاثة : الأم ، المربية ، الهواء . وقد وصف شعر الشير « راسكين » المربى الراقى ذا كراً عهد طفولته فقال : إنه حجرة في الطبقة الأولى من منزل فسيحة الأرجاء ، متحددة الهواء ، وفيه ضوء ، تامة النظافة ، غاية في السذاجة ، يه فيها الطفل ويأكل ويرتع ويلعب ، لا يخشى كسراً لآنية ثمينة . أو إفلاق راحة أمه مربية ، أو التهويل على أبيه المنسكب على عمله . بها حوض كبير يستحمون فيه كل صباح بالماء الدافئ . يردادوا قوة ونشاطاً ؛ ويراعى في لباسهم السذاجة والسعة والنعومة ؛ إذ ليس الغرض من تربية والتباهي بجمال الثياب . بل الغرض الوقاية من البرد والمطر والهواء مع تمتع الأعضاء بحركة الحرة والجري واللعب على ما يشتهي الأطفال . وهم يأكلون معاً في مواعيد مقررّة ، ومعهم غير متأق فيهم ولا متكاف ، ويخرجون كل يوم للتريض صيفاً وشتاء ، مستنفدين ساعت في الجرى والوثب والظفر وتسلق الأشجار والتدحرج على الأعشاب ، متحمّلين في ذلك نعمة أعمالهم . وعليهم وحدهم يقع الضرر من عدم أعمال الروية والتبصر في عواقب الأمور قبل الشروع فيها . ثم يقول : « وبينما الطفل الانجليزي يشب في المربى على مبادئ الحرف الوطنية الصحيحة يعيش فيه كفرد من أفراد المجتمع له ماله وعليه ما عليهم لاسلطان له على أحد من إخوته ولو كان أصغر منه سنّاً ، نجد الطفل الفرنسي يعيش في حضن أمه ملازماً في ملازمة الظل للمود ، ويجلس على المائدة مع أمه وأبيه وإخوته متى استطاع الجلوس فيهبوش عنهم سكاته ، ويوسمهم من تدلله وكبريائه ، والكل خاضع لأوامره ومنفذ لرغائبه . فمعجب لأشبه هذا الطفل على حب الذات وقلة الاكتراث للشمعات . »

وإذا انتهى طور الطفولة الأولى في المربي . انتقل الأولاد منه إلى مدرسة هي في سائر
الانجليز أهم المدارس تقمعا ، وأجمعها في تقوس النشء أثراً ، لا وهي الأسرة . كثير من الأمم
يمتقدون أن الخير كله في معالجة أبنائهم بالذهاب إلى المدرسة ، ظانين أنها حجر مكان يفضي به
لطفل شطراً وافرأ من عمره . فما الرأى العام في انجلترا . فلا يذهب مذهبهم ولا يريد أن
يتتبع مسلكا يناقض النوااميس الطبيعية وبدييات المنطق .

يقول الانجليز : كيف يعقل أن يكون بيت الانسان قل لبيئات ملاءمة لأولاده . ومعاشرته ولبدييات
أقل فائدة من معاشرة الغرباء ؟ ألا إن الانجليز يعدون عيباً وعاراً . ألا يكون الإنسان هو المدرس
الأول لأبنائه ، وألا تكون بيوتهم مجهزة بكل اداة صالحة للاعداد الكامل لطفل من وحي
التربية الخلقية والبديية . والغرض الذي ترمى اليه الأسرة الانجليزية من تربية أبنائها في سن
السن ، والذي يجب أن يكون غرض كل أسرة من الأمم الأخرى . هو أن يشب لأطفال
أصحاء البنية . أقوياء الأجسام ، وأن يتعودوا - بالمران والدرية العادات الحسنة - والأخلاق
لتوعية : وعلى ذلك تنحصر مهمة الأسرة في التربية البديية والخلقية لاغير . أما التربية عقلية
فتأتي بعد ذلك . لأن العقل لا يظهر إلا في سن متقدمة .

لذلك كان يقول المربي الانجليزى «توماس رنولد» : «إن التعجيل بالأطفال في تعليمهم
العلم وشحن قرائحهم بمسائل عمية لا يفهمونها . قد يؤدي بفشارتهم ونصرتهم . ويضئى ، فيسر
سرعه البادرة ونور البديية . ولن يلاقى الأطفال في حياتهم الأولى وبالا شراً عليهم من سائر
تقوهم لأبدانهم» . وكان - وهو ناظر لاحدى المدارس - يرتع ويلعب مع تلاميذه الصغار ويحرق
معهم يترامون جميعاً بكرات الثلج ، ويسبحون في الماء . يتسابقون في الجذف بالزوارق . وكان
يقول : «إننا نرمى إلى خدمة الجسم وتقويته إلى أقصى حد مستطاع . لا للتباهى به أو استعداد
في قضاء ما أرب شخصية ، بل لغرض أسمى وأرفع . هو حماية الضعيف وبصرة العدل في
جمع ، وفتح الدنيا ، ووراثه الأرض ومن عليها» . ثم يقول : «وحيث إننا نريد أن نغرس
الإنسانية ، فأول ما نقرضه على أنفسنا هو أن نكون أعزاء الجوانب أقوياء السواعد» .

وفي هذا كان يقول «عروة بن الزبير» من ألف وثلثمائة سنة لولده : «يا بني العباد من أولاد
لا تكون إلا بعد اللعب» . والمروءة هي القيام بما فوق الواجب ، كالنحلة للمستفيد . وحماية الضعيف
وإلى القارىء صوتاً من صريكا في هذا الصدد . يقول «أميرسون» : يجب على الإنسان
أن يكون حيواناً قوياً ، إذا شاء أن يكون النجاح حليفه في هذه الحياة . والآلة التي نرى
أن تنبؤ مقعد صدق بين الأمم الراقية بحيث أن تتألف من أفراد كالحيوان بأسا وفود .
والواقع أن سلامة النفوس تتوقف إلى حد بعيد على صحة الأحشاء : فمن البادر جداً

محدد كائن متوقفاً في جسم خامد . والمشاهدات اليومية تدل على أن التردد في الأعمال من شأنه مدد الأجسام ، أما الأقوياء الأصحاء فهم موطن الجرأة . والأقدام . والثبات .
 وبشاهد في مجال الأخلاق كذلك أن الحدة ، وطيبة القلب ، ورحابة الصدر ، لا تكون إلا حيث تكون نصحة ، أما ضعف الجسم واضمحلال البدن فانهما مدعاة لسرعة الغضب وصيق الصدر ، ومبعث للظلم والجور في كثير من الأحيان .
 لنقف عند هذا القدر من التربية البدنية ، لنقول كلمة ختامية في موضوع التربية الخلقية .
 وهي لا تقل عن الأولى خطراً واعتباراً .

التربية الخلقية

إن الولد الصغير يتأثر منذ الولادة بالبيئة التي يعيش فيها ، وينظر إلى ما حوله من الأشياء نظرة المتحير المندمئذ الذي يحل فيها كل شيء ، ويريد أن يقف منها على كل شيء .
 والذي يساعد على تأثره بالبيئة المحيطة ، مروته العظيمة وقابليته السريعة لانطباع صور الأشياء في ذهنه وبقائها فيه زمناً طويلاً .

ومح الطفل في سنيه الأولى يحفظ عدداً عظيماً جداً من الألفاظ والعبارات بسرعة مذهلة ، ثم هو يقد تقليداً محكماً (وأتوماتيكياً) كل ما يصدر عن والديه والمحيطين به ، فابتساماته الأولى وإشاراته الأولى محاكاة وتقليد ليس غريباً . وكذلك الحال عندما يمشي الولد مشية أبيه ويتكلم بالدهاء وعباراته ، وكذلك البنت تلبس مثل أمها وتمشي مشيتها وتنطق بلغتها . وحتى إذا كان في لفتها بعض العيوب فإنها تنقله عنها .

ولا احتصار نقول : إن مح الطفل في هذه السن الصغيرة يشبه في سرعة التقاطه صور المرئيات آلة ميكانيكية المسجلة ؛ بل هو يتحدى أعظم تلك الآلات سرعة ودقة ، ففيه تنطبع الأقوال وحركات والإشارات كلها كما هي بلا تغيير ولا تبديل ، وبدون تمييز بين الخبيث والطيب ، والصالح والطالح .

وهو حب الوالدين والأهل إزاء هذه الآلة المسجلة البديعة أن يتخيروا أحسن ما عندهم من العبارات التي يتكلمون بها أمام الأطفال . ويمنوا بالألفاظ التي يقع نظركم إلا على الخادج الحسن والمثل الصالحة .

ولمذكر لقراء « المعرفة » على سبيل التمثيل حالتين هامتين :
 الأولى : يجب على الأهل أن يجتنبوا ما استطاعوا المنازعات والخصومات أمام الأطفال ، لها نقش في أذهان الأطفال ويبقى أثرها فيها مدى الحياة . بخلاف الزوجين فانهما لا يلبسان رئيساً كل ما وقع من هذا القبيل بينهما لكثرة مشاغلهم ، ولأن الحياة الزوجية لا تنحصر منها .
 الثانية : قد يبيح الإنسان لنفسه في منزله أن يتكلم بالألفاظ وعبارات لا يستطيع أن يتكلم

بها في المجتمع، فإذا خلا بر وجهه قد يتناول مثل أسير الناس بشئ من الدم والقدح، كما هو المشاهد في كثير من الأحيان، فإذا قيل ذلك أمام الأولاد الصغار غرس في نفوسهم قبح الميوب وشنع العادات، كالغيبية والحسد والحقد وما إلى ذلك.

هذا هو الشق السلبي من التربية الخلقية في الأسرة؛ إلا أنه يكفي أن يتمتع الوالدان عن ارتكاب مثل تلك المهنات لتسكون بيئة الأسرة بيئة صالحة لتنشئة الأطفال تنشئة حسنة. والشق الثاني إيجابي: ويجب على الوالدين إزاحة ابن بيئته في نفوس أبنائهما بعض تفصيل الخلقية الأساسية التي تقوم حائلاً منيعاً أمام رغائب النفس فتنمها من السقوط في شهواتها. وتلك الفضائل هي بمثابة الضابط الذي ينظم أحوال النفس، كما أن المجموع لعنصر في الجسم هو الضابط الذي ينظم حركات أعضائه المختلفة ويوزع عليها جهودها، كل عضو بنسبه لعمل الذي يؤديه للمجموع.

وإن طبيعة الطفل نفسها هي التي تملي علينا نوع الفضائل الخلقية التي يجب أن نغرسها فيه، وننشئها في ذهنه تنشئاً يبقى فيه مدى الحياة.

إننا إذا تأملنا تلك الطبيعة، ودققنا النظر في أطوارها وأحوالها، لا نلبث أن نشعر فيها خصلتين بارزتين:

الأولى: عدم الاستقرار. وسرعة التنقل من فكرة إلى فكرة. ومن عاطفة إلى عاطفة. ومن عمل إلى آخر، دون مناسبة أو رابطة؛ فتراها يغضب ويرضى، ويصيح ويهكم على التوالى، بسرعة مدهشة، وبلا داع، أو لداع نافعة لا يذكر.

وهذا الرق، وهذا الطيش، كانا من أهم سمات الإنسانية في طورها الأول. ولا ريب أن ظاهرين في الأمم المتأخرة التي لا تزال في أحط درجات الحضارة والعمران. فترى الرجل منهم يتبع بسرعة البرق لأقل الأسباب وتوهاها. ثم لا يلبث أن يهدأ ويسكن لكلمة بسيطة توجه إليه. فيبناها عدو مبین. إذا به صديق حميم. وتلك حال يعرفها السائحون والكاشفون. وكثيراً ما يستغفونها لعائدتهم. وإنحاح مشروعاتهم في تلك البلاد. وقد قطعت الإنسانية شوطاً بعيداً في هذه السبيل. وظلت أجيالاً وقروناً حتى انتقلت من الخفة والغيث إلى رداء والاستقرار، الذين نشاهدنا الآن في أفراد الأمم الراقية.

هذه هي سبيل الأمم في التدرج في الرقي، وتريد التربية أن تتدرج بالطفل في هذه حبيب. ولكن على أن تقطع في بضع سنين الأدوار التي قطعتها الإنسانية في عدة قرون.

وعلاج الاطفال في هذه النقطة يسير لا يحتاج الى عناء كبير؛ ذلك أنه يوجد في النفس - بجانب نرفقة وخفته - ميل كبير الى التمرد السريع. فتراها إذا أتت عملاً جملة مرات يائسه ويمتدده

ويؤاظب عليه بدقة مدهشة ، لدرجة أنه يغضب إذا اضطرب للعدول عنه . فإذا أجلسه إلى مائدة في محل معين أياماً متتالية ، فإنه يسرع إليه ويجلس فيه من تلقاء نفسه . وإذا اعتدى عليه أحد من إخوته ، وأدركه منه ، فإنه يغضب ويفادر حجرة الأكل ؛ وكذلك يتعود الأكل بأدوات مائدة معينة ، ويجب ألا يتخدمه إلا الخادم الذي اعتاد أن يتخدمه ؛ وهكذا .

الخطوة الثانية : ميله الفطري إلى تجاوز الحد في كل شيء وبلوغ الغاية في كل مأرب ؛ فإذا أحب شيئاً ، فإنه يذهب فيه إلى أبعد مدى - إلى درجة النهم - وإذا منع عنه فإنه يغضب ويبكي ويتمتع على الأرض . كما يقول « دارون » ، ويضرب وجهه بيديه . ويدفع كل ما يترصده من لأشياء في طريقه . حتى ليحيل للإنسان أنه إذا تركه وشأنه على هذه الحال يموت غيظاً وكداً .
فالتربية الحقة تختم ومع حد لهذه العواطف النائرة . التي إذا لم يكبح جماحها في الأطفال منذ الصغر ، ألقت بهم في هاوية سحيقة لا منقذ لهم منها .

ولقد صور الشاعر الألماني العظيم (جوته) - منذ مائة عام تقريباً - مقدار تملك العواطف للإنسان إذا لم تحد . . . في شخصية (فاوست) الذي يحدثنا التاريخ عنه بأنه رجل عاش في القرن السادس عشر للميلاد . وكان مثالا بارزاً للتمطش الزائد إلى ملاد الحياة جميعاً ، والانهماك فيها . وبلغ أقصى الغايات في كل ما يريد من علم ونقود واستمتاع ، فكانت عاقبة هذا الشمر غير محمود ، أن عاش طول حياته يعمى أشد الآلام . ويقامى أمر الأحزان ، وقصته مشهورة معروفة وهي تبسط كل ما أجهلناه .

وقد توصل علماء النفس في هذا العصر - بعد البحث والتنقيب والتحريب - إلى معالجة هذه خسة في الأطفال . وفرروا أن القفل في سببه الأولى يكون في حال عقلية شبيهة بعقلية النائم بتريق الاغواء أو الايحاء المغناطيسى .

الترويم المغناطيسى

كما يعرف أنه يشترط لنجاح الترويم المغناطيسى شرطان أساسيان :
الأول . أن النائم يكون في حالة تبعية تامة للنوم . فراه كأن إرادته قد سلبت . وكأن عقله قد سلب . وحلا من كل فكرة ، وكأنه قد أصبح في عزلة تامة عن لوسط المحيط به . فلا يرى لأشخص المنوم ، ولا يسمع إلا كلامه . وعلى ذلك فكل فكرة يوحى بها إليه . تدخل دهنه ولا تجد فيه فكرة أخرى تنازعها وتعارضها ، فيطيعها وينفذها بالفعل .

الشرط الثانى : يجب على المنوم أن يوحى إلى النائم الأفكار بصيغة الأمر « إني أريد » وأن يشعره بأن أمره نافذ لا محالة . وأن واجبه أن يطيع ويمتثل لهذا الأمر . كما إذا خاطبه بغير صيغة الأمر الحاسمة ، بأن شرع يناقشه في الفكرة الموحى بها . فقد زالت كل سلطة له عليه . وهذان الشرطان متوفران في الطفل في علاقته مع المرءى والوالدين .

ولذلك لأنه في هذه السن الصغيرة ، في حالة تبعية لمربيته ولوالديه . شبيهة بتبعية النائم للنوم

السابقة الذكر . فان دهن الطفل . وإن لم يكن خاليًا من كل نقش (Tabl au Ranc) . إلا أن ما فيه من ميول وغرائز وتصورات شيء يسير لا يستطيع أن يقف حائلًا دون دخول الأفكار الجديدة فيه . ولذلك كان الطفل سريع التأثر بالقدوة والمن . سهل الانقياد . شديد الميل إلى التقليد والمحاكاة الثاني : لأنه إذا خاطبه المربي بصيغة الأمر . فإنه يمتثل وأمره ويطيع لصاحبه بلا تردد ولا توان . والتجارب البسيطة الآتية تؤيد ذلك كل التأييد :

إذا وقفت أمام طفل عمره سنتان ونصف سنة ، وقد شرع في شكل قطعة من الخبز . وقلت له بصوت عال وبدون إبداء شيء سبب : « الآن قد شبع الطفل » . والحال أنه لم يتناول إلا القمعة الأولى فإنه يلتقي بقطعة الخبز الباقية على المائدة وينفض يده منها . ويظهر أنه قد شبع تمامًا . وقد أمكن بالطريقة عينها إقناع أطفال في سن الرابعة بأن الألم الذي يشكون منه عقب وقوعهم على الأرض - مثلاً - قد زال تمامًا . وأن ما به من عطش زائد قد طفي . ورأى كذلك . كل ذلك بشرط أن يكون الكلام الموجه إليهم في هذا الصدد بصيغة الأمر القاطعة . من غير إزجاج الطفل لايقاع الرعب في نفسه .

بهذه الطرق الحكيمة . والأساليب العلمية الصحيحة . يجب أن نأخذ النشء من بدء حياته حتى يشبوا على ضبط أنفسهم بأنفسهم . ويتمودوا بإيقاف كل رغبة من رغباتها عند حد معين . فلا يطلقون العنان لواحدة منها . حتى تتعدى طورها وتجاوز حدها . فتصر بالجموع ضرراً قد يورده موارد الخسران و الهلاك . بغاية الفرد كحياة الأمة . توازن قوى يحتوى بمصها بعضاً ، ويدفع بمصها بعضاً . فإذا احتل هذا التوازن أعقبه الهلاك والفناء . يقول ميسو ميل دوركين في كتابه « التربية الحلقية » : إن أمة لا تفرح بالفساد ولا تشذوق جماله ، أمة متوحشة . ولكها من جهة أخرى . إذا لم تشغل إلا بالفن خاصة . مهمل بذلك شئوننا الحيوية الجديدة الأخرى . نشرها بأن عمرها قصير وأيامها محدودة .

وقصارى القول أن النشاط الانساني يجب أن يخضع في جميع بواحيه لنظام خاص . وأن تقف كل ناحية منه عند حد معين . وغاية محدودة ؛ فكما أن الانسان إذا أراد أن يضيق ألم الجوع مثلاً ، أخذ مقداراً معيناً من الغذاء . كذلك الحال في المعقولات ، فإن الاجتهاد في تحصيل العلم إلى أقصى مدى . يضر أولاً بالجموع العصبي داته . كما يضر بقوة الارادة التي تأخذ طبعاً في الضمور والاضمحلال . كما غلا العقل وتوغل في كسب العلم .

إن جهود الفرد محدودة . كما أن جهود الأمة محدودة . فيجب إذا أراد كلاهما أن يعيش عيشة منظمة ، أن توزع تلك الجهود على ضرورات الحياة المختلفة . كل بنسبة أهميتها .

أحمد فهمي العمروسي

هل التاريخ علم؟

بقلم الدكتور عبد الرحمن شريفة

إن انتشار الكذب الصريح في المدونات على أنواعه - ولا سيما كان من قبيل الدهائيت في الصحف - سيارة - واكتب المأجورة - والاعلانات الممنوعة في ضاهرها - التجارية في باطنها - كى ذلك حدث في قلوب أهل الحيل الحاصر - حتى المدحمة من الناس - شكاً في صحة التاريخ من حيث هو تاريخ.

فإننا صدقنا مثلاً كل ما كتبه الأدباء من المقيمين في المملكة العثمانية - على العهد الحميدى عن السلطان عبد الحميد ، خصوصاً في المرض السانحة ، كيوم ولادته أو يوم جوسه لقلنا : إنه كان رسول الرحمة تفصلت به العناية لا تقاذ البشر من برائن الظلم وأنياب الشر ، وإن فصله عنه في هذا المضمار لم يكن دون فضله في تنوير عقول الناس وترويض النشء الحديث بالعلم وعن : ما يصفه أمامه العصر الذهبى على عهد العباسيين . ويتضاءل عنده حليفة بارز كالخليفة عبد الله المأمون !

وعنى عكس من ذلك لو صدقنا كل ما كتبه خصوم هذا السلطان - ممن قووا الاستبداد وصارعوا الاستعباد - لقلنا إنه كان سوط عذاب أرسل لنقصه على الأبدان والأرواح واعتور في وقت واحد - وإن النطاق الكشيف الذى قامه حول « يدز » من الحرام والجوايس - للدليل قاطع على ما يحاصر نفسه من الهوايس التى عموأعد الناس بأسبابها ، مخاض حائف - والجوايس مرايا تقيع تنعكس عليها صور الدين يستخدمونها .

وحدثنى يوم خرجت إلى الثورة في شهر أغسطس من سنة ١٩٢٥ ، ثنى ضللت السطة عتبة - واهتمتها من سفرى مغرباً - في حين كانت تتوقعه إلى الشرق - فلما وصلت - وأنى في صريق - جبل الدروز - إلى مأمن في غوطة دمشق ، قمت فيه يوماً أو يومين ، تناولت بعض الصحف اليومية ، فإذا فيها بالعنوان الكبير « القبض على الدكتور زهير » . وتحت هذا العنوان قرأت التفاصيل : كيف اهتدى إلى رجال الأمن في (الزبدانى) : وكيف ساقوني إلى دمشق : ! وأودعوني دائرة الشرطة : فكان الناس يذهبون لرؤيتي . فلا يجدون لحسن حتى وسوء حظ سيارتي ، إلا أنها هي المقبوض عليها . والمودعة في السجن رهن التحقيق بترر لصوص الاستعمار ابتلاعها حتى من غير حكم صادر من محكمة ولو تلتقيت .

وحسب الدهائيات الكاذبة احتقاراً أن يصبح الدعاة المأجورون الذين يروجون الباطل سبباً

في شئ الناس في صحة الحق ، فمن حق بالاحتقار ياترى ممن يسبل على شمس المستبصر حجاب
كيفاً من الأكاذيب والأضاليل ؟

وللحكاه الطبيعيين اعتراضات عمية وجيبة على التاريخ : خلاصتها أنهم ينكرون عليه أن
يدعى « عماء » ، لما تعودوه من حصر هذه الكلمة في الموضوعات التي يقتلوها بخلاف بحره
وحقول تجاربهم ، وإذا لم يتمكنوا من إعادة هذه الموضوعات وتكريرها بأحوالها وملاساتها
في الوقت الذي يختارونه ، فهم على أقل تقدير يصبطون أوقاتها أو يستطيعون مشاهدتها
بدم بارد بعيد - جهد الطاقة - عن مؤثرات الخاصة والصبغات المفروضة - كما هي الحال في
مشاهدة الكسوف والخسوف - ، مما التاريخ فهو - في نظري - فن من الفنون مزوج دنيو بدأ
بالمعامل النفسانية المنفعلة والمواطف المضطربة ، شأن سائر الروايات والأخبار والأفصاف
فتكتسب هذه من الشوائب في جولانها في صدور الرواة وخروجها من أفواه - ، فيكتسب
ماء لنين من الكدورات في سبله في الودين من منبعه إلى مصبه .

فلا عجب والحالة هذه أن يعرف اللورد (اكنتن) العلم بأنه : ضم مجموعة كبيرة من
حقائق متشابهة تحت وحدة مؤلفة من إطلاق قياسي أو قاعدة عامة أو دستور شامل ، مما
ينكسأ أن تنبأ بالتأكد عن تكرار الحوادث المتماثلة في الأحوال المعروضة .
وبسبب هذا التعريف الرياضي الدقيق ومشاهاه من التعاريف الحادة المانعة - لا يبد
التاريخ علماً ، وذلك :

١ (أولاً) لأن المفروض - - حتى في التاريخ نفسه : دعه عنك العقائد والأديان والأحلال -
أن للالسان جزءاً اختيارياً أو إرادة تعمل من نفسها وبوجيها . حصر هذا الإله في
دستور علمي ثابت لا يتغير ولا يتبدل كدساتير الجاذبية والحرارة والكهربائية والنور ، يتجلى
على فكرة الاختيار قضاء مبرماً . ويذهب بما يدعيه الانسان من حرية في العمل ، ومبني
عليه بسببها من تبعه مسؤولية - إذ يجعله آلة ميكانيكية تعمل بمحرك خارجي ليس إلا .

٢ (ثانياً) لأن الظواهر التي بنى عليها التاريخ في كثير من الأحيان ، ليست كيدة إلى درجة
يستطيع أن يعتمد عليها العالم المحقق باضمئنان ؛ فاقول القراء الكرام مثلاً ، في أن هاتين
أساطير أهل العلم في ديار الغرب - مثال « دافيد فريد رينج شتراوس الألماني ، وأشباهه
من المعاصرين - من ينكرون محيى السيد المسيح ، أو على أقل تقدير ، من ينكرون وجود
شخصية تاريخية تنطبق عليها هذه الأوصاف المذكورة في الأناجيل من رؤية الخورق في
السماء ، وعمل المعجزات على الأرض ، وسكوت التاريخ المعاصر عن ذلك بشاناً ؟

إن هذا العقل العلمي لم يجد في تمازج من الأخبار الممكنة والمستحيلة منفذاً إلى الاصلين ،
بل صرب بالجميع عرس الحائط ، ونكر وجوداً مقدساً يسجد له في عصره هذا مئات الملايين
من أرقى شعوب الأرض

(ثالثاً) لأن الظواهر التاريخية المدونة قد انقضت وأكل الدهر عليها وشرب ، فليس في مقدور استعادتها لمراقبتها من جديد . وأما الذين شاهدوها ووصفوها أو تلقفوا حبرها من الأفواه ودونوه كما سمعوه ، فلم يكونوا مزودين بالعلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وخصوصاً بعلم النفس ، فيتمكنوا من فهم الأسباب الطبيعية والبواعث الدخيلة في تفسير الحوادث والمجريات .

وعلاوة على ذلك فالحوادث التاريخية التي تجري في يومنا هذا . ليس في طاقتنا — في أغلب الأحيان — أن نشاهدها مباشرة . بل نحن منظرئون أيضاً إلى الاعتماد على رواية الآخرين لها . وحسب القاري أن يأخذ كتابين لمؤلفين معاصرين . عن رحلة إلى قطر من الأقطار . ليقرر بحسب العجائب من التناقض في الوصف والحكم والاستحسان والاستهجان .

(رابعاً) لأن التاريخ ليس حقل تجارب . ولا المجتمع البشري مخبراً أو معملآ ؛ فلا يمكنه — بخالة هذه — عمل التجارب التي هي في الحق . أساس العلوم الحاضرة ؛ على أننا قد نستفيد من اشتراعي من أهل التهور ، وبالمتحمسين من أهل الإصلاح عما يحدثونه . وهما هذان : الروسيا وتركيا بحرين كبيران . يقوم فيهما « ستالين » و « مصطفى كمال » بتجارب اجتماعية سياسية واقتصادية من لطراز الأول من الانقلابات التي تشبه التجارب العلمية في نتائجها .

(خامساً) لأن كل حادثة تاريخية هي فذة بحد ذاتها أو نتيجة وحدها ، فليس من المتيسر مشاهدة أمثالها في نفس الظروف والملايسات التي أحاطت بها . وعليها أن تقبل بكل تحفظ ما جرى بحري لأمثال من قولنا « التاريخ يعيد نفسه » ؛ فقد يصح هذا بالصورة المحممة المبهمة . وما عند التعمق والتدقيق بالصورة المفصلة . فالتاريخ وحيد دهره .

(سادساً) لأن ظواهر التاريخ معقدة تعقيداً كلياً ، وليس بين المؤرخين — كما قل الأستاذ هارثو — اتفاق على ماهو مهم أو ماهو تافه ، ولأن عنصر « الصدفة » — وهو ما يحدث عرضاً — كثير الوقوع .

فلهذه الأسباب وماسبقها من أن حوادث التاريخ فذة لا تتكرر ، لا يمكننا أن نصف هذه الحوادث ، فنضعها في أبواب خاصة . كل باب منها يشمل الحوادث المتأالة في نوع . وهذا تصنيف أو التنبؤ — كما هو معوم — هو الأساس الذي تبنى عليه القواعد السكية شاملة والاستنتاجات الصحيحة ، والدساتير العلمية المضبوطة . حينما لا يوجد تصنيف لا يوجد استنتاج ؛ فلا جرم أن يكون التنبؤ عما سيحري من الحوادث التاريخية ، كما يتنبأ الفلكي عن الكسوف والخسوف مثلاً ، ليس في حيز الامكان .

هذا بالاجمال هورنى القائلين بالطريقة العامة وتمذرتطبيقها في الشؤون التاريخية. ولدى
 « العلم » - والحق يقال - أوسع من أن يوضع في هذا الخلاء الضيق . وأطلق حرية من أن يقيد
 بهذه سلاسل الذهنية الخلالية التي يريد الطبيعيون التخلص أن يضعوها في عنقه ؛ ومع كل
 احترام ، لفرقهم الاستقرائية البديعة ، وتقديرنا للنتائج الباهرة التي تفضوا على الناس .
 فكلمة « العلم » يجوز أن تطلق أيضاً على كل مجموعة من ملاحظات صحيحة تقبل المنهج
 تحت إشراف العين البصيرة النقاداة من غير تعصب يحول دون رؤيتها الحقائق الواقعة . فإن
 الاسناد (توماس هكسلي) : « إنني أفهم بكلمة العلم جميع فروع المعرفة التي تستند إلى
 التعليل والاثبات »

ودرس التاريخ على هذا النمط من جمع الحقائق وتنظيمها وعرضها للنقد ونصفيتها من
 آثار تعصب الذميم . قد أتى بكثير من الثمرات اليازمة في تنوير الأدهان ورفع المستوى
 التهذيبي . وحولنا في بعض الأحيان وضع الدساتير العلمية الصادقة . كقولنا « متى كان الشعب مستنيراً
 متذكراً ، واستطاع زعماءه أن يررعووا في قلبه الأمل بالاصلاح العاجل . فإنه ينور في وجه
 حكومته عند أول فرصة سانحة »

وقد زاد في ترسيخ قدم « التاريخ » صلته بعلم الاجتماع وارتباطه بنتائجه . وعين في
 ملاحظهما الفرق بين هذين العلمين : فالمورخ الخليق بهذا الاسم يرى تعليل الطريقة الاجتماعية
 التي يسير بمقتضاها المجتمع في الماضي . في حين يرى الاجتماعي تعليلها في الحاضر . ويجمع المؤرخ
 الحوادث التي حدثت ، ويسعى ليفسر بها ما يعرض أمامه من الشؤون الاجتماعية . ولكنه يفسر
 جميعها بعرضها على علم الاجتماع أيضاً . ليدركها ويحيط بكنهها . فهو إذا مضطر إلى التسليم
 في فهم الحقائق الماضية ، بيد أن هدفه في الماضي دائماً حيث يرى كنوز المجتمع محبأة . ولم
 الاجتماع فيرى هذه الكنوز في الحاضر . فلأجرم أنه يحمله قبلته ، ولا يهتم من الماضي إلا ما كان
 متعلقاً بالحوادث التي يمر أمام عينيه .

وكما تراه التاريخ عن حصر سعيه في الأفراد - من أمراء ورؤساء إلى آحره - ، ولم يدرك
 من شأنهم إلا ما يستدل به على حالة المجتمع الذي عاشوا فيه باعتبارهم فهرستاً له . وكما فاض
 في وصف « التاريخ الطبيعي » للجمعية البشرية ، فوصف حكوماتها . وطريقة بسائها ، والقواعد
 التي تسير عليها ، والمقاسد التي تنخر عظمها ، والتعصبات التي تعمى بصرها ، والانفعالات
 التي تدفعها ، ثم وصف الحكومة الدينية ، وبين قوة سلطانها وعلاقتها الرسمية بالدولة ، وشرح
 العقائد التي تدين بها وتشرها في الشعب ، وتضطهد الناس من أجلها . وكيف كانت ترسر
 الناس إلى عمق السجون ، وإلى سدد المشاقق من أجل ترهات لم تحجم في ما بعد عن التبرؤ منها

ثم حلل الأوضاع الاقتصادية والمالية والصناعية والتجارية وحروب الضبقات وسيطره ووسائل
لأموال. وما إلى العادات الاجتماعية التي أقرها العرف. وإلى الروابط « العائلية » التي
يدينها الشرعية فجنى غوامضها، ثم عرج على الفنون الجميلة، وهي معيار ذوق الأمة. فأعطاه حقها
من لا يوضح... إن المؤرخ كلما أفاض في مثل هذه الشؤون العامة التي تسير بما يشبه النظام، كان أقرب إلى
لانساق الاستقراء والاثبات العلمي، وأبعد عن مواقع الخطأ الناشئ عن الشذوذ الفردي.
وخوخ الوهمي الذي لا ضابط له. وأما أولئك « المؤرخون » الذين وقفوا « تواريحهم »
على جمع أخبار الملوك باعتبارهم موكا فقط، فذكروا ما كان لهم من السراري والحظايا والآباء
والأحفاد والقصور والخيول والاسطبلات وما إلى ذلك من الأخبار القافية فأحر بهم
« عوا حفاظ روايات وكتاب أقاصيص وحذاب عوام ! قال المستر (هررت سنسبر) في فصل
عقده عن التاريخ بعد آية في الأحكام :

« إن ما يتألف منه التاريخ الخلق بهذا الاسم محذوف أكثره من الكتب المدونة المعروفة
في هذا الموضوع، وفي السنين الأخيرة فقط أخذ المؤرخون يزودوننا بمقدار صالح من الملاحظات
قيمة. وكما كان الملك في العصر الخالية الكل في الكل. وكان الشعبية مهمة. كذلك
كنت أعمال الملك تملأ في التواريخ الصورة المتجلية، وكانت الحياة القوية من ورثها رقعة و
أرضية) فائمة اللون ليس إلا. ولم يأخذ المؤرخون في الاشتغال بمظاهر التقدم الاجتماعي
إلا في هذا العصر، إذ أصبحت سعادة الأمم - لا سعادة الأمراء - الفكرة السائدة »
ونحن إذا ما اهتمنا بفرد من الأفراد البارزين، ووسعنا له مجالاً في مدوناتنا الحاضرة،
فإننا نعمل ذلك لما لهذا الفرد من الخصائص والأعمال التي تجعل حياته عنوان العصر الذي عاش
فيه. والأمة التي نشأ في أركانها، ولكن ما أقل هؤلاء الأفراد في جميع الأعصار والأمصار
عبد الرحمن شهنشرو

أيها المشرك!

إن « المعرفة » لتفخر كل الفخر، بأنها مجلة المنقذين والعطاء، وبأن مشركيها من حاسة
العطاء والآباء في جميع أنحاء الشرق العربي.
لذلك يهمها أن تحافظ على سمعتهم الأدبية، من اتهامهم بعدم تقدير المشاق الصحفية،
وما نبذل في سبيل « المعرفة » من مال وجهد.
هل أدبت واجبك نحوها؟ وهل سددت اشتراكك؟ تذكر قليلاً، وتفضل مشكوراً
بتسديد ما عليك إن لم تكن سددته.

مارستانات مصر في العصر الاسلامي *

بقلم الدكتور أحمد عيسى بك

من عرف من الأطباء بخرمته بيمارستانه الحمراء طولون

- ١ — محمد بن عبدون الجيلي العذري: رحل إلى المشرق سنة ٨٣٤٧هـ، ودخل البصرة وبنى مدينة فسطاط مصر، وبنى بيمارستانها ومهر بالطب ورجع إلى الأندلس سنة ٨٣٦٠هـ. وخدم بالطب المستنصر بالله والنويد بالله، وكان قبل أن يتطبيب مؤدباً بالحساب والهندسة. قال القاضي صاعد^(١) «وخبّرني أبو عثمان سعيد بن البغواتي الفيلسفي: أنه لم يلق في قرطبة أيام طبه من يلحق بمحمد بن عبدون الجيلي في صناعة الطب وله من الكتب كتاب التكميل».
- ٢ — سعيد^(٢) من نوفل طبيب نصراني كان في خدمة محمد بن طولون.
- ٣ — شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المصري، مدرس الأطباء بجامع ابن طولون. كان فاضلاً له نظم مات في شوال سنة ٨٧٧هـ.

٤ — المارستانه الندف^(٣) (بالفسطاط) أو بيمارستانه كافور الانفسير

بناه الخازن الذي عمر المقياس بالاهراء، عمره وعمر الميضاتين المرسومة إحداها لتفسيخ المولى والسقاية. والحمامين المعروفين بحمامي بوران، وأجرى الماء إلى الحمامين والميضاة من البئر التي في الصاغة. وذلك في سنة ٨٣٤٦هـ. قال نقضائي: «إن الأخشيد أمير مصر حبس جميع ما بناه من قبة رية ودور وحوانيت على المارستان الأسفل والميضاتين والسقايتين وكعنان المولى، وذكر شيوخ المصريين المؤرخين أن هذا المارستان كان فيه من الأزيار الصيبي الكبار والعراني وفدور النحاس والهواويس والطشوت وغير ذلك ما يساوي ثلاثة آلاف دينار، ونقل إليه من المارستان الأعلى الذي بناه ابن طولون أضعاف ذلك. وليس به الآن (قول بن دقيق الشراب ولا دواء يلتصقه فقير، وإنما يطبخ فيه في السنة) كلمة غير مفهومة في الأصل) يسير» كثر الصنفاء لا يصون إليه، ثم بطل ذلك. وقال تقي الدين المقرئ: «هذا المارستان بناه كافور لأخشيده وهو فتم بتدبير دولة الأمير أبي القاسم أنوجور بن محمد الأخشيد بمدينة مصر في سنة ست وأربعين وثلاثمائة (٩٥٧م).

* راجع «المعرفة» عدد يناير سنة ١٩٣٣ وما قبله.

(١) صباغات الإلم من ٨١ طبع بيروت (٢) حسن نخعزة لسبوطى من ٣١١ ج ١ (٣) لا مصر

ص ٩٩ ج ٣ و٤

٥ - بیمارستانه القضاة

قال القاضي محي الدين عبدالظاهر^(١): بلغني أن بیمارستان كان أولا بالقشاشين، يعني المسكن المعروف الآن بأخراطين، على القرب من الجامع الأزهر. وهناك كانت دار الصرب بناها مأمون بن السفاح وزير الأمر بأحكام الله قبالة بیمارستان. قال تقي الدين المقرئ^(٢) في كلامه عن درب حربة صالح: هذا الدرب على يسرة من سلك من أول الخراطين إلى الجامع الأزهر، كان موضعه في القديم مارستانا ثم صار مساكن وعرف بخربة صالح وفيه سوق الصناديقين. وهو عن سوق الصناديقين: إنه تحاه المدرسة السيوفية، كان موضعه القديم من جملة المارستان.

٦ - بیمارستانه السقطيين

كان هذا المارستان في سوق السقطيين خارج باب رويلة بجوار دار التفاح، قال ابن أبي أصيبعة^(٣): وكان أبو الحجاج يكمل في بیمارستان بالقاهرة. غير الموضع الذي صار حينئذ بقاهرة بیمارستانا. وهو من جملة القصر. أي غير بیمارستان صلاح الدين يوسف، وكان بیمارستان في ذلك الوقت في السقطيين أسفل القاهرة.

ومن خدم في هذا المارستان شهاب الدين أبو الحجاج يوسف الكحال، كان يكمل في بیمارستان بالقاهرة. وكان بیمارستان في ذلك الوقت في السقطيين أسفل القاهرة. وذلك بناء في زمن ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب للديار المصرية. أي قريبا من سنة ٥٦٧هـ ١١٧١م.

٧ - بیمارستانه الناصري أو بیمارستانه صرح الزينة

ما ملك^(٤) السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية (٥٦٧ - ١١٧١ م) وستوى على القصر^(٥). كان في القصر قاعة بناها العزيز بن المعز في سنة ٥٣٨هـ ٩٩٤ م. ختم سلطان صلاح الدين بیمارستانا. وهو بیمارستان العتيق الذي داخل القصر. وهو باق على هيئته إلى الآن^(٦). أي إلى زمن المؤلف. ويقال إن فيها طلسم لا يدخلها عن، وإن ذلك هو حسب الموجب لجعلها بیمارستانا. قال القاضي محي الدين بن عبدالظاهر: ولقد سألت المباشرين دمارستان المذكور عن ذلك في سنة ٦٥٧هـ فقالوا صحيح.

قال أبو المروار البكري^(٧): عند كلامه على المارستان: قصر أولاد الشيخ من جملة القصر

١ - تاريخ الأعيان ص ٣٦٩ ج ٣ (٢) مقرئ ص ٤٠ ج ٢ (٣) عيون ص ٢٤٧ ج ٢
٢ - تاريخ الأعيان ص ٣٦٩ ج ٣ (٤) أبو القاسم أحمد بن محمد بن يوسف الكمال عليه السلام (٥) النوف
٣ - تاريخ الأعيان ص ١٤١٨ ج ١ (٦) كتاب طب الأزهر في الحصر والاعراض - مخطوط
دار الكتب

الكبير، وكان قاعة فسكنها الوزير صاحب معين الدين حسن بن شيخ شيوخ صدر الدين بن حمويه، في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب. فعرف به المارستان العتيق. قال القاضي القاضى في متجددات سنة ٥٧٧ هـ ١١٨١ م: أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بفتح مارستر المرسى ولصنفاء فاختير مكانا بالقصر. وأُفرد برسه من جملة الرباع الديوباية مشاهرة مسقف مائة دينار وغلات جهتها. واستخدم له أطباء وكحالين وجرأحيين وشارفا وعاملا وحدا. ووحد الناس به رفقا وبه نقما. وقال ابن عبد الظاهر: كان المارستان قاعة بناها العزيز بالله سنة ٥٣٨ هـ ٩٩٤ م. وقيل إن القرآن مكتوب على حيطانها. ومن خواصها أنه لا يدخلها نمل لسممها. وفيه قين ذلك لصلاح الدين يوسف بن أيوب. قال هذا يصالح أن يكون بمارستانا. وسألت مشايخه عن ذلك فقالوا صحيح.

قال أبو الحسين محمد بن جبير^(١) الرحالة الأندلسي الكبير، عند ريارته لمدينة عمارة سنة ٥٧٨ هـ ١١٨٢ م، وذلك في زمن السلطان صلاح الدين: «وما شاهدناه من مبحر هذا السلطان المارستان الذي بمدينة القاهرة. وهو قصر من القصور الرائقة حسنا واتساعا. أبرره لهذه الفضيلة تأجرا واحتسابا. وعين فيما من أهل المعرفة وضع لديه جزائن العقاقير ومكة من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها ووضعت في مقاصير ذلك القصر سريرة بتجده. المرضى مضاجع كاملة الكسي. وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكفون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشية، فيقالبون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم، وبإزاء هذا الموضع موضع مقنطع للنساء المرضى، ولهن أيضا من يكفلن، ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آحرمتسغ الفناء فيه مقاصير عليها شبائيك من الحديد اتخذت مجالس للمحائين. ولهم أيضا من يتفقد في كل يوم أحوالهم ويقابلها بما يصلح لها، والسليمان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيده. وقال على مبارك باشا^(٢): لما تولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب السلطنة، وفرق أماكن قصر الخلافة على أمرائه ليسكنوا فيها. حمل موضعا منه مارستانا وهو المارستان المشهور بالعتيق، وجعل بابا من حارة موحية. وهي حارة قائد القواد قديما، وموضعه الآن الدار المعروفة بدار غمري الحصري مع ماحورهم من الدور، كما وجدنا ذلك في حجج الأملاك. وهو بآخر الحارة من جهة بابها الصغير الذي هو من جهة قصر الشوك، وتصل هذا الباب أحد أبواب القصر الكبير المرقق. وكان يسمى باب قصر الشوك، ويدخل منه إلى المارستان العتيق.

محمد عيسى

٣- مملكة الحيرة في أيامها الأخيرة*

بقلم الأستاذ يوسف بك غنيم

وزير مالية العراق الأسبق

وفي زوال دولة المناذرة قال ابن بقله : (١)

أبعد المنذرين أرى سواماً قد دوح بالخسوف والسدير
وعد فوارس لسمان رعى قنوصاً بين مرة والحفير
فصرنا بعد هلك أنى قبيل كحرب المعز في اليوم المطير
تسمننا القبائل بعد مدد علانية كأيثار الجزور
وكسا لا يرام لنا حرم فمن كضرة الضرع الفخور
تؤدي الخرج بعد حراج كسرى وخرج من قرينة والنضير
كدالك الدهر دولته سجال فيوم من مساء أو سدور

وهل لقمقاع بن عمرو في أيام فتح الحيرة : (٢)

سقى الله قمتى بالفرات مقيمة وأحرى بأثباج النخاف الكوايف
فمن وطئنا بالكواظم هرمزاً وبالننى قرنى قارن بالجوارف
ويوم أحطنا بالقصور تابعت على «الحيرة» الروحاء إحدى المصارف
حططنا منها وقد كاد عرشهم يميل به فعل الجبان الخالف
رمينا عليهم بالقبول وقد رأوا غبوق المنايا حول تلك الخارف
صبيحة قالوا نحن قوم نزلوا إلى الريف من أرض العرب المقائف

كان الدهاقين يتربصون بخالد ، وينظرون ما يصنع أهل الحيرة ، فما استقام ما بين أهل الحيرة وبين خالد واستقاموا له . أنه دهاقين الملقاطين وصالحوه . (٣)

وانخذ خالد بن الوليد الحيرة منزله سنة ، وهو يصعد ويصوب قبل خروجه إلى الشام (٤) ؛ وكان أبو بكر قد عهد إلى خالد أن يأتي العراق من أسفل منها ، وإلى عياض أن يأتيه من فوقها ، وأيهما سبق إلى الحيرة ، فهو أمير على الحيرة . وكانى بالفتاحين المسلمين

* راجع « المرفة » عددي ديسمبر ١٩٣٢ ويناير سنة ١٩٣٣

(١) الطبري ٤ : ١٣٠ (٢) الطبري ٤ : ١٥٠ (٣) كدك من ١٧ (٤) كدك من ١٨

(م - ٤)

قد اتخذوا الحيرة قاعدة حربية في فتح العراق ؛ وبعد فتح الحيرة . فتح المسلمون الأنبار وعين التمر ؛ وبعد سفر خالد إلى الشام . أقام المنى بن حارث الشيباني بالحيرة مع عمرو بن حزم الأنصاري . ووضع المسلحة . وأدرك الميمون ؛ واستقام أمر فارس . بعد مسير خالد من الحيرة بقليل . وذلك سنة ثلاث عشرة ، على شهر يران من اردشير بن شهرير سابور . فوجه إلى المنى جنوداً عظيمةً عليهم هرمز جادويه . خرج المنى من الحيرة نحوه . وكانت معه للعرب . وعم المنى موقفه وأن لا قدرة له على الدأ في الجهاد بلا نخدة . فذهب إلى المدينة وبين موقفه إلى أبي بكر . وكان على فراش الموت . فطلب أبو بكر إلى عمر بن الخطاب أن يبعث نخدة إلى بلاد فارس ^(١) .

لما ولي عمر بن الخطاب لم يكن همه إلا العراق . فعقد لأبي عبيد بن مسعود على جيش وأمره بالمسير إلى العراق . ومعه المنى بن حارثة . وعمرو بن حزم . وسليط بن قيس . فساروا حتى رتلوا النعلبية . وعقد أبو عبيد الخراج جسرأ . وعبر بمن معه على كره من مشوره سليط والمنى ؛ ورحم عليهم المعجم . فرشقوه بالشباب حتى كثرت في المسامير المراحا . وقتل في هذه الموقعة أبو عبيد ^٢ . فرجع الباقر من مرس نحو الجسر . والمنى يقاتل من ورثه جميعهم حتى عبروا جميعاً . وعبر المنى في آخره . وقنعوا الجسر . وكتب إلى عمر بما جرى من الخاربة . وكتب إليه عمر أن يقيم إلى أن يأتيه المنى . وكانت هذه الموقعة في رمضان سنة ١٣ هجرية ؛ ثم أرسل عمر بن الخطاب جيشاً وولى عليه جرير بن عبد الله الحنفي . فسار حتى ولى النعلبية . ثم سار حتى رتل در هند . فبقي ذلك أثر مديدحت ملك . معجم . فأمرت أن يستدب من مقاتليها . ثم سار ألف فارس . فأتى دبووا وولت عليهم مهران بن مهوريه عظيم ثمراربه . فسار بالجيش حتى ولى الحيرة . فتقاتل الفريقان وخبث المعركة . عن قتل مهران واهزام المعجم لاحقين بالمدائن ؛ وكانت هذه الوقعة سبب جمع ررميدحت وتميث غلام اسمه رندخرد من عقب كسرى س هرمز ؛ واستحاش بزدجرد حوده من آفاق مملكته ^٣ . وشغل جيش المسلمين . فكثرت المسلمون إلى عمر بن الخطاب بما يفتنرون من أهل السواد . فم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد . من كان له عهد ومن لم يكن له عهد . وخرج المسلمون من بين المعجم . وأرسل عمر بن الخطاب جيشاً إلى العراق . في سنة ١٤ بقيادة سعد بن أبي وقاص . ومات المنى قبل وصول سعد . واستخلفه بشير بن الخصاصية ^٤ . وكان الأزمررد بن الأزادبة دعا قانوس بن قابوس بن المنذر وبعثه إلى

(١) ابن الأثير ٢ : ١٧٤ . ولا حار الطول ١١٢ (٢) ابن الأثير ١٧١ (٣) طبري ٨١ : (٤) ابن

الأثير ٢ : ١٨٨ و ١٩٠ .

القدسية . وقال له ادع العرب فأنت على أن أجابك ، وكان كما كان أباؤك ، فترك القادسية وكتب بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكتبهم مقاربة ووعيداً ، وأشغل جيش المسلمين ، فجاءه المعنى ابن حارثة الشيباني - أخو المنثي - فأنامه ومن معه . (١)

وقتل في هذه السنة عبد الله بن سنان . والنعمان بن قبيصة الطائي - وهو ابن عم قبيصة بن يس الطائي صاحب الحيرة - وكان النعمان على رابطة الفرس في قصر ابن مقاتل (٢) ، وغزى في هذه المطاوى العرب على الحيرة . فلافوا قرب الصين زفاف أخت أزد مرد بن آزادبة مربي الحيرة . إلى صاحب الصين ، فنهبهم ونهبوا بنت آزادبة وغيرها من النساء . (٣) وقصارى الكلام فقد ثبتت أقدام المسلمين في الحيرة والسكوفة ، وفي سواد العراق بانتصارهم على الفرس في واقعة القادسية .

وأحلى عمر (رض) من دومة جندل اكيدر الملك السكوني الكندي - فيمن أجى من محتل دين الاسلام - إلى الحيرة . ونزل في موضع منها ، قرب عين التمر ، وبى به منازل وتدها دومة . وقيل دوماً باسم حصنه بوادي القرى . وكان قائماً يعرف في زمن ياقوت الحموي إلا أنه خراب . (٤)

وروى الواقدي (٥) عن فتح الحورني . وقتل المعين المعروف بن المنذر (٦) وفتح الحيرة وقادسية على يد سعد بن أبي وقاص ما ملخصه : قدم العراق سعد بن أبي وقاص . في ثلاثين ألف فارس من بجيلة والنخع وشيبان وربيعة وأحلاط العرب . وما من قدم مرق منهم إلا بأهله وولده . فارتحل من الرحبة إلى الحيرة البيضاء . وكان هناك جيش المنذر بن المنذر . وقد ضرب حيامه والسرادقت إلى ظاهرها . وقد أضاف إليه جميع مرق . وهم من العراق في ثمانين ألفاً . وقد أقام عليهم المعين النعمان وأطلع ووعدهم من بيت كسرى بكل جميل ، وقام يخطب فيهم . فبينما هو كذلك إذ جاء عمه إلياس (٧) وهو صاحب الحرس ، وأخبره بقدم رسول قائد جيش المسلمين ، وكان هذا الرسول سعد بن أبي عبيد لقارين ، فعرض الرسول إحدى الثلاث : الاسلام ، أو الجزية ، أو الحرب . وبعد مدوصة أجابه النعمان : ليس بيننا إلا السيف . فأخبر الرسول سعد بن أبي وقاص بالجواب ، ثم تلاقت جيوش الفريقين واشتد القتال بين جيش سعد وبين جيش المعين بن المنذر فأصيب

(١) الطبري ٤ : ٨٨ (٢) ابن الأثير ٢ : ١٩٠ (٣) الطبري ٤ : ٩١ (٤) معجم البلدان في مادة «دومة الجندل»

(٥) تاريخ الثم ٢ : ١٢٠ . وما بعدها (٦) لاحظ أن المعين بن المنذر كان في الحيرة في هذه الواقعة لا في هذه الواقعة على رواية المؤرخين ، ومن المحتمل أن المعين بن قبيصة الطائي هو القاتل في هذه الموقعة كما مر بنا نقلاً عن الطبري (٧) هكذا ورد هذا الاسم وربما هو إلياس .

الهمان بستان وتجندل ، ولما رآه جمود الحيرة ولوا الإديار يريدون القادسية نحو جيش الفرس وفيه رستم بن اسفنديار ، واحتوى سعد بن أبي وقاص على قصر الخورنق والسدير ، وترك جميع ما أخذه في الحيرة .

ولما رأى جيش الفرس فول جيش النعمان ملك العرب ، واستحبروا عن أخذ الخورنق والسدير والحيرة تلبثوا ، فوقف رستم بينهم خطيباً يشجعهم على القتال ، وأقبل عليه في هذه التصاعيف أبو موسى الأشعري . موقداً من سعد إلى الفرس ، فعرض عليهم الشهادة أو الجزية أو الحرب ، وهرب في ذلك الليل من عساكر الفرس إلى المسلمين . فطلبهم الفرس فرفض العرب إرجاعهم ، ثم تحاربت حيوش المسلمين والفرس طيلة النهار . ومضى جيش الفرس بالחסائر والاندحار ، وفي وقعة أعقبت ذلك اليوم قتل رستم وانتهت هذه الحرب . بانتصار المسلمين . وفتحهم القادسية ، وهرب الفرس إلى المدائن مولين الإديار ، واستولى القاتحون على أموالهم .

ولما بعث عمر بن الخطاب إلى سعد بأن يعضى إلى المدائن . أمره أن يحلف النساء والأولاد في الحيرة ، وعندهم من الجند جماعة ، وأن يجعل لهم شركة في كل معمل^(١) ويظهر مما ذكرنا أن ليس لأهل السواد عهداً بالحيرة وليس وبأشياء . فذلك يقال : لا يصح بيع أرض السواد دون الجبل لأنها في المسلمين عامة إلا أراضي بني صديبا وأرض الحيرة .^(٢)

٧ : بغايا النخمين وملكهم في الاسود

لم يحصر محمد النخمين وملكهم بالحيرة وما والاها من ديار العراق أو ما جاورها من البلاد العربية في الجاهلية كما بينا في تاريخهم . ولم يندثر عزم روال دولتهم عند الفتح الاسلامي ، بل نرى منهم أمراء في الأندلس . وفي الاسلام : قال النويري^(٣) : وقد كان النخمين مملكة بالحيرة من العراق ، وكان لبقاياهم ملك بأشبيلية من الأندلس ، وهي دولة بني العباد ، وأول من ملك منهم القاضي محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد ، وقد ذكر التصاعيف في خطط مصر أنهم حضروا فتح مصر ، واحتلوا بهم ، ومن خالطهم جذا . وقال الحمداني : وبصعيد مصر قوم منهم مساكنهم بالبر الشرقي .

وأورد ابن خلكان^(٤) نسب المعتد صاحب قرطبة وأشبيلية وما والاها من حريرة الأندلس كما يأتي : هو المعتد على الله أبو القاسم محمد بن المعتض بالله أبي عمر

(١) الواقدي : فتوح الشام ٢ : ١٢٧ . عنه هذا في روايت المحدثين عن فتح العراق تسلياً وتفصيلاً

الوقائع باختلاف الرواة ، وقد وثقنا ما اعتقدناه أقرب من غير إلى الحقيقة (٢) مجمع المحدثين

« سواد » (٣) حربة الارب في معرفة اسباب العرب ٣٣٢ (٤) وفیات الاعيان ٢ : ٤٠٩ وما بعده

وعباد بن الظافر ، المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي أشبيلية بن أبي الوليد اسماعيل بن قريش
ابن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم اللحى . من ولد النعمان
ابن المنذر ، آخر ملوك الحيرة . وفي المعتمد هذا وفي أبيه يقول أحد الشعراء :

من بني المنذرين وهو انتساب زاد في حجره بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالي والمعالي قليلة الأولاد

وكان بدء أمرهم في بلاد الأندلس أن نعيماً وابنه عطافاً أول من دخل إليها من بلاد
المشرق : وهما من أهل العريش ، القرية القديمة الفاصلة بين الشام والديار المصرية . في أول
الربيع من جهة الشام ، وأقاما فيها مستوطنين بقرية قرب تومين من إقليم طشانة ، من
أرض أشبيلية . وامتد لعطاف عمود النسب من الولد ، إلى الظافر محمد بن اسماعيل القاضي ،
فهو أول من نبغ منهم في تلك البلاد وتقدم بأشبيلية إلى أبي ولي القضاة بها . فأحسن السياسة
فرمقه القوي ، وولاد الناس عليهم عوضاً عن يحيى بن عتي بن محمود الحسني المعروف
بالمستعلي في سنة ١٤ هجرية . وعي رواية أخرى سنة ٢٤ هجرية : ولما مات محمد القاضي سنة ٣٣ هجرية
هجرية ، عقبه ابنه عباد . ومات عباد سنة ٦١ هجرية . وقام بالمملكة بعده ابنه المعتمد على الله
أبو القاسم ، وكان المعتمد هذا يدفع الضريبة للادفوش . وحارب أبو يعقوب يوسف بن
ناشير - صاحب مراکش - المعتمد هذا سنة ٨٣ هجرية . وانتصر عليه . وقتل المأمون بن
المعتمد . الذي كان ينوب عن أبيه في قرطبة . وابنه الآخر نائبه في رده . وأسر صاحب
مراكش المعتمد وقيده وجعله مع أهله في سجن . فتألم المعتمد من قيوده وقتل .

تبدلت من ظل عز البنود بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديد سناناً ذليلاً وعضباً وقيقاً صقيل الحديد
وقد صار ذاك وذا أدهما بعض بساقى عض الأسود

وقال ابن ليانة قصيدة في نكبة المعتمد منها :

تبكي السماء بدمع راح غادي على البهاليل من ثناء عبد -

ومن بقايا اللحميين الأمير ظهير الدين الذي أقامه السلطان نور الدين . ملك مصر
والشام أميراً على سمرقند لبنان سنة ٥٥٦ هجرية - وفوصه على القميطرة وروج صيدا
والدامور ، وأمدّه بالمال والسلاح لمحاربة الأفرنج . ويذكر أن الأمير ظهير الدين هذا من
عقب أحد أولاد النعمان بن المنذر . الذي سار بعد قتل أبيه إلى لبنان بقبائل من العرب
فبنيت الإمارة لأعقابها . ومن تلك السلالة الأمير بدر الدين محمد المتوفى سنة ٧٩٨ هجرية .
هذا آخر ما نعرفه عن سيادة اللحميين وسلطانهم في مختلف الأدوار . ومتبين الأقطار ؛

فبجان من يهب الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء . والله ملك السموات والأرض .

يوسف غنيمه

[بشداد]

أسلوب التفكير في الأزهر

ومنزلة من تطور الفكر البشري

بقلم الاستاذ أحمد توفيق عياد

المدرس بالليسيه فرانسيه

استعرضنا في المقالين السابقين^(١) أهم المدارس التي نشأت في الغرب . وكان لها أثر كبير في تطور الفكر الأوروبي . و انتهينا من الكلام عن الأفلاطونية الحديثة وأثرها في الغرب بوجه عام ، وأثرها في التصوف الاسلامي بوجه خاص ؛ وبعد الأفلاطونية الحديثة لم يضر في أوربا تفكير مجدد ، وتولاها على العموم عصر مظلم ليس فيه مجال للبحث والتفكير العميق . إلى أن أنشأ (شلمان) مدارس تتابع الرجوع إلى الفلسفة اليونانية . ولهذا المدارس تنتسب تسمية العصر بالمدرسي . ويبدأ كانت أوربا في غيبة هذا الظلام الدامس إلى انقرون الوسطى . كانت العرب في أرق عصر من عصورها الذهبية ؛ فبعد احتلالهم بالأمم المختلفة الحضارة والنظم السياسية والإدارية في الشام والعراق ومصر - ولاسيما بعد دخولهم في الأندلس واستقرارهم فيها - أخذوا في الاهتمام والعناية بالعلوم الفلسفية وسائر العلوم : من طب . وفلك . ورياضة ، وتاريخ . وأدب ؛ وتقلوا أكثر الكتب المعروفة لديهم فيها . ولم يقف عندهم حد النقل ، بل بدأ العقل العربي يكمل تطور الفكر الانساني ؛ او مترج الدين بالفلسفة كثيراً . وظهر كثير من الأفاضال الذين على عقولهم تنقل هذا التطور « كالكندي » وهو أسبق فلاسفة المسلمين ، وهو عربي الأصل دون سواه من فلاسفة العرب ، يليه « أبو نصر افشاري » و « ابن سينا » و « الفارابي » وهو إمام التصوف . وظهر منهم في الأندلس « التجريبي » و « ابن رشد » وغيرهم . وقد ألفوا المؤلفات الصافية في فروع الفلسفة والعلوم . مما اتخذها عربيون أساساً لفلسفتهم في أوائل نهضتهم ، وظل العرب كذلك قروناً في نهضتهم هذه . وانتقل إليهم علم اليونان وعلم الفرس وغيرهم ، حتى أتى عصر النهضة وإحياء العلوم ، فاستمد الغربيون عنهم وفلسفتهم من العرب الذين أخذوا من ذلك الوقت - الذي بدأ الغرب فيه يفتتح -

في تأخر والاضمحلال . وصار شأن التفكير عند الأمة الإسلامية - و. عصور الاضمحلال هذه . منذ أواخر القرن لثامن الهجرى إلى قبيل عصرنا الحاضر - شأن التفكير عند الغربيين طوال القرون اوسى . ونصيح منذ ذلك الوقت يتتار الأزهر وغيره من المدارس الإسلامية تا كانت تتتار به اقرون لوسى عند غربيين من تيارات : فكان التعليم في الغالب دينياً حاصعاً كل الخفوع والآراء والمعتقدات الدينية . وكان التعليم لفظياً كله وليس للعقل فيه نصيب ، لأن التاميد كان مضطراً . إلى قبول ما يعرض عليه كأنة قضيه مسلم بها : فهو تعليم تحكى لالحال فيه لانتقد وإعمال العكر . « وعود الناس الميل إلى الأمور انجردة المعنوية ، ولاستدلال اشكى المقم من مقدمات مفروص عدم التفكير فيها وتحصيلها : والتفكير كان استعسائياً كله أساسه القياس المنطقى . والاعتماد على الحفظ والاستظهار . لا على ملاحظة والمشاهدة : وأوضح حصائص هذا العصر عند الغربيين إخضاع الفلسفة لللاهوت ولم يكن الدين والفلسفة طريقتين يوصلان إلى الحق : فالفلسفة هى الدين والدين هو فلسفة : وكانت وظائف المشتغلين بالفلسفة هى الشرح والتعليق والتعليل لفلسفة القديمة أو لآراء الدين . ولم تكن هناك حرية فى البحث لقوة السلطة الدينية التى عملت على تحديد مساهمة لعقل بحدود الدين . فما أقره الدين لايفكر فيه لعقل أو يسلم به . وكل هذه الخصائص ، هى بعميسا حصائص الفلسفة الإسلامية : فانه لما انحطت درجة الاشتغال بالعلوم الإسلامية وصعب شأنها ، وكان العلماء المتقدمون قد استوفوا الكلام فيها بمؤلفاتهم ومصنفاتهم المتعددة . لم يجد العلماء المتأخرون لاظهار فصلهم فى تصنيف وانتشار ذكره بالتأليف . إلا أن يعمدوا إلى ما بين أيديهم من المؤلفات والمصنفات . فوضعوا عليها الشروح والتفسير . وجاء من بعدهم طبقة من أهل العلم دون طبقتهم فخذوا حذوهم واقتصررت هممتهم على شرح ما وضعوه من تلك الشروح وهى الحواشى . ثم جاء من بعدهم كذلك من اشتغل بوضع لشروح على تلك وهى التقارير ، ثم غطى كل ذلك متون الكتب ، وتضاءل الباب تحت القشور ، واستحكم تعقيد بذلك وتغلب الابهام ، فوقعت الأدهان فى ارتباك . والعقول فى تشويش : وتعذر التقاط القوائد على الطلاب من وراء لاشتغال بها : وساءت بذلك حالة التعليم . وضاعت الأعمار والأوقات بغير طائل . » (١)

وكانت كل أبحاثهم دائرة حول الأمور لميتافيزيقية دون أن يكون لهم إلمام بالشئون الطبيعية ، وكانوا يعمزل تام عن الحياة لواقعية وما يجرى فيها . وكانت حقائقهم شككية : فما متاح العلمية التى يصلون إليها بعد التجربة والبحث فده يكونوا يعرفونها : وكان تفكيرهم

محصوراً في دائرة واحدة . يلف حولها ولا يتعداها . وكان مجهود الفكرى مصرفاً إلى منافشات لمظنية ، لا تؤدي إلى نتيجة عملية لها اتصال بالحياة أو بالعالم الخارجى ؛ ويشاقفون في الألفاظ والتمارييف مناقشة طويلة من غير جدوى ، وطريقتهم المتبعة هي الطريقة الحوارية بالسؤال والجواب ، لا لأجل التعليم الصحيح والتربية العقلية . وإنما لجرد التلقين والاستظهار ؛ « ومن حفظ المتن فقد حاز الفنون » .

وكان القياس المنطقى الآلة الكبرى في الحاجة والجدال ، مقدماته المعتقدات الدينية الاستبدادية ؛ ومجال تفكيره لم يكن مجال خلق وابتكار . ولكنه تفكير في دائرة محدودة ، أو تفكير أشبه ما يكون بالشعوذة العقلية . فالفلسفة والآداب لم تكن سوى وسيلة تخدم المعتقدات الدينية السائدة ؛ وكان الاهتمام منصرفاً إلى الجدل نفسه لا إلى النتيجة التى قد تؤدي إليها المقدمات ؛ فالغاية هي الاقتناع وإلزام الخصم الحق . لا الوصول إلى الحقيقة .

هذه هي الحالة العقلية التى كان يشترك الشرق فيها في عصور اضطلاله . وما رماش تحت وطأتها - مع الغرب في عصر القرون الوسطى . ولقد حدثت عوامل كثيرة في الحرب حملتهم على التخلص من هذا الجمود العقلى . واتضحوا لذلك سبيلاً لا بد أن يسير وراءه إما ردنا أن نتخلص من هذه العبودية الفكرية التى ترتبط فيها . ووسيلة المحاجة تتلخص في شر واحد . هو تغيير أسوب التفكير في الأزهر . وتكوينه التكوين المعنى الحديث . وسواء طريق البحث المعنى الحديث في تفكيره . وهذا ما وصى إليه عربيون بعد جهاد صويل دام قرواً ، ضمن لهم التوفيق في النهاية وحرية الفكر . وسدد أرنى

فاذا استطاع التفكير الأزهرى ألا يثق في شيء من غير اعتبار على ضوء المنطق الصحيح ، ولا يتقبل حقيقة من الحقائق دون أن يربها بحبر المنطق . وإذا استطاع أن يتخلص من الأغلاط والأوهام التى يتعرض لها الفكر بضعته بسبب أوراثه . وبسبب التكوين عيسى لفرد ، أو بسبب اللغة واصلها . وإذا استطاع أن يكون حريئاً يهجم على الآراء واعتقائد يبحث فيها ويهضمها ويتمثلها دون أن يتردد في ذلك من غير ما مبرر . وإذا استطاع أن يشك في كل شيء حتى في أس الأمور بعقائده وآرائه ونزعاته الموروثة . ليخلص من وراء هذا الشك إلى يقين ثابت يدعمه المنطق الصحيح . وإيمان وطيد لا يأتيه الباطل . دون أن يجرى الزيف والزلل في شجاعته هذه . وإذا استطاع أن يهجم هذه السبيل في دراسته للأنبياء ، وفي تحصيله للحقائق . وذلك بجمع الوقائع المتعلقة بالموضوع بما يرتبها ويوحد . ثم يتناولها واقعة واقعة بالبحث والتحقيق والدحض ، ثم يستنتج منها ما يهديه إليه عقله وتفكيره . . . إذا استطاع الفكر الأزهرى هذا ، انتفى الأزهر من صيغته القديمة التى تحملها إلى القرون الوسطى قرب

[البقية على الصفحة ١٢١٦]

ماذا ينبغي أن يقرأ طفلك؟

بقلم المربية الكبيرة الآنسة زيب الحكيم

خريجة جامعة لندن

موضوعنا هذا من أهم ما يجب أن نشغل عقولنا بالتفكير فيه ، نظراً لأهميته بالنسبة لكل حقوق إنسانى بوجه عام ، وبالنسبة لما نلاحظه من نقص ظاهر فى حال أطفالنا وطلاب العلم فى بلادنا ، وبعداً عننا المصرية بوجه خاص .

ورعنا يسهل علينا البحث إذا نحن حللنا عناصر الموضوع بالاحتصار . بحيث يظهر أمامنا المبدأ الذى يجب أن نبتدىء منه ، والغاية التى ننتهى إليها .

والآن يمكننا أن نقول : إن أداة القراءة هى اللغة التى مبرت الإنسان عن الحيوانات الأعجم ، واعتبرت مبدأً للذكاء الإنسانى .

وقد ابتدأ الإنسان تأليفها بمرور تعبير عما يحول بخاطره . وتدل على ما يحيط به من أشياء كثيرة ؛ لذلك نجد أن الطفل غائس فى وسط حلقتيه هما الماضى والحاضر . ينسب عليهما حللنا ثالثة هى المستقبل . وهو يبنى هذا المستقبل بتفكيره الخاص وتجارب .

وحيث إن اللغة أو « أداة التعبير » أو الشيء الذى يقرأ يرتبط بما يأتى :

١ — بما يحيط بنا من أشياء .

٢ — بحركاتنا .

٣ — يتكون منه تراكيب وجمل .

فاللغة تشبه الأمة ؛ فكما أن للأمة سياسة ونظم ، كذلك الحال مع اللغة ؛ فله قواعد ، وأنسب ، لا يجيدها الإنسان إلا بالقراءة .

فكبرت ساعر النفس على القراءة وما را يفهمى أنه يقرأ ؟

قبل الجواب عن هذا السؤال نقول :

إن علم النفس حاول أن يقسم أطوار نمو الطفل فأظهر أن كل طور يختلف عن الآخر .

ونحن نعرف أن القراءة تتطلب : ١ — حصر فكر — ٢ — تشوقاً — ٣ — انتباهاً — ٤ — غرضاً .

وقد ثبت علم النفس أيضاً أن الأربع حالات السابقة الذكر التى تتطلبها القراءة ، بل تمس على إنمائها فى الطفل ، توجد فى آخر طور الطفولة (من ٧ - ٩) أو إلى ١٢ فى الحالات لشاذة .

ولكى نصل إلى الأربع ميزات المتقدمة يجب أن نوضح حاجتنا الماسة إلى القراءة . ونعزى الذى نعملها من أجله . فنحن فى حاجة إلى قراءة الخطابات ، والتقارير ، والمدكرات وأخبار العالم . كما أن القراءة تكسب ملكة الاقتدار على الخطابة والتحرير . وفوق ذلك لها أكبر واسطة يصل بها الانسان إلى أغزر ينابيع العلم . هذا عدا فوائدها فى إثناء قوى الطفل العقلية و تكوين شخصيته وأفكاره .

إذن : فإذا ينبغي أن يقرأ الطفل وهو دون الجائفة ؟

١ . يكتفى بمطالبتة بقراءة ما يكتب من كلمات بسيطة أو جم . والغرض الأساسى من القراءة فى هذه المرحلة هو مساعدة الطفل على تعلم النطق الصحيح أثناء القراءة . كمدرك المواقف وغيرها ، بحيث يستطيع فهم وقراءة كتابات الغير فى المستقبل .

٢ . أن تحكى له الأم أو المربية قصصاً بسيطة جداً أو أغاني قصيرة سهلة تمشى مع غنيمته ويبتته . وأن تحبب إليه التقرب من باقى أطفال بلده ، وأطفال الأجناس الأخرى . من حكاية (غلبة الشكلاتة) وهى :

أحضر والد إلى ولديه : فريد ومنير . صندوقين من (الشكلاتة) عند عودته إلى المنزل فى المساء . فشكراه . شأن الأطفال المؤدبين . وأخذ كل منهما صندوقه واحتفظ به . وفى صبيحة اليوم الثانى أخرج فريد صندوقه وطلب إلى والدته ووالده وجميع أولاد عمه الحاضرين أن يشاركوه فى أكله ، فشكر له الجميع صنيعه وأحبوه لسكرمه وحبهم للغير : فأما منير أخوه فإنه حفظ جميع ما فى الصندوق لنفسه ، فلم يشكره أحد على ذلك . وعرف بينهم بالبحر وحب نفسه فقط . وطبعاً إذا كان مع أولاد آخرين (شكلاتة) أو (بلى) أو (كور) أو أى من اللعب الجميلة . فسيعاملون كل واحد بما يستحق ، فيكون نصيب فريد الاشتراك فى كل شئ مع الصندوق . أما منير فيكون نصيبه الحرمان والافتقار .

كذلك تروى له حكايات تحببه فى الطير وباقى أنواع الحيوان ، مثل حكاية (إحسان والمصفور) وحكاية « البويرة » و « الثلاث ديب » وحكاية « مراعاة شعور الغير » وسأقدم الآن حكاية « إحسان والمصفور » ومضمونها الشفقة بالطائر :

« كانت إحسان مرة عائدة إلى المنزل من المدرسة . فرأت فى الطريق ثلاثة أولاد يرمون بالحصى عصفوراً ضعيفاً ، كان قد أصيب بضربة من طفل شرير شقى فى أحد جناحيه للذين يطير بهما . لذلك لم يتمكن من الطيران . كمادته . فانتهر الأطفال الثلاثة الأشقياء القرمصة وماكسوه أيضاً ، فنهتهم إحسان عن ذلك وقالت : حرام عليكم ، ماذا فعل لكم هذا الطائر

مُسكين ؟ اتركوه في سلام ودعوني آخذه أنا لأطعمه وأدفعه ؟ فضحكوا منها واستمروا في مد كسوته ، ولكنها تغلبت عليهم وأخذت المصفور إلى منزلها بعد أن لصحت الأطفال ثاية لشقة الطيور ، لأنها مخلوقات مثلهم تحس وتتألم ، ومن يؤذها يؤذه الله . أما المصفور مسكين فأت بعد يومين لما حل به من الألم : فأنيهم إلى هؤلاء الأطفال قساة القلوب لما كسبهم هذا المصفور الصغير حتى سبوا موته ؛ وإذا كان لم يؤذه أحد منهم ، لكان بنى عشه على شجر في حدائقهم ، وكان يسليهم بسماع صوته مبكراً كل صباح ، لأنه طائر نشيط مثل الضفدع شاطر الذي يصحو مبكراً ليذهب إلى مدرسته في الميعاد ؛ ويضاً لو عاملنا الطيور كلها - مثل المصفور - (بل أيضاً الحمام والفرارخ والغراب) بلطف ، لكان لنا أصدقاء كثير منها في حديقة وفي المنزل . وإحسان كانت بنتاً صغيرة حدة ، لأنها كانت تحب الطيور - وانقصت نفسها - وكانت لها كلبة صغيرة عمرها ما عذبتها ولا بلحلت عنيها بأهلها بدأ . فلذلك كانت أمها وأبوها يحبوها خالص .

ومن الحكايات التي يقال لبث روح « مراعاة المرضى » أو المحافظة على شعور الغير :
« ذهب شفيق إلى المدرسة في الصباح علماً بأن والدته المحبوبة مريضة جداً ، فلما عاد من المدرسة في هذا كله ، وقفل الباب وراءه بقوة أرعحتها . ثم دخل عليها حجرة النوم وهو مخبط برجليه . وبوحدها رافدة في الفراش تذكر أنها مريضة ، فسأها بصوت مرتفع عن حالتها . التي كانت وفند سيئة جداً من تأثير خبط الباب وحشونة أقواله وحركاته ، فزعل والدته العزيزة بعدم عاقلة عليها ومراعاة شعورها ، بعكس الطفل الحلو عبدالفتاح ، فانه مرة ترك والدته مريضة . وحصر إلى المدرسة التي كان يحبها كثيراً . ولكنه لم يقدر على البقاء طول اليوم بالمدرسة دون أن يسأل عن والدته . فأخذ إدناً بأن يعود إلى المنزل لمدة قصيرة ، ثم يرجع لدروسه . سمحت له المدرسة بذلك ، ولما ذهب لوالدته دخل عليها بكل أدب ولطف وسأها عن صحتها . فتهنم ومحبة ، ثم استأذنها ليعود إلى المدرسة بقية اليوم . فسرت منه للغاية وكذلك سرت منه المدرسة . وحكى حكايته لباقي الأطفال فصفقوا له طويلاً ، وشكروه على حنوه ولطفه . »
أما حكاية الدبب الثلاث : فقصته على لسان الحيوان . وهي من النوع الطويل . وبها تسكر ر محبوب ومفيد : وسأقتصر على ذكر فصل قصير من فصولها :

خرج مرة الثلاث دبب للرياضة قبل تناول الفطور ، ولما عادت إلى المنزل لاحظت أن غريباً دخل فيه ، وغير بعض معالمه ، فلما استعدت لتناول الطعام . قالت الدبة الكبيرة (من جلس على الكرسي بتاعي ؟) فقالت المتوسطة (من جلس على الكرسي بتاعي ؟) ، وقالت الصغيرة (من جلس على الكرسي بتاعي ؟) ، ثم قالت الدبة الكبيرة (من أكل تلمعتي ؟) ، فقالت المتوسطة (من أكل

علمتني ؟) ، ثم قالت الدبة الصغيرة (من أكل أكلى بلمعتى وأكل أكلى كله ؟) .

هنا يسمع الطفل نغمات أصوات مختلفة ؛ كذلك يعرف أسماء أشياء عديدة مثل : الملمسة والكروى ، ويعرف أن ما يتبع لفرد لا يصح أن يعتدى عليه غيره بدون إذن . . . الخ
والأمثلة كثيرة من هذا القبيل ، نكتفى منها بما تقدم نظراً لصيق الحال .

أما الأغاني فتكون بنفس الروح مثل :

كل ورة تسبح في المياه	تسبح في المياه
رهوسها في الماء	أرجلها في الهواء
أنى وثى الغالية	أصبحتما في عافية
تقبيلتان لكما	ظاهرة وخافية
إحداهم على فنى	وفى فؤادى النانية
صباح الخير يأتى	صباح الخير يأتى
أقبل منكما بدأ	نعيش بفصل روى

ويلاحظ أن تكون القصص والأغاني مما يشبع غيرة حب الاستطلاع في أعينها
أساس المعرفة عنده .

والحكايات التي ما يعبّر عن خاطر اعتقل به بل هي التي ما يشمى عليه بالنسبة لكل ما يريد أن يستوضحه أو يعرفه عن العالم الغريب المحيط به . ويلاحظ فيها بعض التكرار غير أن بعض كلمات أو جمل : كما ينبغي أن تقدر قيمة خيال و الخيال : لأن الخيال هو أن يستعيد شخص في ذهنه بعض تجاربه السابقة كما رآها أو سمعها أو في أية صورة أخرى يكميها كما يريد ، ونحن نريد أن يكون كل ما يستعيد الطفل جيلاً طيباً . وثقياً من الشر : ريثاً من الإحصاء ؛ بحيث يرقى ويساعد ما يأتي به من فعال وأقوال . ويدعوه إلى التفكير قبل لقول وأعمل ؛ كما يهذب تصوره غير المحدود . وحياله الاختراعى الموهوش أو المبالغ فيه .

وبما أن الطفل يسمى بفطرته الطبيعية لكشف أسرار بيئته بنفسه . فهو يكون عنده بتجاربه الخاصة ويبني شخصيته جزءاً جزءاً . معتمداً على نفسه : لذلك كانت الطريقة المثل لتحقيق الأغراض المتقدمة ، هي قراءة أمثال الحكايات المشار إليها سابقاً . غير أن الطفل قبل من السابعة لا يستطيع عمل ذلك منفرداً ؛ لذلك كان يحتمل أن تلقى عليه ؛ وهذا الإلقاء نوع من القراءة بالنسبة للصغير الذي يريد الكلام ولا يستطيع التعبير ؛ فهو في الحقيقة يفرج عن نفسه هذه الضائقة بهذا النوع من القراءة . حتى يقدر على عمل ذلك بنفسه ؛ كما أنه يعتاد سماع أسنن الصحيح ، وأسلوب الإلقاء الحسن ، إلى غير ذلك .

وهما تجب العناية التامة باختيار القصص والرواة ؛ فليس سوء اختيار ما يلقى على الطفل ، والخطأ في انتقاء الرواة بالمسألة البسيطة . لأن كل شيء من حسن أو قبيح يجد في الطفل أرضاً خصبة ينمو فيها ؛ وليس من الهين زرع الزرع منها بعد ذلك . ولا ننس قوة التقليد في الطفل ؛ ولنذكر دائماً أنها أول خطوة في سبيل التطور ؛ وهذه ظاهرة تراها عين كل أم وكل مربية عند الطفل .

ماذا يقرأ الطفل في سنه السابعة حتى الثانية عشرة ؟

حدير بالذكر هنا أن نشير إلى بعض سمات الطفل في سن السابعة ، حتى يكون ما نرشده إلى قراءته ملائماً لحالته ؛ فالطفل في هذه المرحلة يظهر أطوار المصور الغابرة . بما فيها من « حش » (يلاحظ الأمهات في المنازل أن الطفل الكبير يضرب أخته أو أخاه الصغير بلا سب . كما يلاحظن أن الطفل يحسك بمصا يضرب بها الأرض أو أي شيء يصادفه ، مظهر آ منتهى القسوة والخشونة في فعلته ؛ وأن يضرب بدميته الأرض فتتكسر أو تتسخ ، مع شدة إعزازه لها) . لهذا يجب أن تشبع ميوله بحكايات مهذبة من هذا القبيل ، مثل حكايات جغرافية عن المود الأحمر وغيره . أو حكايات خرافية مثل « روبنسن كروزو » وبعض سير الأنبياء بساطة واختصار ؛ وحكاية الطفلين في الغابة ، وبعض فصول من قصة عنترية ؛ كذلك تروى حكايات تحبب للطفل الصدق في القول وحسن معاملة الغير ؛ مثل حكاية « سندرلا » . (وسندرلا هذه ، كانت بطلة الحكاية المسماة باسمها ؛ وكانت ابنة أب أساءت معاملتها امرأة أبيها وبناتها ، فكانت (سندرلا) المسكينة تقابل إساءة آتها بصبر وثبات ، وقد جعل الله لها من ساعدها ويمطف عليها . وكانت آخرتها أن تزوجت بأمير عظيم . أما أخواتها القساة فخرموا كل شيء حسن . وهذه الحكاية تتضمن أشياء كثيرة اجتماعية وخلقية ، ثم هي في نفس الوقت ذات أسلوب شائق .

كذلك يشجع الطفل على قراءة كتب خاصة في موضوعات خاصة : (فنلا يدرس الأطفال موضوع « صنع السكر » ، فيمكن للطفل - الذي قرأ لنفسه شيئاً متعلقاً بهذا الدرس - أن يقرأه لدى تلاميذ فصله من نفس الكتاب أو من الكتب التي تصفحها ؛ وفي دروس الجغرافية والتاريخ مثلاً تتبع نفس الطريقة ؛ ولا مانع من السماح لمن يرغب من الأطفال ، أن يقرأ حكاية حقيقية أو خرافية أو ملححة أدبية أو ما شاكل ذلك ، بمناسبة تتخلل هذه الدروس وأمنائها ، وكذلك في دروس اللغة العربية ، والحساب ، فإنه يمكن للطفل أن يقرأ أو يحكي - بمناسبة - بعض ما قرأ لنفسه ، مما يتعلق بالحساب ، أو بالعربي ، كالمثلة الآتية :

١ - اختصمت سيدتان مرة - إلى سليمان الحكيم - على طفل ، وادعت كل منهما أنه

ولدها ، واقتضت حكمة سيدنا سليمان ، أن يقسم جسم الطفل لصغيرين . حتى تأخذ كل سيدة منهم نصيبها منه ؛ فما كان من الأم الحقيقية إلا أن تنازلت عن نصيبها فيه حرصاً على سلامته ؛ فعرف سيدنا سليمان أن السيدة الثانية كانت مدعية . فخرمها إياه وعاقبها . أما السيدة الأولى فقد أخذت ابنها وذهبت به في سلام ، جزاء صدقها .

٢- وفي دروس الحساب يقال مثل الآتي :-

سأل مرة رجل طفله الصغير - الملحق بروضة أطفال ما - قائلاً : « خمسة وخمسة يبقوا كام يتونو ؟ قال عشرة بابا ، فقبله والده . وسأله : عشرة وعشرة يبقوا كام ؟ فقال له عشرين بابا . ففرح بوجهه الفرح وحمله بين ذراعيه مداعباً . وسأله مرة ثالثة : وعشرين وعشرين يبقوا كام ، قال يبقوا مليم !!! » .

هذه التشجيعات النافعة ومثالها . يفتح مجال القراءة أمام الطفل . خصوصاً بعد شعوره بقيمة ذلك وضرورته له في حياته العملية . وأيضاً سيقتنيه لأن يبحث دائماً وباستمرار ليجد مده يقرأ عنها . ولو بمناسبات مثلاً : جمع النجاسات مثلاً : ريش طيور ، وطوايع برية . ونوع محبوب . الخ . فهو يتشوق لمعرفة أصل كل نوع ، ويتشجع على قراءة القصص المتعلقة بالأمم الأخرى . ليقف على أحوالهم في أوقات فراغهم وعملهم .

وحين يتجه ميل الطفل الحقيقي إلى القراءة النافعة ، فهو يذل قلبه دائماً لينكتب حتى يجد صالته من كل نوع . ويشعر بأن القدرة على إيجاد جواب لسؤال - يحول محاصره عن طريق القراءة - مكسب عظيم . لأنه أتى عن طريق التحارب الشخصية .

وبحدرتنا هنا أن نلاحظ . أن الأطفال في أواخر المرحلة الثالثة من دراسته (وأواخر طور طفولة ٨ - ٩) يفرزون من قراءة الحكايات المتضمنة لكثير من أحوالهم المعاشية ، ويثكرون يومياً تحت حواسهم وتحاربهم . بعكس المرحلتين السابقتين . فإن الطفل يتحول ولعه إلى قراءة حكايات لفروسية ، مهما يكن نوعها . ويجب أيضاً القصص المسلية والمضحكة والتاريخية . والمتعلقة بالتجارة ، والسيارات الجغرافية ، والخيال الواسع . وإلى كل ما يتعلق ببيئته بوجه عام .

لذلك تدخل هنا الحكايات الخرافية بدورها ، وهذه المسألة مشكلة لنا عودة إليها في المستقبل . ونشير الآن فقط إلى بعض أمثلة من الخرافات يصح أن يقرأها الطفل :

١- حكاية « برصقن » Persefony or Child Roleend

٢ - بعض الخرافات المصرية القديمة مثل قصة « هورس » .

٣ — بعض حكايات ألف ليلة وليلة مثل : الساحر البري والبحرى ، ومثل عنزة .

٤ — بعض قصص « هوميرو » مثل قصص عباد الشمس . San-Flower Nursisus .
وسأحكى الآن حكاية « برستفن » باختصار .

عاش في غار الزمان ملك اسمه اد ميتس Admetus . وكانت أخلاق هذا الملك شاذة وغير حميدة
نما سب بغض الناس له . ولكن زوجته أليستس Alistia كانت مضحية لأجله لحسن أخلاقها
حداد صاعها حتى إنها كانت لا تهاب الموت في سبيله مطلقاً : وقد ماتت فعلاً وصار المثل في
وهيل وحزن شديد .

وفي تلك الأثناء حضر زائر غريب إلى منزل الملك . ونادى الملكة طالباً إليها إحساناً :
وصعد كان لرائر لا يعلم بموت الملكة أليستس لأنه غريب ، فلما عرف الحقيقة حزن حزناً
شدداً . وشعر بخجل عظيم ؛ لأن أخلاقه حسنة وكل أصدقائه يعترفون بذلك .

وصار يوم نفسه على عدم حرصه وعلى عدم تفكيره في عواقب الأمور . وكان هذا
الزائر Heracles هركليز . الملاك المعروف برفقة الطبايع وطيب الأخلاق ؛ لذلك عزم على
أن يعمل عملاً طيباً . بحيث يحو ما وقع فيه من خطأ حلتى . وانصرف إلى حيث أتى .

وفي ذات يوم حضر (هركليز) إلى الملك (أد ميتس) بقصد الزيارة ؛ وكانت تصعبه سيدة
مقنعة . فقام استقر للجميع بالجوس ، عرض هركليز على الملك أن يتزوج بالسيدة المقنعة .
فأبى ذلك قائلاً : « إنه وعد زوجته . لا يتزوج من بعدها أحداً مطلقاً » . حينئذ رفع هركليز
يداع عن وجه المرأة . فإدا بها (أليستس) التي عادت إلى الحياة بعد الموت بواسطة (هركليز) .
لأنها أحب من أحل زوجها . ففرح الملك كثيراً وعاش مع الملكة في سرور ، وشكرا هركليز .



بعد كل ما تقدم بقى علينا أن نتكلم باختصار أيضاً عن :

القراءة عند الطفل

١ — إن ما يظفر عند الطفل من تعلم (أى اللفظ) أو فققة Stammering يرجع
معظم سبب فيه ، إلى الضغط على الطفل بالقراءة في سن مبكرة (أى في سن ٤ - ٥ - ٦ مثلاً)
وعند بلاريب يجب أن يلام عاينه الآباء دون المدارس . لأن الوالدين يظهرون شغفاً
شديداً بسرعة تعليم طفلهم القراءة من أول يوم يذهب فيه إلى روضة الأطفال . ولو كان
في الثالثة من عمره . فالمدارس - رغبة منها في إرضاء الآباء - تضطر الأطفال اضطراراً إلى
القراءة ، فينشأ عندهم هذا المرض المعيب .

٢ - في كل الحالات - ما عدا الشاذة منها بسبب عدم القدرة الطبيعية على القراءة - أو عادة تحريك العيون غير الصحيحة أثناء القراءة - فإنه يمكن العمل على إصلاحها بتشجيع الطفل - برفق - على استمرار القراءة مع السرعة أيضاً ؛ وعادة القراءة بسرعة لا تلبث أن تصبح عادة شائعة بين التلاميذ خصوصاً إذا كانوا متشوقين لما يقرأون .

٣ - وجد في أمريكا بعد عمل إحصاء دقيق أن بعض التلاميذ من بنات وبين بنات بلغ عدد الكتب التي قرأوها في السنة الأولى من ٢٠ إلى ٣٠ كتاباً .

ومتوسط الأغلبية قرأوا من ٨ إلى ١٢ كتاباً، وكان اختيارهم عطلق الحرية مع إرشاد غير مباشر من المربين فحسب . ولا يفوتنا أن نذكر أن الكتب التي تقع تحت أيدي هؤلاء التلاميذ كلها جيدة الاخراج ، متنوعة المواضيع والدرجات .

٤ - وفي حالة الأطفال الذين تختلف قدرتهم على القراءة - أي الذين لا تتعادل قواهم - فإنه يصعب استعمال كثير من الكتب المتنوعة معهم ؛ لذلك يحسن الاكتفاء بعدد محدود من الكتب في موضوعها ، وإنما تختلف في السهولة والصعوبة ، بحيث يستطيع كل طفل الحصول على المساعدة والتشجيع الملائمين لحالته .

زينب الحكيم

اختصاصية في رياض الأطفال

أسلوب التفكير في الأزهر

[بقية المنشور على الصفحة ١٢٠٨]

منها إلى صيغة حديثة تنفق وحياتنا الجديدة في « القرن العشرين » ؛ وبهذا نستطيع أن نهتم على آثار أسلافنا الجليلة ، ونبعث منها هذا الفيض الروحي الذي يتهاوت عليه العالم الغربي ليروي به غلامه ، بعد أن أعطشته المادة ، وغدا يتلمس روحانية الشرق وإلهامه ووحية الصادق الأمين . وبهذا تكون الجامعة الأزهرية جامعة عصرية دينية ؛ تبحث في علوم المتقدمين وآثاره . وتحتمل مكانها اللائق بها في تيار المدنية الحديثة ، ويستطيع الأزهر أن يؤدي واجبه الحق في المحافظة على الدين الاسلامي الحنيف ، وتدعيمه وحياته من السنة السوء . ومساعدته عن التطور والارتقاء .

أحمد توفيق عياد

صفحات في الأدب الألماني

اتحاد شعراء جوتنجن

نوبعة ورفع

Sturm und Drang

بقلم الدكتور علي مظهر

كانت لتلك الآراء والأفكار الحديثة التي دأبها الأقطاب الأربعة لشعر^(١)، أثراً قوياً في نفوس الشبيبة الألمانية . ولذلك أحدثت رجّة هائلة عند الألمان في الأدب والفنون : فما جاءت سنة ١٧٧٠ م حتى رأينا البذور التي غرسها كل من : كلوبشتوك ، وفيلاند ، ولسنج ، وهردر . قد أنبتت نباتاً حسناً مزدهراً : وجاء (جوته) ومن عاصره أو جاء بعده . وكانت تلك الآراء قد احتضرت في نفوسهم . وملكت عليهم حواسهم وشعورهم : ويعرف ذلك لعصر في الأدب الألماني ، بعصر النوبعة والرفع : وأعلن الشباب الحرب على ما كان مصر الايضاح من آراء تافهة ، وما ساد الأفهام من رواد : وكانت آراءه (روسو) قد وصلتهم فسادوا معه : هيا إلى الطبيعة ، ولبدع لقلب ولعيون ما لها من حق في أن تظهر ما بها : وقد كان كلوبشتوك أول من تغنى بالحُب والصداقة : وأعجب بعض الشباب ، الذين كانوا يدرسون في جامعة (جوتنجن) في أوائل سنة ١٧٧٠ ، بما كان يقول ذلك الشاعر . وما كان يغني به ، وكوّنوا لهم جماعة عرفت (باتحاد شعراء جوتنجن) ، وكان جلهم قدراً على قرض الشعر لغنائى . نذكر من بينهم . سيدين من أسرة شتوايرج . وكان أثر تلك الحركة كبيراً في شعر المأسى : وقد علمنا ما كان من لسنج ، وما كان من تقدمه اللاذع لمأسى الفرنسية التي شبع فيها كاتبوها الأدب القديم : وما كان من تفضيله شكسبير : فدعا كل ذلك الشباب المتحمسين إلى طرح كل القوانين المحظرة المقيدة للشعر والأدب ، وجعلهم ذلك أيضاً ينادون بالتحريم تلك القيود والمحظورات ، فلحظ عليهم أنهم لم يفهموا شكسبير فهمه صحيحاً صادقاً لا مطلقاً لنفسه الحرية في (المسكان) و (الزمان) ، وكان يتخذ كتاب المأسى المحدثون في ذلك العصر مثلاً يحتذونه . لأنه كان يحسن ويحيد عن كل تلك التيمود الفنية ، وكان لا يعنى بها ووفق في ذلك ، بل إن أولئك الشباب الذين تدفعهم تلك الآراء الحديثة وتحركهم ، كانوا يرون أن يبد شكسبير في طريقته ، وأن يفرق هو في آرائه ، حتى رأوا أن لا يتقيدوا بالقيود الشعرية

(١) لسنج وكلوبشتوك وفيلاند وهردر ، وقد كتب عنهم في لاعداد سنة ٦ و ٧ و ٨ و ٩ من « المراجعة » السنة الثانية .

المعروفة . ولا نراعوها ؛ فعمدوا إلى النشر وفضوه على الشعر . وكانوا يعتبرون شكسبير أحسن قدوة لهم في وصف الآلام الانسانية وشهواتها وميوها . وقد دفعهم رد الشباب إلى تحرير المواضيع التي قوامها المناظر الوحشية والميول القوية الحادة ولموحع الغفظة ، مثل قتل الأطفال وهجر الحبيب وحداعه وحصام أحوس أحب كل منهما نفس الفتاة التي يحبها الآخر ؛ وكانوا يفضلون أمثال تلك المواد لكثابتهم . كما كانوا يرغبون أن يأتوا بشيء جديد مما يحدث في الحياة اليومية المنقول عنها ؛ وئنت ترى (هررد) قد حمل اللوء لشيء من تلك الآراء . ورأيت ما كان منه من ميل إلى الشعر الأولى ، وإلى غالى الشعب ، وما كان من رأي في هومير وشكسبير وأنهما شاعرا الفطرة : وكبر تأثير هررد على جوته عندما التقيا في شتراسبورج قاه ألف (جوتز فون برلنجن) و (وآلام الشاب فرر) متأثراً بآراءه وتعاليم هررد .

شيلز فيج

وقد تقدم تلك الطبقة من شعراء (الزوبعة والدفع) رجل ولد سنة ١٧٣٧ في مقاطعة (شيلز فيج) نعى به (هاينريش فيلهلم فون جريستنبرج) . وقد عين وكيلاً للحكومة لداغمارك في مدينة لويث سنة ١٧٧٥ . وتوفي بالوثا في سنة ١٨٢٣ . وترى أثر شعر كلوبشتوك صاهر في بعض قصائده . كما أنه ألف كتاباً أسماه (محاولة على مؤلفات شكسبير وعبقريته) . فتراه يبد كل القيود والمحظورات في المآسى . وقل إن (العمل) فيها شيء ثلوى . وإن شكسبير أراد أن يصور روح الانسان في كل ناحية من نواحي تفكيرها وحركاتها . وألف مأساة سماها (أوجولينو) سنة ١٧٦٨ .

راينر ولتر

ومن أمثال جريستنبرج . رجل آخر اسمه (ياكوب ميكائيل رينهولد لتر) المولود سنة ١٧٥١ في (ليفلاند) . وكان صديقاً لحوته لما كان في شتراسبورج . وتوفي سنة ١٧٩٢ بجوار موسكو محبول العقل معوراً في أشد حالات العقر والفاقة . لما كان له من شهوات وميول وحشية . يتمكن من كبها والتغلب عليها . وقد لف بعض المآسى التي لا قيمة لها . وألف كتاباً أسماه (ملاحظات على التمثيل) .

كلنجر

ونذكر أيضاً (مكسيميليان كلنجر) ولد سنة ١٧٥٢ في مدينة فريكنفورت الواقعة على الماين من بوبين فقيرين . ولكنه ما زال يعمل ويجد حتى أصبح (فريقياً) . ثم عين مراقباً في حاكمه دوربورت . وكان صديقاً لجوته في شبابه ، وقد ألف رواية تمثيلية أسماها (زوبعة ودفع) سنة ١٧٧٥ . وقد عرف العصر الذي ظهرت فيه بهذا الاسم تبعاً لها . وقد داع اسمه لما ألف فاجمته المسماة (التوآمان) . وقد نال بذلك جائزة مسرحية . وكتب غير ذلك عدة مآسى متماوت قيمتها ، نذكر منها (الحبل) و (اللاعبين الملققين) و (ميديا) . وهي من حجم

ما كتب . وقد كتب بعض الروايات والقصص أيضاً، نذكر منها (حياة فوست وأفعاله وذهابه إلى النار) وغيرها ثم نذكر :

مولر

فريدريش مولر ويدي عاده مولر المصور، ولد سنة ١٧٤٩ وتوفي بروما سنة ١٨٢٥ وكان مصور بلاط ملك بافاريا . ولا يمكن لأحد أن يبخص قدره ؛ فقد كتب (فوست) وهو الموضوع الذي كان يلذ قراءته في ذلك العصر ، وروايته التمثيلية (جولو وجينوفيفا) و (نيوبى) ، وله بعض أغاني وأناشيد على حياة الرعاة .

شوبارت

نم كريستيان فريدريش دانييل شوبارت أصله من الشواب ؛ ولد سنة ١٧٣٩ في كوتيه لمباخ، وتوفي في شتوتنجارت سنة ١٧٩١ وله قصائد في حب الحرية وغير ذلك من المواضيع، وقد كان لتلك القصائد ، ولما كان له في الحياة من مكان وخضر . أكبر الأثر في نفس (شلر) لما كان في سن الشباب .

اتحاد شعراء جوتنجن

قد رأينا ما كان من اتحاد شعراء ليبرج واتحاد شعراء هالا . والآن نرى بمضاً من الشعراء والأدباء قد أسسوا لهم مجعاً يجمعهم في مدينة جوتنجن سنة ١٧٧٢، وكان جلهم من شباب الشعراء ، نذكر منهم كريستيان بوا (المتوفى سنة ١٨٠٦) ، وفريدريش فيلهلم جويز (المتوفى سنة ١٧٩٧) ، وغيرها كانوا يمججون بكلوشتوك كانوا يميلون عن شعر فيلاند الحسى وبعجونه ؛ وكانوا يطلقون على مجعهم (اتحاد شعراء جوتنجن) أو (اتحاد الحديقة) ؛ ولم يكن يستعمل أعضاؤه سوى لفظي : (الاتحاد) أو (الغابة) ؛ والسبب في هذه التسمية أن الذين كانوا يحرقون تقويم عرائس الشعر والأدب) أمثال بوس وهولتي ومير وثلاثة رفقاء لهم آخرون احتسموا في غابة بلوط . وكونوا لهم اتحاد صداقة ومحبة ، كما أن الشاعر كلوشتوك كان يطلق على شعر الوطني لفظ غابة البلوط ، كما كان يطلق لفظ (بارناس) قل على الشعر غير الألماني ، ومرة ما شطت الديار بين أعضاء ذلك الاتحاد ولكنهم تمسكوا بعروته الوثقى . وظل ذلك التقويم الذي كان يصدره كل من بوا وبوس صحيفة اتحادهم .

بيرجر

ومن خيارهم نذكر الشاعر جوتفريد أو جوست بيرجر، ولد سنة ١٧٤٧، وقد ذهب إلى جوتنجن ليتيم تعليمه، وتعرف هناك ببوا وقد ساعده بنفذه ليجد له عملاً بمحكمة قم (التبحلايشن) ، ولكنه سرعان ما ترك هذه الوظيفة وعين للتدريس بجامعة جوتنجن . وقد صار ستاداً بها فيما بعد . وكانت حياته الخاصة ملأى بالمتاعب والمشاكل، فانه لم يوفق في زواجه مرراً ، وغلبته الأحزان والهموم فأت سنة ١٧٩٤ ، وهو لم ير من نعيم الحياة خيراً ، وقضى سدى من المال ، عدا حملات شديدة حملها عليه شلر في شعره حتى حمل الناس على الشك في مصلته الشعرية . وهو الذي قدم للألمان ذلك النوع من القصص الشعرية المعروف بالأغاني

(Ballad) . وخير آثاره قصة شعرية أسماها (لينوره) ، نشرت في (تقويم عرائس لشعر والأدب) الذي صدر في جوتنجن سنة ١٧٧٤ . وكانت قصة شعبية يعرفها الناس في اسكوتلندة والسويد والنرويج والدانمارك وفي شمال ووسط ألمانيا . ويذكر للشاعر عددا من دكر بعض الأغاني الشعرية والقصص الخيالية . كلها تسمى وألم تنبعث منها الحياة . مستمدة روحها من الشعب . وله أناشيد ومقطوعات شعرية ، كما أنه ترجم (سياحات عجبية ومحاطرة مولشها وزن) ، وكانت قد ظهرت لأول مرة باللغة الإنجليزية في لندن سنة ١٧٨٦ . وكان كتبها ألمانيا يدعى رودلف إيريش راسيه . أمين دار كتب كاسل ، ومقتس دار آثاره السابق .

بوس

نميوهان هاينريش بوس : وقد ولد سنة ١٧٥١ في مقاطعة مكنبرج . كان روح الاتحاد لآدم الذكر في الواقع . وكان أبوه يستأجر الأرض واشتد به العوز وشب الولد فقير أفكمله بعض صحابه . وقد أدخل مدرسة نوييندنبورج ، وسهل عليه (بوا) الالتحاق بجامعة جوتنجن . ولبت هناك حتى أسس ذلك الاتحاد سنة ١٧٧٢ . وقد باحث صديقه ثم أصبح مدير المدرسة . ثم انتقل إلى غيرها حيث كان صديقه ليوبولد فوشتون لبرج يقيم . وكان عمله هناك محمداً أضعف صحته . فذهب إلى (بينا) وتركها لما غضب عليه جوته غضبته وذهب إلى هيدلبرج . وهناك قضى سنة ١٨٢٦ بعد أن أصبح مستشاراً لبلاط بادن .

كانت أخلاق بوس كغيره من سكان شمال ألمانيا ، وقد جمع إلى ما كان له من عقل رصين شيئاً من الصلابة تؤدي إلى الشدة والحذر في بعض الأحيان . ولكنه كان طيب القلب لطيفاً مع صحابه شديداً مع أعدائه ، وكان يميل إلى الشعر الغنائي . وكان يجيد في نوع قصائده عن الرعاة . وكان يجيد فيها وصف حياة سكان ألمانيا الشمالية . كما كان يدعو فيها إلى الحياة الميرلية الوادعة الساكنة وإلى سعادة الأسرة . ولم يكن ليأبى تخيال مبدع أو من عليه يحققها من عنده . ولكنه كان يصف شخصاً دوى جد واستقامة . وذوى خشونة كما ترى ذلك في الواقع المحسوس .

وكان أميناً في نقل ما يريد أن يصفه للناس . متوسماً في ذلك حتى في الدقائق الصغيرة لأصغر الأعمال . كما ترى ذلك في قصيدته الشهيرة (لوره) التي نشرها سنة ١٧٩٥ . وقد ترجم بوس عن اللغات الأجنبية : وقد خدم بذلك اللغة والشعر خدمات جليلة فتراه يتسامح كل التسامح في لتريض ، كما به بحث ألفاظاً جديدة في اللغة وأوجد لها . أخذ جزءاً منها عن كثر اللغة الألمانية القديمة ، وعن إنجيل لوتر ، كما استعار تعابير من لغة الألمان الشماليين كانت قد تنوسيت . وكان يجهد في المحافظة على الأصل واللب بكل ما أوتيته من قوة إذا نقل إلى الألمانية . ولك أن تراه مؤسس فن الترجمة فيها ، فقد ترجم (الأوديسي) سنة ١٧٨١ ، وترجم (الألياذة) . كما نقل عن : فرحين ، وأوفيد . وتيبول ، وهزبود . وهوراس ،

ونيوكرت ، ورستوفانس ، ومما أجاد ترجمته ما نقله عن هومير ، فقد جمعه كما تمأق كتيبه بأصل ألماني .

شتولبرج

أما كريستيان جراف (كونت) ترو شتولبرج ، فقد ولد سنة ١٧٤٨ وتوفي سنة ١٨٢١ . وكان حاجباً للملك الدانمارك . وهو أسن الأخوين اللذين درسا في جامعة جوتنجن واشتركا في لاتحاد المذكور ، عني أنهما من أصدقاء كلوبشتوك وشيعته . وهو يأتي بعد أخيه في الشعر ولو أنه أهد نفسه في أن يدانيه . أما أخوه فهو : فريدريش ليوبولد جراف ترو شتولبرج ، ولد سنة ١٧٥٠ في مقاطعة هولشتين ، كان أكبر مناهض ومبغض للطغاة في حداثته ، وقد برأه في ذلك . وإن لم يثبت كلاهما على آرائه السياسية والدينية ، بل تنحيا عنها بتأثير لافانز عني فريدريش ، ولما تعرف إلى دائرة الأميرة جوليترين — وكانت من أكبر أنصار الكنتكة — علمت مسحة من التصوف ، وقد اعتنق هو ووجل أسرته المذهب الكاثوليكي سنة ١٨٠٠ ، وإن كان هو قد اعتقه سراً قبل ذلك بسنتين ، فعاداه صديقه بوس لهذا السبب . وقد توفي شتولبرج سنة ١٨١٩ وهو في ضيعة له .

كان شتولبرج ممن يتشيعون لكلوبشتوك ولذا مال إلى الاشتغال بعروض قدماء الأغريق كما كان يفعل صديقه هذا ، وعلى غرارها أنشد كل قصائده الوطنية ، وقد كتب بعض المآسي محتذاً سوفوكلس في ذلك ، ولم تكن إلا سرد حكايات بطريق المحادثات ، ومن خبر ما يذكر له بعض الأناشيد .

هولتي ومولر

أما لودفيج هولتي فقد ولد في سنة ١٧٤٨ في ماربره . وكان بوه قسيساً في قرية ، ولما كان يدرس في جوتنجن اشترك في تأسيس الاتحاد ، ولو أنه لم يكن يمين إلى ما كان ينبره أصدقاؤه من أعاصير وزوابع على الأدب . وكان عليلاً منذ شبابه . غلبت عليه الموداه والأحزان .

وله أغاني وأناشيد ومرأى وقصائد للرعاة ، منها واحدة ملأى بحب الوطن والوطنية ، وقد مات بهانوفر سنة ١٧٧٦ ، وهو لا يزال في سن الشباب . ثم تذكر مرتين مولر الذي ولد سنة ١٧٥٠ وتوفي سنة ١٨١٤ . وقد اشترك هو الآخر في تأسيس الاتحاد . وكان مثل سابقه لا يمين إلى لعنف وإثارة الزوابع . ولا إلى الشهوانيات . فترى قصصه الخيالية تسيل عذوبة وإحساساً صادقاً . أما قصته التي أذاعت ذكره فهي (زيجفارت) عن حياة الأديرة . وقد كانت مثلاً احتداه كثيرون من بعده كما كان الحال بعد ظهور قصته (فرتر) التي كتبها جوته . ومن أغانيه ما أصبح يتغنى به الشعب .

ليريفيتر

ثم تذكر يوهان نطون إيريفيتر : ولد بهانوفر سنة ١٧٥٢ . ودرس في جوتنجن ولحنه

هولتي بالاتحاد، ومات سنة ١٨٠٦ في براونشفايخ. وله فاجمة اسمها (يوليوس فون ثورنت)، كان يظن لسنج أن كاتبها جوته، وكان شارح يحفظها كلها عن ظهر قلب في صباه، وقال صاحبها عليها جائزة دار التمثيل الوطني بهامبورج التي خصصها للقوامع. وقد هجر الشاعر القريض بعد ذلك وترغ لانهاله القضائية.

ومن لم ينتسب للاتحاد— وكان لهم ذكر — بعض شعراء نذكر منهم ماتيوس كلاود يوس. ولد سنة ١٧٤٠ في هولشتين، ودرس في بينا، وكان يصدر مجلة أسبوعية، ومات بهامبورج سنة ١٨١٥. ومع أنه لم ينتسب للاتحاد إلا أنه كانت له بعض الصلة بأعضائه، كما كان يتشبع لكلوبشتوك، فكان يتحمس للشئون الدينية وللوطن مثله. وكان يميل إلى الأوصاف الشعرية الخاصة بالشعب كما كان يفعل بوس. وكان ماتيوس يجيد ذلك في أغانيه. ثم نذكر من أولئك الشعراء فريدريش ماتيوسون (ولد سنة ١٧٦١ ومات سنة ١٨٣١)، وكان أستاذاً في تصوير المناظر الخلوية، وله بعض القصائد التي لا بأس بها، ثم جاودنز فون ساليس (ولد سنة ١٧٦٢ وتوفي سنة ١٨٣٤). وكريستوف أوجست تيدجيه (ولد سنة ١٧٥٢ ومات بدرسدن سنة ١٨٤١). ومارتين أوستري من مدينة تريبورخ (مات سنة ١٨٢٧). ويوهان بيتر هيل (ولد في بازل سنة ١٧٦٠) وكان أبوه ناسجاً فقيراً، ومات يوهان سنة ١٨٢٦ لما كان أسقفاً في بادن، وله بعض القصائد والأغاني.

على مظهر

اطبعوا مطبوعاتكم

في

مطبعة المعرفة

فهي مستعدة لطبع الكتب والمجلات والجرائد بفايه الدقة والإتقان

الإدارة: رقم ٤ شارع عبر العزيز بالقاهرة

المستشرقون وضررهم على الاسلام

بينى وييمه مرجليوت

بقلم الدكتور حسين الهرأوى

ترك الأستاذ الفاضل صاحب « المعرفة » - إذا شاء - أن يذكر الظرف الذى أخرجته في مناقشنا معه مناقشة خاصة ، حملته يستدل رأى « مرجليوت » الذى بعث به إليه في خطاب أطلعنا عليه ، والذى دون فيه رأيه عما نكتب من ضرر المستشرقين على الاسلام ، خصوصاً وقد تناولنا مرجليوت نفسه بالتحصيل ، لأنه في نظرنا أنمودج لايجعل الناس يفتنون إلى ما يكتبه المستشرقون عن الاسلام ، وعن محمد عليه السلام .

قال مرجليوت : « أما ما كتب الدكتور حسين الهرأوى في ذم المستشرقين ، فهو كان مودع مقالاته من الشخصيات تعلق بالآداب لم يكن ما يمنع من الخوض في الموضوع والتمييز بين الحق والصواب ، واما المسائل التى ذكرها فلست أرى فائدة في مداخلتها لكونها أقرب إلى منبر الخطباء منها إلى مجالس الأدباء »

د . س . مرجليوت

وردأ على ذلك نقول : إننا تناولنا من آراء « مرجليوت » نقطتين مما كتبه في التاريخ العام للعالم في الفصل التاسع والثمانين .
الأولى أنه قال : إن عبد الله يطلق على الشخص الجاهول . وربما كان له مثل هذا المعنى عند إطلاقه على والد النبي .

والثانية : أنه قال في نفس الفصل . وفي صحيفة ٢٣٩٨ : « إن إعجاز أسلوب القرآن يفسر إما بأنه لا يمكن تقليده أو الإخبار بأمور يمكن التحقق منها ، ولم يكن للنبي وسيلة لمعرفة ، وإننا نعلم من القرآن أن كلا من هذين الادعائين - عندما أذيع - لم يسلم من النقد ، فالأمر الأول أن يكون الأسلوب الأدبي يختلف كباقي الأدواق الخ . . . »

وكذلك قال في هذا الفصل : إن محمداً - عليه السلام - اعترف في مبدئ رسالته بمعرفة القراءة . ولما نقض فقط مرجليوت هذه التى يرى ردنا عليها فيما مضى ، ليس له علاقة بالأدب العربى .
فأما عن والد سيدنا محمد ، فنحن نذكر على أدب ستاذ في جامعة أكسفورد ، أن يوجه مثل هذا

الظمن لنبي يدين بدنه ملايين المسلمين ، وأن يتغوه بتهمة ترفع أبسط قواعد الآداب العامة عن أن توجهها لأي الناس .

وثانياً : إن مرجوليث لا يعرف شيئاً من الأدب العربي ، وإلا لعمدته كان في العرب نسابون ، ولو أنه تكلم ولا عنهم - وعن مصادر الشك في أقوالهم وتنسيبهم - لكان لنا أن ننفقه بالأدلة العلمية ، أما وأنه لم يذكر شيئاً من هذا فدل على أنه لا يعرفه .

وثالثاً : لأن جد محمد عليه السلام وعمه هما اللذان كفلاه صغيراً . ولو كان مجهول الأب ما عرف له عم ولا جد . وهذا يدل على أن مرجوليث لا يعرف شيئاً من تاريخ سيدنا محمد عليه السلام .

رابعاً : إن عصبية محمد عليه السلام حتمت في مبدأ رسالته . ولو كان مجهول الأب ما كانت له عصبية ، فإذا كان مرجوليث لا يصدق شيئاً من هذا ، فليقل لنا هو كيف يريد أن يصدق كلامه ؟ وكيف يمكن وجود أشخاص تربطهم بالبي الكريمة صلات العصبية حتى تعد الاسلام ، إذا كنا ننكر كل ذلك لأن مرجوليث قلها ؟ إذن فعلى القول السلام ! ثم فليسر له مرجوليث كيف مكنته نفسه وكيف مكنته صميره من يقول هذا . وعلى أي المراجع الموثوق بها عول في بحثه ؟ فهو إما لا يعرف شيئاً مطلقاً ، وأن ما يريد التشهير والتشنيع : وهذا ما لا يشرف الباحثين .

ثم فليحسبنا : أليست انساب والنسابون جرائر من صميم التاريخ والأدب العربي . أم هي ضروب من خضب المنابر ؟ وإذا كانت صروبة من حطب المنابر . فكيف خفف التاريخ انساب قوم لم يكن لهم مرتبة عليه السلام من الوجهة الاجتماعية ؟ وكيف تمكن معرفة نسب والدته وروجه حديثاً ؟ أم كيف تمكن تنسيب شعراء مشهورين مثل امرئ القيس وغير امرئ القيس ؟

ما اقوى في مسألة إعجاز سبب القرآن بأنها مسألة دوق . فإني أرى أن مرجوليث - كما استدلل من تعبير خطابه - ذو أسبوب ملتو ركيث ، بحمله آخر شخص يؤخذ برأيه في مسألة الدوق الكتابي ، بعد أن تعدى القرآن نفسه الناس بل الانس والجن مجتمعين . أن يأتيوا بسورة من مثله . استطاعوا ، فليريق في نضر صاحبنا مرجوليث إلا نقداً لأسبوب غير أن الأدواق التي تختلف دقة وروعة ، ونحن معه على أن يكون الشرط الاساسي أن تكون هذه الأدواق سليمة ، تفهم روح العربية . والمستشرقون بعد الناس عن تفهم تلك الروح . ولهذا فانهم ينشرون مؤلفاتهم باللغات الأجنبية ، وإن كانت بعض مقدمات الكتب التي طبعوها . قد كتبت باللغة العربية ، إلا أن الحكم على نسابيهم قد لا يرضيهم من وجهة الأدب الكتابي الفني .

وإد كان مرجوليث حصر إعجاز القرآن في الأسلوب والإعجاز بالغيث : فقد فاته أن صروب الإعجاز في القرآن كثيرة ومتنوعة ، وليس من موضوعنا شرحها ، وإنما نحيل القارئ إلى ما كتبه عنها في مباحثنا في الرد على المستشرقين ، وضرابهم للبشرين^(١) .
عنى : إنما لسائل هنا أستاذنا مرجوليث : ما قوله دام فضله في أنواع الإعجاز العلمى التى أثبت علم الحديث مدى صدقها . ونذكر منها على سبيل المثال : « وجعلنا الرياح لواقح » ، و « خلق الإنسان من علق » - « نى دود الحيوانات المعنوية - و « خلقناكم أطواراً » : وهى تتمنى مع العلم جنباً إلى جنب ؟

فمن كشف العلم عن إعجاز هذه الآيات إلا حديثاً ؟ وهل كان الميكروسكوب . وعم تكوين لأجزة معروفاً من قبل عند نزول القرآن الكريم ؟

ولا يفوتنا أن تتكلم عن النقد ، فالانتقاد هو أسهل شىء في العالم ، فقد ينتقد شجر ما الخلق البشرية . بأن عنى الإنسان في وجهه . وليس له مثلها في قفاه لينظر من الخلف والامام . وقد ينتقد المهوون طريقة السير على الأقدام ، ويستحسن أن يمشى الإنسان على يديه رافعاً قدميه في الهواء ! كل هذه أنواع انتقادات قد يراها أهلها صحيحة ، ولكن الذوق السليم والعقل السليم بصفة خاصة يأبى أنهما على منتقديها .

وهذا هو النقد الذى يوجه إلى تجاهل نسب النبي الكريم . فأسوب القرآن لا يقصد به إلا مجرد التشهير والتشنيع .

ثم ماذا يقول في فهمه تفسير « افراً وريث الأكرم » ، بأنها اعتراف من النبي الكريم معرفة القرامه ، فهل هذا يدل على تفهم روح القرآن ؟

ولند أنيل البحث إذا استقصيت آراء مرجوليث في مصادر القرآن التى يقول بها . ويقول معه . المستشرقون الذين عى عظه ، فقد ادعوا أن النبي عليه السلام قد درس كل الفلسفة يونانية . ثم حفظ كل التاريخ الفارسى . ثم عرف كل الأديان الهندية القديمة . كما اطلع على كل حكم الصين فأخرج من كل هؤلاء كتاباً سماه القرآن .

ومعنى ذلك أن الدراسات التى استنفدت القرون الأولى حتى القرن العشرين لدراستها ، وتخصص هذا العلماء الذين عكفوا على دراسة لغاتها المتعددة . وانتجوا بين آثارها البالية . كل هذا . قد نمسه محمد عليه السلام في سياحته للشام . فاذا رجعت إلى التاريخ وجدت أن هذه السياحة لم تكن إلا ثلاثة شهور ، فهل في هذا منطق يناقش ؟ وهل هذا أسوب المنار . لا في صميم الأدب العربى والتاريخ ؟

الدكتور حسين المرأوى

(١) راجع في هذا « مجلة المعرفة » . ابتداءً من عدد يوليو سنة ١٩٣٤ وما بعده .

فقه آية الیه وم

وواجب الالباء
للأستاذ أمين فهمي أحمد

— ١ —

عصر الثقافة هل علمت بأن قومك في انحلاله
سرب القطا فتن الرجال ، ولا حمية للرجال
يخدعن بالحن المموء في مشاكلة الغزال
لا حظ للخلق القوي م ولا رعاية للحلال
لا عطف يصحبه الوفا ، ولا وفاء بغير مال
عند المصلحة والقيحة والمنفعة الخصال
المال معبود الجوع وليس بين (الغز) غلى

— ٢ —

خطل أخى تكون من صرعى أغانين الدلال
لا يستبيك الحسن إن كنت المهيم في الجبال
لا حسن إلا في انحلال ، وأين كاملة انحلال
لولا تخلف الرجال لضم ضلعهم الشمال
لاختار جلهم بغير شحرراً ، والكل سالى

— ٣ —

هذا الوجود مطالب بفض لفض في اتصال
ولمكة المعبود قام وجودنا حقياً خوائى
بترأج الأنواع حنة لا تساق إلى الزوال
لولا الترابط كانت الدنيا هباء دون قال

— ٤ —

يأبها الغيد الجا ل بهاؤه صون الجمال
 بمن تركن فضائل ال خلق النبيل إلى الضلال
 هذا التمدن قد أزا ل بقية المثل الموالى
 وغدا الرجال كما ترى ن مروعين من الخجل ل
 لا يرتضون وليتهم أمثال ربات الحجال

— ٥ —

مار الفتاة على أب يرضى القنون ولا يبالى
 يدع العروض ولا يلى أبداً في كل حال
 مأواه في مقهى أو المهر الطويل على التوالى
 والبنت والام استمدت خلقها من كل بالى
 وكذا الشباب ولا شبا ب مهنين بلا جدال

— ٦ —

ياقوم هبوا للفضيلة حسبكم فيض النكال
 لا تحسبوا النصيح البرى أتى به شبح منال
 كلا ، ولكن الكمال يحسن دوماً للكمال
 ليس التعلم أن تكون البنت في صف الرجال
 لكن إلى هذا ، تكون لينتها خير المنال
 أما تهذب من بليتها ، والبنون حى الموالى

— ٧ —

أخلاقنا ضاعت فيها للترال أو النضال
 مصر تنادىكم كرا ما أقوياء على الهرن
 ردوا الحياة إلى البناء لتصطفى أم العيال
 فالعلم دون تعلم بالفضل ، شر من وبال
 أمين فهى أحمد

٢- في كتاب ابن الرومي

للمستاذ عباس محمود المقار

بقلم الأستاذ مصطفى جواد [بغداد]

خبرنا الخالع : أخبرنا علي بن جعفر الحمداي ، قال : أنشدني ابن الرومي وقال : ما سبقتني
إلى هذا المعنى أحد :

إذا دام للمرء الشباب وخلقت بحاسنه ظن الشباب حصاها
فكيف يظن الشيخ أن خضابه يظن سواداً أو يخال شباباً ؛
خبرني الحسين بن محمد أخو الخلال ... حدثني جعظة قال : كنت مع ابن الرومي في
مخارية قرينا بابا رياح على دار ابن مظاهر^(١) ، فقلت له : صف هذه الشرفات^(٢) وأبا رياح ، فقال :

تري شرفاتها مثل المذارى خرجن لزهة فقعدن صفاء
عليهن الرقيب أبو رياح فلسن لحوفه يدين حرفا
خبرني علي بن أيوب القمي ... أخبرني الصولي ، حدثني علي بن العباس ، قال : كان
البحرني معي جالسا فسلم عليه ابن العيسى بن المنصور ، فقال لي : من هذا ؟ فقلت : هذا
ابن عيسى بن المنصور ، الذي يقول ابن الرومي في أبيه :

يقتر عيسى على نفسه وليس يباقي ولا خالد
فلو استطاع لثمة — تيره تنقص من منخر واحد
فقال لي : أف وتف ، هذا من حاطر الجن ، لا من حاطر الانس ، ووثب ومضى : أخبر
الخالع ، أخبرنا علي بن جعفر الحمداي ، قال : أنشدني ابن الرومي في عيسى بن موسى بن
المتوكل : يقتر عيسى على نفسه ... وذكر هذين البيتين ، (كذا قال في عيسى بن موسى بن

* راجع « المعرفة » جزء يناير سنة ١٩٣٣

(١) يقول مصطفى جواد « كتاب دار ابن ماهر في بحر الطاهري ، على شمس دجيه بأحد حرم
من بعد : (عن تاريخ الخطيب الممدودي ج ١ ص ٨٥ و ٩٩) وخلاصة اذهب استبوك ص ١٨٥ و ١٨٦
والروج « ٩ : ٤٩٦ و ٥١٤ » وهي دار محمد عبد الله الطاهري

(٢) كثير من كتاب مصر وسورية والعراق لا يعرفون حقيقة الشرفة ، فيستعملونها بمعنى الروش والحدج
والطنف والافريز ، وما الشرفة الا حجارة مبنية في أطراف أطاق السلجوق ، كالاستن انشقاقة ، شكوة
سيح ، سلجوق ، وممكنة لمطر من منمرحاتها ويريد المتجرى ثلثا لهم ، فقص ابن الرومي ، لشرفات

أمتوكل والله أعلم) . أخبرنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد ... حدثنا عبي بن العباس النوبختي ، قال : بلغني أن أبا الحسن علي بن العباس بن جريح الرومي عليل ؛ ففصت لأعوذه . (أو قال : حلت ابن الرومي ، فرأيتُه عليلاً قبل موته بيوم ^(١)) فقلت له : أي شيء حبرك ؟ فقال : إيش خبر من يموت ؟ فقلت : كلا أرى سحتك صافية حسنة ؛ فقال : هكذا من يموت يكون قبل ذلك حسن الوجه بيوم ، فقلت : يعاى الله ، فقال : خذ حديثي فإن لم تقطع أن يموت في هذه العلة فاصنع ما شئت ، تحببت أن أسكن في مدينة أبي جعفر ^(٢) فشاورت صديقاً لي يكنى « أبا الفضل » وهو مشتق من الفضال ، فقال لي : إذا عبرت القنطرة ، فخذ عني يدك اليمنى وهو مشتق من اليمن ، واسأل عن سكة النعمية ، وهو مشتق من النعم . وعن دار ابن المعافى ، وهو مشتق من المعافى ، خالفت لشؤمي . واقترب أجلي ، فشاورت صديقاً يقال له وحمفر . وهو مشتق من الجوع والفرار ، فقل لي : إذا عبرت القنطرة ، فخذ يرة . وهو مشتق من العسر ، واسأل عن سكة العباسي ، وهو مشتق من العبوس ، واسكن في دار قليب . وهو مشتق من الانقلاب . فقد انقلبت في الدنيا كما ترى . وعظم ما عني : يجتمع في هذه السدرة في دار كل يوم المصافير يصيحون في وجهي « سيق سيق » فأنا في السياق ، فعاودته من الغد ، فإذا هو قد مات .

أخبرنا أحمد بن عمر بن روح ، ومحمد بن الحسين بن محمد النهر وانيان ... حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأردي [قال مصطفي جواد : هو المنيوذ بنقطويه] قال : رأيت عبي بن عباس بن جريح الرومي يجود بنفسه ، فقلت له : ما حالك ؟ فأشد :

غلط الطبيب على غلطة مورد عجزت موارده عن الاصدار
والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة الأقدار
أخبرنا الحسين بن علي بن عبد الله المقرئ ... قال : حدثنا أبو عثمان الناجم . قال : دخلت على ابن الرومي في اليوم الذي توفي فيه . فلما قمت للانصراف ، قال لي :

يا عثمان أنت حميد قومك وجودك للعشيرة دون لومك
تزود من أخيك فما أراه يراك ولا تراه بعد يومك
أخبرني التنوحي ، قال : قال المرزباني : قيل إن ابن الرومي مات في سنة ثلاث وثمانين ،

(١) يقول مصطفي جواد وهذا هو الأرجح لأن النوبختي كان صديقه الأدنى (٢) هي مدينة منصور المستديرة ، التي سماها « دار السلام » كانت بإمارة العرب من بغداد ، ولما بن المعتصم منها دار خلافة إلى سامر أقي ساكنوها وأهل شأها ، ولا حرف من مواضعها اليوم . لا مسجد العتيقة الذي بين بغداد والكعبة وهو مسجد المنطقة

وقيل في سنة أربع وثمانين ومائتين (١).

ودكر ابن الرومي السيد محمد بن علي الطباطبائي المعروف بابن العلقمقي، قال في ترجمة الوزير القاسم بن عبيد الله « وهو الذي قتل ابن الرومي بالسهم، وكان ابن الرومي منقطعاً إليهم يمدحهم، وكانوا يقصرون في حقه في بعض الأوقات فهجاء به وكان هجاءاً (٢) »
ودكره شمس الدين بن خلكان (في ما عدا ترجمته) غير مرة، قال في ترجمة أبي العنبر محمد بن الفضل الشافعي : « وكان المفصل المذكور متصلاً بالوزير إسماعيل بن بلبل فقيل له : إن ابن الرومي (الشاعر المقدم ذكره) هجاه فشق ذلك على الوزير . وحرم ابن الرومي عنأياه فعمل في المفصل أبياتاً وهي :

لو تلفت في كساء الكسائي وتغريت فروة الفراء
وتحلفت بالخليل واضحي سيبويه لديث رهن سباء
وتكونت من سواد أبي الامة ود شخصاً يكنى بأ السوداء
لأبي الله أن يمدك أهل الهم إلا من حمة الأغنياء

وقال في ترجمة أبي بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصفهاني : « وحكى أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا أنه حضر مجلس محمد المذكور ، قال : فجاءه رجل فوقف عليه ورفع له رقعة فأخذها وتأملها طويلاً ، وظن تلامذته أنها مسألة ، ثم قلبها وكتب على ظهرها وردّها إلى صاحبها ، فنظرنا فإذا الرجل عبي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور ، وإذا في الرقعة :

يا ابن داود يافقيه العراق فتننا في قوائل الأحداق
هل عليهن في الجروح قصاص أم مباح لها دم العشاق ؟
وإذا الجواب :

كبت تفتيكم بقتل مريع سهام الفراق والاشتياق ؟
وقتيل التلاق أحسن حالا عند داود من قتيل الفراق

وقال في ترجمة أبي علي محمد بن علي بن مقلة : « وكان ابن الرومي الشاعر المتقدم الذكر يمدحه ، فمن معانيه الغريبة فيه قوله .

إن يخدم القلم السيف الذي خصعت له الرقاب ودانت خوفه الأمام
فالموت والموت لا شيء يماذله مازال يتبع ما يجري به القلم
كذا قضى الله للأقلام مذ بريت أن السيوف لها مذ أرهفت خدمه

(١) تاريخ خطط بغداد ومن رآها للخطيب « ١٢ : ٢٣ الى ٢٥ »

(٢) الفخري ص ١٩١ من طبعة المطبعة الرحانية ، وهي طبعة مسموخة

وقال في ترجمة أبي عبادة الوليد بن عبيد البحرى : « ولعمري ما أنصفه ابن الرومي في قوله :

والفتى البحرى يسرق ما قال ابن أوس في المدح والتشبيب
كل بيت له يحود معنا » فغناه لابن أوس حبيب »

وقال في ترجمة أبي عبد الله الحسين بن محمد البدرى الشاعر ، الأديب المعروف بالبارع المندائى : « وهو من بيت الوزارة فان جده القاسم كان وزير المعتضد والمكتفى بعمده وهو الذى سمى ابن الرومي الشاعر » (١)

ودكره أبو الفرج على (٢) بن الحسين الأصهبانى سنة « ٣١٣ » فى أخبار مقتل أبي الحسين يحيى بن يحيى الزيدى ، قال : « واتفق فى وقت مقتله عدة شعراء مجيدين للقول فى هذا المذهب ، إلا أننى ذكرت بعض ذلك كراهية الاطالة ، فإنه قول على بن العباس الرومى يرثيه ، وهى من مختار مارتنى به ، بل إن قلت إنها عين ذلك والمنثور إليه لم يكن مبعداً ، لولا أنه فسد ما بأن جاوز الحد وغرق فى الزرع وتعدى المقدار بسبب مواليه من بنى العباس ، وقوله فيه من لباطل ما لا يجوز لأحد أن يقوله (وهى :

مامك فانظر أى نهجيت تنهج طريقان شتى مستقيم وأنعوج
لا يهذ الناس طال ضريركم بأكل رسول الله فاختشوا أو ارتجوا
أنى كل يوم فتنى محمد قتيل زكى بالدماء مخرج
تبيعون فيه الدين شر أئمة فله دين الله قد كاد يمزج
أقد ألحقوكم فى حياثل فتنة وللمحليجكم فى الحياثل ألحقوا
بنى المصطفى كم يأكل الناس شلوكم لبواكم عما قليل مفرج
أما فيكم (٣) واع لحق نبيه ولا خائف من ربه يتخرج
أقد عمهوا ما نزل الله فيكم كأن كتاب الله فيهم مجمع
أقد خاب من أنفاه منكم نصيبه متاع من الدنيا قليل وزبرج
أبعد المكنى بالحسين شهيدكم قضى مصاييح السماء وتسرج

(١) الوفيات ١ : ١٧٤ و ٢ : ٣٤٥ و ١٧٥ و ٣٠٩

(٢) قلت : قد شجع المؤرخون للفتاة على أن الأصهبانى أغفل ترجمة ابن الرومي فى الأغانى البغية
ابن الرومي هذا أستاذة أما الحسن على بن سيمان الأنضى . وسيمر فى سياق الخبر هذا بأنه أخذ
عنه قبل إيراد مرثيته نقصه لى العباس وتفجيره إياهم معاتحاته منه واحداً .

(٣) كذا وردت فى ص ٢٢٠ من « مقاتل الطالبيين » والظاهر أن الأصل « أما فيهم » وأراد بى
العباس وأنعمواهم

لنا وعلينا لا عليه ولا له
وكيف نبكي فائزاً عند ربه
فإن لا يكن حياً لدينا فانه
وقد نال في الدنيا سناء ورفعة
وكننا نرجيه لرفع حماية
فساهمنا ذو العرش في ابن نبيه
مضى ومضى القراط من أهل بيته
أبيت إذا نام الخلى كأنما
أ « يحيى » العلى لطفى لذكراك لطفة
لمن تستجد الأرض بعدك زينة
سلام وريحان وروح ورحمة
ولا برح القاع الذى أنت جاره
وبأسف أن لا ترد تحية
أتمننى عينى عليك بعبدة
عفا على دار ظلمت لغيرها
ألا أيها المستبشرون يومه
أكلكم أمس اطأنت مهاده
فلا تشمتوا وليضأ المرء منكم
كذلك على فى المواطن قبله
تعدون فى طغيانكم وضلالكم
أجنوا بنى العباس من شنائكم
وخلوا ولالة السوء منكم وغيهم
نداريكم أن يرجع الحق راجع
على حين لا عذر لمعتدريكم
فلا تلقوا الآن الضغائن بينكم

تسحح أسراب الدموع وتنشج
له فى جنان الخلد عيش مخرفج
لدى الله حى فى الجنان مزوج
وقام مقاماً لم يقمه مزج
بأمثاله أمثاله يتبلج
فهاز به والله أعلى وأفلج^(١)
يؤم بهم نحو المنية منهج
تبطن أجفانى سيال وعوسج
يباشر مكواها الفؤاد فينضج
فتصبح فى أنوابها تبرز
عليك وممدود من الأرض سجج
يرف عليه الأقحوان المفلج
سوى أرج من طيب ومسك بأرج
وأنت لأذيال الروامس مدرج
فليس بها للصالحين معرج
أظلت عليكم غمة لا تفرج
بأن رسول الله فى القبر مزعج
بوجه كأن اللون منه اليرندج
أبو حسن والغض من حيث يخرج
ويستدرج المفرور منكم فيدرج
وشدوا على ما فى القباب وأشرجوا
فأحرى بهم أن يفرقوا حيث لججوا
إلى أهله يوماً فتشجوا كما شجوا
ولا لكم من حجة الله محرج
وبينهم إن الواقع تنشج

(١) هذه البيت شديد على الدين . فقد روى أن لأماء علياً ع - أ سكر على أحد أصحابه قوله و
رحل نومه الله « استأثر الله به » ، ولكن البيت يدل على شيعة ابن الزبير إلى جهة الأمام القادس .
ومن حاور الحد فى هذه الأمور عند السابق العمري شاعر زمانه فى العراق فى العهد الأخير .

أهل لهم في منطوى الغيب نأثراً
عجز تضيق الأرض من زفراته
توأمضه شمس اضحي وكأثماً
له رفدة بين السماء وبينه
يود الذي لاقاه أن سلاحه
فيدرك نأثر الله أنصار دينه
ويقضي إمام الحق فيكم قضاءه
وقد كان في يحيى مد مر حطة
أفى الحق أن يمسوا خصاصاً وتم
تشون مختالين في حجراتكم
وليده بادي الطوى ووليدكم
ولم تصعوا حتى استنارت قبوره
وهذه القصيدة « ١١٠ » ثبات احتراباً منها هذا القسم للجدال وليبيان بعض الأحوال
[بغداد] مصطفى جواد

بسم الله الرحمن الرحيم

اللغات الهندية

بقلم الأستاذ إحسان سامي حق
أستاذ الأدب العربي بجامعة عليكرة [الهند]

قد يستغرب السامع لأول وهلة . إذا ماقلت له إن في الهند مايقرب من مائة لغة حية يتكلم بها في مقاطعات أو ولايات مختلفة . ولكن استغرابه هذا يزول إذا ما عاد وفكر في الهند ، تلك البلاد الشاسعة غير الصغيرة ، بل القارة القائمة بذاتها ، وإن كانت تنصوي تحت اسم واحد . وإن أوروبا التي لا تزيد كثيراً عنها في المساحة ، فيها من اللغات مايقارب الأربعين ، وكلها قائمة بذاتها ، ولكن الفرق أننا إذا ماقلنا أوروبا فأننا نفهم منها : فرنسا والمانيا ورومانيا وأسبانيا وغيرها من الحكومات الكثيرة ، وأما إذا ماقلنا الهند ، فأننا نفهم منها حكومة واحدة . على أن الأمر غير ذلك وأن ماينطبق على أوروبا في هذا الباب ينطبق تمام لا ينطبق على الهند ، لأنها وإن كانت تعد بلاداً واحدة ، فهي بما فيها من فواصل طبيعية وأجواء مختلفة تكاد تكون منفصلة الأجزاء . ولوشئنا تعرف تقسيمها ، كما هي أوروبا مقسمة . لاستطعنا أن نقول : البنجاب ،

والبنغال ، والولايات المتحدة ، والسند وغيرها . ومعنى بكل واحدة من هذه الولايات أو الولايات حكومة مستقلة كما هي الحال في أوروبا .

ولكن مع هذا كله نرى أن اللغات الهندية أكثر من الأوروبية ! والسبب في ذلك يرجع أولاً إلى أن الهند أقدم في الاكتشاف وعرق في الحضارة من أوروبا . وثانياً لأن لغاتها مأخوذة عن أصول مختلفة ، بعكس اللغات الأوروبية فكلها ترجع إلى أصل واحد فقط . واللغات الهندية كلها حية مستعملة . غير أن بعضها عم من البعض ونغزر في دبه ومادته . وعلى ما يظهر من التحري والتحقيق في هذا الشأن رغم بعد الزمان . هو أن اللغة السنسكريتية كانت في وقت ما لغة معظم الهند . لأنها لغة كتاب الوثنيين المقدس . إلا أن هذه اللغة الآن قد قربت أن تكون في الهند كاللغة اللاتينية القديمة في أوروبا . حيث تقام بها الصوت في البيع ولا يفهمها أحد . وهي لغة واسمة جداً إلا أنها صعبة للغاية . حتى إنه قل من يوجد في الهند ومن يحسنها ويتقنها . وإلى علماءها يمدون على الأصابع : وغيرهم ممن يعلمها أو يدع علمها إنما هم من المتفهمين لا غير . وهم شبه في حالهم هذه بحال العربي الأمي الذي يستطيع أن يتكلم العربية ويعلمها . ولكنه لا يستطيع أن يفهم كتاباً مكتوباً باللغة الفصحى ، أو أن يكتب بلغة صحيحة . وقد أحببت مرة أن أدرسها فطلبت إلى أحداً لأساتذة ذلك ، فقال لي : ومادا تبتغي من تعلم هذه اللغة ؟ قلت لكي أدرس أديانها . فقال لي : إنني قد صرقت عمري وأنا أدرس وأدرس هذه اللغة . ولم أصل إلى الدرجة التي تريدتها أنت ! وقد ذكرني قوله هذا بحكاية لطيفة حوت لأحد الأصدقاء . وهي أنه احتتم مرة برجل صيني وسأله . فيما سأله . عن اللغة الصينية فقال له الصيني : إن لغتنا لغة سهلة جداً يمكنك أن تتعلمها بعد عشر سنوات على الأقل ! لأنه لا شيء مما لا يمكن إنكاره . أن اللغة السنسكريتية لغة واسعة جداً . ذات أدب حم وفلسفه كاملة . وهي أشبه اللغات باللغة العربية . كما رأيت من مطالعتي لما ترجم عنها أو ما اتصل بها . فرب من اللغات التي أعرفها .

ثم تأتي بعد هذه اللغة . اللغة البنغالية . وهي الآن من لغات الهند الحية ذات الأدب الواسع . ويتكلم بها ما لا يقل عن عشرة ملايين من البشر . وتصدر بها عدة جرائد ومجلات . وتدرس في المدارس كافة حية . وتأتي بعد هذه . اللغة البنجابية . وهي لا تقل عن البنغالية شيئاً بل تزيد . ويحميها الآن شعب بكامله ، وهو جماعة «السيخ» . لأنها لغة كتابهم المقدس . وهي مستعملة بكثرة في السجاب خصوصاً . وفي ما يجاورها من البلاد . وهناك أيضاً تلك اللغة القديمة التي لا يشوبها لفظ عربي ، ولا فارسي ، ولا نكبري . ونسمى الكرمكية ، حروفها أشبه بالحروف السنسكريتية .

وهناك لغة ثانية . هي المشوهة بالفاظ من هذه اللغات ، وحروفها عربية . هي اللغة الأولى فهي لغة غير المسلمين ، وأما الثانية فهي لغة المسلمين . وبعد البنجابية تأتي اللغة لسندية . وهي لغة أهل السند فقط ، وليست راقية كغيرها . وهناك اللغة الكجرانية

وهي تستعمل في ضواحي بمباي . واللغة التاميلية ، وهي تستعمل في ضواحي مدراس ، وهناك البوذية ، والبشتوية ، والكشميرية ، والمراية ، والفارسية وغيرها . وكلها من اللغات الحية التي يتكلم بها ملايين من الخلق .

ومع كل هذا ، فإن للهند لغة واحدة يستطيع من يتعلمها أن يتفاهم مع كل طبقات الناس ، بتفاوت بسيط في طول الهند وعرضها ، وهذه اللغة هي اللغة الهندية ، وتقسم إلى قسمين : قسم يعرف بهذا الاسم ، وهو لغة قديمة جداً ، مأخوذة عن السنسكريتية ، بألفاظها وحروفها واسطلاحاتها ، مع مزج من لغات هندية أخرى ، تكاد تكون لغة الولايات المتحدة الهندية الرسمية ، وهي ذات أدب كبير واسع ، وتدرس في كل المدارس ، وأما القسم الثاني ، ويعرف باسم اللغة الأوردية ، فهو لغة جديدة من موجدات المسلمين في الهند .

ودلك أن الحكومة المغولية بعد فتحها للهند ، رأت تسهلاً على جنودها ، أن توجد لهم لغة . فأوجدت هذه اللغة التي هي عبارة عن خليط من اللغات الهندية والفارسية والعربية ، وسمتها بهذا الاسم ، ومعناه « الجيش » ، وقد يمكن أن تكون هذه اللغة أوجدت نفسها بنفسها ، بأن تعلم الجند شيئاً من اللغة الهندية . وجعلوا يستعملونها بلغتهم تارة ، وبالعربية — التي كانت قد استحكمت بهم — تارة أخرى . فتولد عن ذلك هذه اللغة التي نمت نمواً لم يكن متفقراً . وأصبحت الآن ذات أدب عال . والسبب في ترقى هذه اللغة ، هو أنها أخذت من السنسكريتية فلسفة ، ومن الهندية أدباً ، ومن الفارسية ليناً ، ومن العربية سعة .

وبعد احتلال الانكليز للهند أخذت من اللغة الانكليزية ألفاظاً ، فأصبحت تمثل خمس لغات في وقت واحد . وهي تكتب بالحروف العربية أو الفارسية . غير أنه لما كانت حروفها تارة عن غيرها عدة أحرف ، وضع لها الواضعون إشارات تميزها تمييزاً ظاهراً لا يدع محالاً للشك . مثلاً جمعوا فوق (الراء) العربية (طاء) صغيرة ، لتدل على أنها سنسكريتية ، حيث يختلف أداؤها من الخلق عن العربية ، وهكذا وضعوا (طاء) فوق الدال العربية ، وهجروا من الاشارات الحسنة المميرة . وقد تداخلت فيها اللغة الانكليزية تداخلاً مسخها مسخاً ، حيث أصبح لا يستطيع من لا يعرف الانكليزية أن يفهمها كما يجب . بل قد يتمذّر عليه أحياناً أن يفهم جملاً بأكملها ، لأنها تكون إنكليزية ، موصولة بقواعد إضافية أو نسبية هندية لا غير . وعلى كل حال فإن هذه اللغة الجديدة ، قد اكتسحت اللغات الهندية جميعها وقامت مقامها ، لدرجة أن الانسان يرى من يتكلم بها في كل بقعة من بقع الهند .

ولم يحدني أثناء سياحتي وتجوالي في البلاد الهندية سنة ١٩٣٠ م أعرف من اللغات الهندية وغير الهندية . ولا الانكليزية نفسها . كما أفادتني هذه اللغة التي ، يعني المسلمون بها أكثر من غيرها . لأنها أصبحت كلغة شبيهة بالدينية لديهم . لأن أكثر كتب الحديث ترجم اليها . وكذلك كتب الفقه فإن أكثرها إما عربية أو أردية . كما أن القرآن الكريم قد ترجم إليها عدة تراجم مختلفة .

إحسان سامي حتى

[عيسكرة . الهند]

البول السكرى

وعلاجه بالتدبير الغذائى

للدكتور محمود فريد

الأخصائى فى الأمراض الباطنية والأشعة

البول السكرى من الأمراض الشائعة ، يعرفه الخصاص والعام . وفلما ينجو من الإصابة به الموسرون وأصحاب المناصب العالية ؛ وهو من أقدم الأمراض التى وصل إليها علمنا . وقد كتب عنه الهنود الأقدمون ؛ وفى المؤلفات اليونانية والرومانية القديمة فصول طويلة وصفت فيها بفاية الدقة الأعراض المرضية لهذا الداء ؛ إلا أن أول من كشف عن هذا المرض فى لعصور الحديثة ، هو الطبيب الانكلىرى (توما) عام ١٦٧٤م . فقد داق فى بول المصابين بالسكر مصدفة ضم السكر ، وأثبت غيره وجود السكر فى البول بتخميره . وآخرون بتخميره . ويرجع حل مانعه ليوم عن مرض السكر للعلامة (كلود برنارد) . فقد تم له اكتشاف النقطة السكرية فى الملح - وهى التى إذا أصابها شك دبوس مثلاً انقرض السكر حالاً فى البول ، وازدادت كمية لسكر فى الدم - وتعرف هذه النقطة بنقطة الشكة السكرية ؛ وهو أول من أثبت أن سكر الدم يفسأ عن السكر المخزون فى الكبد المعروف (بالجليكوجين) - وهو سكر العنب - وأثبت العالمان الألمانيان (فون مترخ) و (متكوفسكى) ظهور مرض السكر عقب استئصال غدة البنكرياس - وهى الغدة اللعابية الباطنية . الواقعة فى الجزء الأيسر من البطن خلف المعدة - . واليوم تم استكشاف مرض سكر (الأنسولين) - وهو الإفراز الداخلى لغدة البنكرياس - الذى تم استحضاره لكل من : (باننج) و (بابست) و (كوليب) من تلك الغدة عام ١٩٢٢م .

وحلاصة ما تفهمه اليوم عن هذا المرض أنه عبارة عن احتلال فى الاستحالة الغذائية ، يعرف بإفراز السكر فى البول . وازدياد كمية السكر فى الدم ؛ فترى المصاب به إذا تناول فى طعامه أية كمية من المواد النشوية أو السكرية - مهما كانت قليلة - ازداد سكر الدم ، ثم انفر السكر فى البول . وقد اختلف المؤلفون فى منشئه ؛ فمن قائل إنه مسبب عن كثرة تكون السكر فى الكبد . وقد يعلم القارىء أن من وظائف الكبد تحويل المواد السكرية (النشوية والسكرية) بواسطة إفرازات البنكرياس ؛ وكذلك تحويل المواد السكرية كثيرة التعقيد . كسكر القصب مثلاً . إلى مادة سكرية بسيطة التركيب هى (الجليكوجين) أو سكر العنب . وتخزينه داحيه ليكون

بمتابعة المفحم للقاطرة ، يصرف منه للحسم على قدر حاجته منه . فان ازدادت الكميات المخزونة منه في الكبد زيادة كبيرة فوق حاجة الجسم . انقرزت منه كميات وافرة حتى تشبع الأنسجة بالسكر . ويرى آخرون أن ظهور المرض يرجع لسوء احتراق المواد السكرية في الجسم ؛ ويرى غيرهم أنه يرجع للسببين الآنفين الذكر معاً ، والنتيجة - على كل حال - أنه مسبب عن تشبع الأنسجة بالسكر . وقد ثبتت الأبحاث الحديثة أن مرض السكر لا ينشأ فقط عن اختلال الاستحالة الغذائية للمواد الكربوهيدراتية . بل المواد الزلالية والدهنية أيضاً ؛ بل إن هذا المرض يظهر لأي اختلال يطرأ على الجسم ؛ فتراه يظهر في احتلال الغدد ذات الإفراز الداخلي - المعروفة بالغدد الصماء - إذ أصابتها التغيرات المرضية ؛ وهذه الغدد متفرقة في الجسم ولها إفرازات داخلية تصل للجسم بواسطة الامتصاص ، بمعنى أنه ليس لها مجرى خارجي تنصرف منه إفرازاتها . كما هي الحال في الصفراء التي تصب إفرازاتها في القنوات الصفراوية ، وهذه بدورها تصبها في الأمعاء . عاملة على هضم المواد الدهنية ، وهناك أيضاً غدد صماء في قاعدة المخ ، فإذا أصاب أحد فصيصاتها تضخم . أصيب صاحبها بمرض (المردة) . فتتضخم العظام وتطول ويفرز السكر في البول . وشاهد إفراز السكر في البول في أمراض الغدة « فوق الكلوية » . وهي من الغدد الصماء كذلك . فإذا أصابها تضخم ، زاد إفرازها الداخلي وهو (الأدرينالين) الذي له خاصية دفع الدم . وتضييق الأوعية الدموية في حالة النساء ، فانه يؤثر في الرحم حتى تنقبض عضلاته . وهو مضاد (للأنولين) ، وهو الإفراز الداخلي (للبنكرياس) الذي يتم به احتراق السكر . وعند نقصه يقل الاحتراق فيشجن الدم بالسكر ويفرز السكر في البول .

كما أننا نشاهد إفراز السكر في البول في أمراض الغدة الدرقية - التي مركزها الرقبة - وتقع تحت الخنجر حول القصبة الهوائية ؛ كما أننا نشاهد ظهور السكر في البول في أمراض البنكرياس والكبد ؛ بل رآه يظهر أثر الصدمات العصبية والاتصالات النفسية ، كالخزن والجزع ... الخ . ومن هنا فإن البعض يقول بأن الضعف العصبي قد يؤدي إلى مرض السكر .

ويصاب بعض الأفراد بالبول السكري عن طريق الوراثة ، وذلك في حالة إصابة أحد الوالدين أو كلاهما بالمرض أثناء ولادة الطفل ؛ وربما كانت وراثة هذا المرض في أسرة بأسرها . ولقد يكون أحد الزوجين مصاباً بهذا المرض ثم لا تلبث أعراض الإصابة بعدئذ حتى تظهر على السليم منهم . حتى لقد يتطرق للفكر أنه أصيب بطريق العدوى ؛ وقد قال بعض المؤلفين بهذا الرأي ، لكنه رأى ضعيف لم يقل به جمهور المؤلفين ، ولا ينطبق على ما نعرفه شخصياً من الأصل في تكوين هذا المرض الذي ينتج عن اختلال الاستحالة الغذائية ، التي هي أهم العوامل في ظهور هذا الداء . والتي تنطبق تماماً على المشاهدات الاكلينيكية ، وما يقع منها يومياً من الحوادث تحت أنظارنا .

وفي بعض الأحوال ترجع الإصابة بهذا المرض لاستعداد خاص في البنية. يمتلأ تجده شائعاً بين ناس السمان، الذين إذا تتبعنا تاريخهم رأينا بعضهم ينشأ في عائلات يشكو فيها مرض السكر والنقرس، الذين ينشأون من اختلال الاستحالة الغذائية، ومن هنا فإن لها علاقات وثيقة. تؤيد نظرية الاستحالة الغذائية أيضاً، ونرى هذين المرضين منتشرين عادة بين الأغنياء والموسرين، الذين كثيراً ما يسرفون في طعامهم وشراهم، حتى لقد عرف مرض النقرس بداء الملوك. كما نرى غشياً بنوع خاص عند المغرطين في أكل الحوى. وعند الذين لا يعرفون نظاماً خاصاً في غذائهم. فترى ما كلون كل ما تصل إليه أفواههم. وكأنهم لا يعرفون شيئاً عن القاعدة الذهبية: « يأكل العالم يعيش، ويعيش الجاهل ليأكل ». ونسوا أنه يجب الاعتدال في المأكل والمشرب. وأتينا لنعلمنا بالحكمة الغالية: « نحن قوم لأننا كل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع ». ما كان لشك الأمراض المنتشرة - أمراض الاستحالة الغذائية - من أثر يذكر بين ظهرائنا. ولو عرف الناس طاعة الاسراف في المأكل والمشرب، وما يترتب عليه من إصابة الجسم بأمراض وحيمة العاقبة، لماروا فيما يتناولون من المأكل والمشرب بحكمة واعتدال تامين.

قصدي للاستشارة مرة، رجل بدين تبدو عليه علامات الصحة والعافية! جاء يشكو كثرة العطش وكثرة إدرار البول. مع جفاف في الريق، ثم قال لي - ضمن مآل - : إنه اعتاد أن يشرب خمس عشرة كوبية من العرقسوس في حر الصيف، ليستطيع تأدية عمله في المطبعة. فكان من جراء ذلك أن أصيب بمرض السكر. ويقيني أن أمراض السكر المنتشرة في هذه البلاد، لا يرجع إلا إلى إهمال في المأكل والمشرب، وخصوصاً في الأطعمة النشوية والحلوى؛ ولذلك نرى المرض في سيره، ووفق علاجه - على وجه العموم - يختلف اختلافاً بيننا عن صورة المرض في أوروبا. وكذلك يختلف في طرق العلاج. حقاً أن هذا المرض يتسبب في أوروبا من إصابة جزء (لأنحاء) الواقع في غدة البنكرياس، إصابة تقلل من إفرازها الداخلي وهو (الأنسولين) الذي تتم به عملية احتراق السكر - مكر العنب - المخزون في الكبد، إلا أن هذا النوع لا يكون بين ظهرائنا إلا من المصاعف المرضية؛ وإنما النوع المنتشر بيننا - وربما في البلاد الشرقية عموماً والقريبة خصوصاً - هو من النوع الغذائي، أي الذي ينشأ عن اختلال الاستحالة الغذائية؛ ولذلك كان أوجه يقضي على مصلحة الصحة العمومية بتعميم الإرشادات والتعاليم الصحية بين الجماهير، التي ننبه لهم أسباب المرض وطرق الوقاية منه؛ وقد صج الناس من فتك هذا المرض بهم، حتى كتبوا على صفحات الجرائد يطالبون بدعاية صحية منظمة، لارشاد الناس وإفهامهم ماهو ضار بهم ومؤذٍ منهم.

على أن لمرض الزهري أثراً هاماً في هذا المرض، فإذا تبين للطبيب - عند فحص المريض - إصابته بالزهري، واشتباه في حالة المريض، يجب اتخاذ العلاج الفعال ضد المرض الأصلي - وهو

الزهرى - دون آثر - لأنه السبب الأصلى لمرض - وهذا النوع يخالف ما نكتب عنه الآن .
وتقع إصابته بمرض السكر بين سن الثلاثين والستين من عمر الإنسان . وقد تظهر قبل ذلك ؛
فقد شاهدته في فتاة في الثامنة عشرة من عمرها . وقد عولجت منه وشفيت ؛ إلا أن هذا
المرض أخطر على الشباب منه على الكهول ولشيوخ ؛ وتقل خطورته عند لشيوخ ؛ وإصابة الرجال
به أكثر من إصابة النساء . إلا أن يكون أكثر عرضة للإصابة به وقت المأدة . فليحرصن في
طعامهن . في هذا الوقت على وجه الخصوص . حتى لا يبدأ سير المرض حينئذ في بادىء الأمر ،
فتتفرق كميات كبيرة من السكر في بول دون أن يستترى ذلك حاطر المريض ، أى دون أن يكون
ممتد له . ثم يكتشف المرض بالصدفة - عند تحليل البول - أو يترك المرض وشأنه فتشتد الأعراض
حتى تسوء الحال فيضطرب المريض اضطراباً إلى الاستشارة الطبية . وتول ما يظهر من علامات المرض ،
نقص المستمر في الوزن حتى تصحح الملابس واسعة ، ويصح هذا انحطاط في القوة وفتور ،
ويقل النشاط فيصير المريض مقعياً على العمل . وقامت تأثير الصحة العامة في بدء المرض . وقد لا يستشعر
المريض سوى حكة مقلقة في أعضاء التناسل ويصاب بمرض جلدى - أكثر ما قوية - أو تصيب
الأسنان مدة فتتجلى ثم تسقط أو يصاب بالدمامل والخراج والجراحة . ويصاب بالأم عصبية
حادة تقش فيها كل محاولة علاجية . ويصاب بالتهاب في الأذن الوسطى لا يشفى ؛ ثم إذا
شتدت أعراض المرض . من المريض يشعر بمض شديد . ويصاب « بالجوع المكاذب » حتى
يسير بهما . ويشتد إدرار البول . ويأخذ المريض في الخفاة رغم حسن التغذية - ولو كان في
صحة بدنياً - . فقد شاهدت بعض سيدات كان وزنهن لا يقل عن ٩٥ كيلو جراماً فأصبحن
لا وزن أكثر من ٥٥ كيلو جراماً بعد إصابتهن بالمرض . ويكون البول رائقاً . ويترك بقعاً بيضاء
في الملابس ؛ وتتراوح الكمية المفررة منه ما بين لترين . و أربعة ألتار . إلا في بعض الحالات
الشادة . فقد وجد أن معدل مريض بلغت كمية بوله في ٢٤ ساعة - ١٥ ألتار . وشهد بعض
مؤرخين أكثر من ذلك : ١٥ و ٢٠ ألتار في لبول في خلال ٢٤ ساعة ؛ أما الكمية التي تفرز
من السكر في البول فتتراوح بين ٣٠٠ و ٥٠٠ جرام ؛ وقد شاهدت مريضاً يفرز في اليوم
٦٠٠ جرام من السكر . وهي كمية كبيرة لا يستهان بها من غير شك !

وتظهر مضاعفات المرض على أعضاء مختلفة . فيصير الجلد جافاً ، خصوصاً في الأعضاء التناسلية
مظهرة من المرأة . وشاهدت حالة انتفخ فيها جلد الوجه والأجفان واحمر ، واشتدت حكة
متتعة حرمت المريض لذة العيش والمنام . ويصاب الجلد بالدمامل والخراجات ، وتفتيح الغدد
الليمفاوية . وتصاب الأطراف بالغرغرينة الجافة . وخاصة الأصبع الأكبر في القدم ؛
أما الأسنان فيصيبها السوس ، وتصاب اللثة بالتقيح ، فترى الأسنان تتحلحل وتسقط .

والسل الرئوي هو أحد مصاعفات هذا المرض . ويصيب نحو ٥٠ في المائة من مجموع الاصابات . ويظهر أنه يصيب من تهاون في أمره . وأطلق لشهواته الغنائ في المأكول والمشرب . واكتفى من العلاج بالوصفات البلدية - كمسحوق الحلبة، والتمر - . وقد أظهرت التحارب العديدة أن هذه الأعشاب والمركبات - على اختلافها وتباين أصنافها - لا تزيل مرض السكر بقاءً . كما ظهر من أبحاث المؤتمر الطبي الأخير، الذي كانت هذه الوصفات أحدهم وضواعة الكبيرة الموضوعه على ساطع البحث . وعلى الرغم من أن البول السكري هو أحد أمراض الاستحالة الغذائية . ترى الشائع بين العامة أن المريض به . يحتاج «للتغذية الكبيرة» . أي أنه يقع فريسة «الجوع الكاذب» و«السكري» - كما يسميه البعض في الاصطلاح - فسرعان ما تزداد حالتهم من سيء إلى أسوأ : بل ترى - وهذا من الغرابة بمكان - أن بعض الناس يصفون غسل المحل . ورمعون به شاف لهذا المرض ، والواقع أن غسل النحل يحتوي على ٨٠ في المائة من السكر الخالص . وقد اتفق أن تناول أحد مرضاي - أخيراً - بعد أن كان من الشفاء قاب قوسين أو أدنى . فظهر السكر في بوله فجأة : ومن حيث مرض السل فإنه يبدأ بسيطاً . ويظهر لشكل برلة شعبية بريئة . يحس وراءها مرض لس المزعج ؛ فإذا لم يوفق الطبيب في التشخيص . لا يلبث المريض حتى تظهر عليه العلامات الكيميائية لهذا المرض الخبيث . وعندها يعجز الدواء ويستعصى الشفاء .

أجل . يجب على كل من خاضه أقل شك في إمكان إصابته في الرئة، المبادرة بغير توان للعلاج . وتجب العناية التامة بالمريض إذا اشتدت الاصابة . كما يجب اتخاذ الاحتياطات الصحية كلها . صادفتني سيدة مريضة بالبول السكري، وأخبرتني - ضمن ما أخبرتني - أنها تسعل من بصع شهور . فما فحصتها شتبت في أمرها . ففحصتها بالأشعة ، وكرر البصاق . فطابق التشخيص الاكلينيكي فحص الأشعة ، وأثبت فحص المعمل للبصاق وجود ميكروب «كوخ» . فإذا صنعت ؟ لم يتجه نظري، إلا لمعالجة المرض الأساسي . وهو البول السكري، مع مراعاة الأحوال الصحية العامة المناسبة لمرض الرئة . فما انتظم لها علاج السكر . حتى قل أسعال، واطردت حال المريضة في التحسن . دون أن أعطيها دوية طارئة ليلغم . اللهم إلا بعض أدوية مسكنة عند اللزوم . ومن هنا تظهر أهمية علاج المرض الأصلي عند ظهور المضاعفات . فلقد رأيناها في مختلف الحالات تراجع الى الوراء بسرعة وبخطوات واسعة .

ومن مضاعفات البول السكري أن يصيب القلب ضعف ينتج عنه تضخمه وتصلب الشرايين . وقد يصاب المريض بالذبحة الصدرية أو بالربو (ضيق التنفس) . الناشئ عن ضعف القلب . وقد يرتفع الضغط الدموي .

لما للمعدة والأمعاء فقامتا تصاب بمضاعفات المرض ؛ إلا أننا نرى عدداً كبيراً من مرضى البول السكري يصابون بالامساك . الذي ينشأ عن جفاف الأنسجة . بسبب إفراز كميات كبيرة من

مائة الجسم فى البول. وقد يصيب المدة عسر الهضم. وقد تحدث اضطرابات فى الكبد أو حصوات فى المرارة.

والكل حطرة التأثير بمرض السكر. وإصابته من كبر المصاعفات وأخطرها: فترى الزلازل يظهر بكثرة فى البول، ويظهر من الفحص المكرسكونى وجود الاسطوانات. وظهور حلايا المدة بكثرة. وكلما اشتدت الإصابة. زادت الحالة سوءاً. حتى يخشى منها على حياة المريض.

ومن مصاعفات البول السكرى نزول البول بدون إرادة. خصوصاً فى الليل. وينشأ هذا عن التهاب منى. غير مكرونى. بفعل البول المتشبع بالسكر على جدر المثانة.

ونظر مصاعفات الإصابة بالبول السكرى على الأعضاء التناسلية: فانه يؤثر فى الخصيتين. حتى أقدم مصاب الرجال بالارتخاء. وربما كانت هذه أولى ظاهرات مرض السكر التى تحدث بالمريض إلى الامرنع باستشارة الطبيب. وكمن مريض قصدى عقب ظهور هذه الظاهرة. فما خصته. كتشمت عنده مرض البول السكرى. بعد تحليل البول: ومن هنا فإن العالمين الألمان (فون توردن) (ولاسحق) لاحصائيين فى أمراض الاستمالة الغذائية، يريان أن يجمع من تروج كروجن يثبت أنه مصاب بمرض البول السكرى. وخاصة فى الحالات الشديدة.

ومن ناحية المرأة. فإن أعضاءها التناسلية تتأثر بهذا المرض. فتقل شهوتها عند الجماع. وتنقص عنها المادة الشهرية فى سن مبكرة. بل كثير أماتصاب بالعم. من جراء الإصابة بهذا المرض. صادفتى سيدة من كرام العائلات. مصابة بالسكر بدرجة متوسطة. اتفق لها أن حملت. بلا أن الجنين نزل — عند الولادة — ميتاً منتفخاً. وحيف على صحة تلك السيدة.

ثم إن خطر مرض السكر ليس بقاصر على الجنين فحسب، بل إنه يصيب الوالدة نفسها منه الشيء الكثير. فقد تنقلبها من مصاعفات هذا المرض «عن القاس» فتعرض حياتها لخطر محقق. وفى الماء من أولئك الوالدات يرحن ضحية هذا المرض. وظهور الآلام العصبية المختلفة هو من مصاعفات مرض البول لسكرى. وقد تكون الآلام العصبية على اختلاف أنواعها مقدمة لمرض السكر. ومن مصاعفات السكر فى العيينين. شلل الأرجفان. وفى بعض الأحيان. احتلاك العدسة. ولقد تشمت الإصابة. فبعض المريض حاسة الإبصار فجأة. وقد يشتد تأثير هذا المرض فى الجهار العصى. حتى لقد يؤدى إلى رخاوة الملح أو إلى الريف الخى — المعروف بالفالج —. وقد تسبب أيضاً عن اشتداد وطأته، آلام فى الرأس. بل لقد يؤدى حياناً إلى البلهاء، وربما تنزل عقلية المصاب به إلى عقلية الطفل الصغير.

العلاج

كان علاج الشائع في أمريكا منذ بضع سنين قلائل ، شديد الوطأة ، صعب الاحتمار . فكان عبارة عن سلسلة صيام طويلة ، يمانى المريض في غصونه شدة الجوع ومضض آلامه ، وكان المريض لا يرى يحرم من تناول المواد السكرية ، يدرائية ، حتى ظهرت على بعضهم علامات تسمم بالحموضة (اسهيتون) ، فاضطر الأطباء إلى السماح للمرضى بتناول الشعير ، والانعكاف على أكله . ثم حازوا أكل الحبوب والبقول بل الأرض أيضاً ، فمرعان ما شاهدوا تحسناً يذكر في صحة أولئك المرضى : فشاع هذا النظام الغذائي في علاج « البول السكرى » . دون أن يسي هذا العلاج على قاعدة صحيحة . حتى جاء (كوليب) - وهو أحد المكتشفين (للأنسولين) - فتم به استخراج مادة من القمح والشعير وبعض البقول والخضر والحشائش سماها (حليكو كبير) تشبه في مفعولها (الأنسولين) . إذا أخذت من طريق الفم . قلت إفراز السكر في البول . وفلت ريدة سكر الدم . ومفعولها مماثل (للأنسولين) إلا أنها أقل تأثيراً منه .

ثم كانت القاعدة العامة المتبعة في غذاء مرضى البول السكرى . السماح لهم بتناول مواد لدهنية بدلاً من المواد السكرية ، يدرائية ، حتى لقد كان جل طعام هؤلاء المرضى - منذ بضع سنين قلائل - يتكون من المواد الزلالية والدهنية فقط . ولا يسمح لهم بتناول المواد السكرية يدرائية . لا بقدر يسير يستطيع الجسم هضمه دون ظهور السكر في البول . فكان المريض لا يصرفى بوله سكر إلا عند تناوله ما يريد على هذا القدر المعير ، ولو زيادة طفيفة .

إلا أن الأبحاث التي أجراها العالمان النمساويان (ادلبرخ) و (بورجس) أخذت تزلزل أقدام هذه النظرية . بل لقد قلبتها رأساً على عقب . فقد ثبت هذان الباحثان أن المواد الدهنية تقلل من قوة الجسم لهضم المواد السكرية ، يدرائية . بخلاف امتصاص المواد الدهنية وريادة المواد لكاربوايدراتية في طعام المريض . فانها تزيد القابلية لهضم هذه المواد . وقد حدد الأمريكيون بهذه النظرية وتقدموا بها تقدماً كبيراً ساعدها على انتشارها في سائر البلاد . وقد تمكن كاتب هذا البحث بالتدبير الغذائي وحده . دون الالتجاء لأي علاج آخر من العلاجات والادوية ، من شفاء الحالات البسيطة . والمتوسطة أيضاً . وصفت في هذا بحثاً يذكر . مضى على شفاء بعض الحالات ما يزيد على خمس سنوات . دون أن يعاود ضجاجها ظهور السكر في البول . وقد عرضت طائفة من مشاهدي الخاطبة على المؤتمر الطبي الخامس ، الذي عقد في القاهرة في أوائل أبريل الماضى . ونشر البحث في المجلة الطبية المصرية بمعدده الصادر في شهر يولييه من هذه السنة ، فليراجمها من شاء التوسع في هذا الباب . وصريقتى في علاج مبنية على أبسط الأنظمة الطبيعية ؛ فجل ما أرمى إليه هو تمرين الجسم وتدريبه لاعتناء القبلية لهضم المواد لكاربوايدراتية ، وتنظيم حركة الهضم حتى ترول اضطرابات الاستعالة الغذائية ، مع اتباع المرضى للقوانين الصحية ، والاعتدال في المعيشة والمأكول والمشرب .

دكتور محمود فريد

حلم وانقضى

بقلم الاستاذ محمود بك تيمور
(من كتاب أبو على عامل أرتست تحت الطبع)

— ١ —

محمد أفندى العتر . وكين البوسته ببلدة الكوامل . شاب أوفى على الأربعين . تعيش في
وسيفته هذه منذ عشرة أعوام ، لم ينتقل في أنفائها من البلدة ؛ وكان قبلاً موظفاً صغيراً في
دور البريد الكبرى في عواصم المديرية . وبلدة الكوامل . أو بالأحرى محطة الكوامل ،
بلدة صغيرة من بلاد الأرياف لا يقف عليها إلا قطاران من الركاب وبمض قطارات من
مضاعة . ومحمد أفندى العتر يعيش عيشه مملة في حجرة دار البريد . يساعده غلام صغير يدعوه
محمد أفندى « بالمراسلة » . ففي أوقات العمل يرى وكيل البوسته حاصلاً في دار البريد يحتاج
خاطر . يسب غلامه ، ويرى بالخطابات والطرون عيناً وشمالاً . وهو بنفخ وزجر . لاعنا
ساعة التي أتى فيها إلى هذه البلدة الفقيرة المحجورة . حتى إذا مل شتم غلامه بد يشتم الفلاحين
ويتمهم بأقبح النعوت ؛ فإذا مل شتمهم جعل يشتم نفسه ، واصفا إياها بالجبن والأكس
؛ لاستسلام ؛ وعندما ينتهى من عمله الرسمى . يخرج إلى قهوة « مانولى » يجلبها به اندر
وحا كبتته الصفراء الكحلة ذات الأزرار النحاسية . وطربوشه منحدر إلى الورا تركه شعرة
شعوش مبعثراً على قمة رأسه . يجز في قدميه شيشاً أملس بلا كعب ؛ فإذا ما استقر في قهوة
« مانولى » بالشيشة وفنجال القهوة وإحدى الجرائد اليومية . فيمضى « محمد أفندى »
وقته يدخن ويصق ويطلع الأخبار وينكت مع من حوله ويتفرج على الفلاحين وهم راخون
عدون أمامه ، مستنشقا الهواء المشبع بالتراب الذى تثيره الدواب خلفها .

ومن الغريب أن « محمد أفندى » يفكو الوحدة وملل العيش . وهو الذى يعرف كل من
مب ودب من سكان القرى والبنادر . وهناك غير قهوة « مانولى » دكان « عم ربيع » الذى
يقصده « محمد أفندى » عند ما يكون متزله قفراً من الطعام ، فيأكل فيه « أم الفلاف »
و « السلطة » و « الباذنجان المقلى » ، وربما عثر في الصيف على منقوع الحلبة يرطب به حوفه

الطار ، هذا فضلا عن أخبار ونوادير يطرفه بها عم ربيع . وتوجد سكة الجسر التي تقوم بحور
الترعة . يذهب إليها « محمد أفندي » في عصر كل يوم ليشاهد الفلاحات ويفازلهن . وليتفرج
أيضا على سبريس العصر . ولديه - غير ذلك - الجامع يقصده كل يوم جمعة . لاصلاحاً ولانديب .
بل ليتسنى بالتفرج على الفلاحين وهم يفتسلون في الميصة . وليتفكه بحديث ساذج مهم . وهناك
أيضا سوق « الأربعاء » يذهب إليها مرة في الأسبوع وقت انعقادها . لا يشتري أوليبيع .
بل ليساوم في أثمان الطيور والدواب قتلا للوقت . وليعا كس المارلين وتشاجر مهم .
ولكنه مع كل هذا تجده متبرماً بعبثه . يمضي حياته دائم التناوب والتمص . ينتف شعيرات
لحيته التي لا يحلقها إلا من الجمعة للجمعة . ويقرص بأسنانه أطراف شاربه المشوه . وفوق
هذا فمحمد أفندي حليمة من الفلاحات تبلغ الخامسة والأربعين . عليها دلائل التهدم المبكر .
تحمل له الماء لملء الزير ، وتقوم له ببعض الخدمة المنزلية . تعرف بها منذ أن حل ببلدة الكوم .
وهو مع ملله منها وكرهه لها لم يفكر لحظة في تركها .

— ٢ —

وحيراً انتقل ناصر محطة الكوامل إلى جهة أخرى ، وحل محله ناظر آخر : رحل يسير
الخمين . مهيب الطلعة ، بشوارب ضخمة مبرومة ، وعيون كعيون الصقر . لها بريق قوي .
متوحة بأهداب سوداء غليظة . وتوقفت بين « خميس أفندي » الناظر الجديد . و« محمد أفندي
العر » صداقة متينة ؛ ولكنها كانت صداقه الكبير مع الصغير ؛ إذ كان محمد أفندي العر -
وهو في حضرة خميس أفندي — برهبة واحترام لا يعرف لها سبباً ؛ فكان إذا قابله اخبر
له مسعاً مخضوع غريب . وإذا مر أمامه خميس أفندي قام محمد أفندي فزعاً وهرولاً إليه .
وهو يقول : جنابك طاوز حاجة ؟

وعندما يقف قطار الركاب على المحطة ، ويخرج خميس أفندي من حجرة « النضارة »
متجسراً كالأسد المهيب . ترى خلفه محمد أفندي يسير منكشاً في بعضه كالقطب المصروب .
يدعش بديه ببعضهما . وينظر إلى الناظر بابتسامة دليلة ، ولسان حاله يقول :
— أنا في الخدمة دائماً يا أفندم .

وشاعت في البلدة أن خميس أفندي زوجة سودانية آية في الملاحة . لم تنحط بعد عام
السابع عشر . لها رشاقة ودلال نساء المدينة الخليمات ؛ فأرهف محمد أفندي العر سمعه لهذه
الأخبار المشوطة اللطيفة ، فكان يجلس على كرسية جلسة استرخاء . ويضع رجلاً على رجل . ويبدأ
يسأل الناس عن هذه الحسنة . وهو يلعب حاجبيه ويفمز بمينييه ؛ وعيناه النصف مفتوحتين
تبهان في نشوة الأحلام . وإذا عاد إلى دار البريد ، وأخذ يقوم بعمله الميكانيكي يفرز الرسائل

واضروء . انحنى على غلامه يسأله بصوت منخفض قائلاً :

— أرايت يا ولد زوجة ناظر المحطة ؟

فيجيبه الولد ببلاهة ريفية :

— لا والله يا أفندي .

فينظر إليه محمد أفندي نظرة احتقار وغيظ ويتمتم قائلاً :

— وماذا تعمل إذن في هذه البلدة يا أهبل يا مغفل ؟

وعلم أخيراً « محمد أفندي » أن السودانية الحسنة تخرج من منزلها في الأسبوع مرة لزور
وجهة العمدة ، وهي تحترق دائماً الطريق الصغير ، فتمر دائماً أمام دكان « عم ربيع » في الذهاب
والإياب ، فشد محمد أفندي ركابه إلى الدكان ، واتخذة محلاً مختاراً يمضي فيه الوقت من العصر
حتى صلاة العشاء . ممتعاً النفس بمشاهدة مليحته . وقد رأى أنه من العار عليه أن يقصد هذا
المكان وهو بهيئته البشعة . فعزم على أن يجدد نفسه وملابسه ، وكانت ثورة كبيرة انتهت
أن استدعى الحلاق عنده ليحلق له لحيته ويهذب شعره ويعطره ، وطلب منه أن يأتي لزيارته
كل يوم لنفس الغرض ، وأرسل بدلته إلى عاصمة المركز لتفصل وتكوى له ، ثم اشترى « حقاً »
من الوريث ، وأمر غلامه أن يسمح له حذاه يومياً . وكان يذهب إلى الدكان وهو يمشي
متحترقاً ببذلته الصفراء النظيفة والعطر يفوح منه ، ثم يأمر عم ربيع أن يضع له كرسيّاً أمام
الباب ، يجلس عليه مترقباً « مرورها » .

وأخيراً صرت السودانية الحسنة ثمامة في ملائمتها التي كانت تحكم شدها حول نفسها ،
تظهر أعضاء جسمها بارزة مغرية . وكانت تفتن في مشيتها بقوامها اللدن ، وتلفت بيمين وشمالاً ،
نثر الابتسامات لكل الجهات ، فسحر بمرآها محمد أفندي ، وأصابه نوع من الاضطراب
والخليل شل حركته وألجم لسانه ، وكل حارل غير مرة أن يرد على ابتسامتها بابتسامة . خيرة
متواضعة ، فيجد من عضلات وجهه تحاذلًا مخجلاً . وكانت أمنيته الوحيدة في الحياة أن يأتي
حركة أو إشارة تفهم منها الفانية أنه معجب بحياها وهائمه في حبها ، ولكنه — لفرط غيظه —
كان يشمر — عند مرورها — بتصلب تام في أنحاء جسمه ، فكأنه تمثال من حجر . وإذا صرت
واحتفى طيفها الجميل في الطريق ، يعود إليه إحساسه ، ونطاوعه عضلات وجهه . فيصرخ من
عماق قلبه منادياً عم ربيع ، ويمسك بيديه يهزها بعنف وغضب وهو يقول له :

— لماذا خلقتي الله هذا الطبع ؟ أنا مصيبة من مصائب الزمن .

فينظر إليه عم ربيع مشدوهاً ، لا يفهم لكلامه معنى ؛ وإذا ما انتهت العاصفة وطاد
محمد أفندي بشره ، ينحن على محدته قائلاً :

— ما رأيك يا عم ربيع في السودانيات ؟

فتألم لحية عم ربيع وتبرق عيناه ويقول مدارياً ارتبأ كه :

— أنا رجن في حالي يا محمد أفندي . إعمل معروف اتركني وشأني .

فيمسكه محمد أفندي من جلبابه ويشده منه ويقول — وقد اكتسى وجهه بنشوة هادئة — :

إسم يقولون إن السودانيات هن طراوة عجيبية يا عم ربيع ، أجسامهن لينة كالعجير .

إذ . وصمت أصمكت — مثلاً — على ذراع إحداهن ساخ كأنه في ملبن . ومن الغريب أن لهن

حيوية عجيبية في الحب لا تجدنها في النوع الأبيض ، حيوية هائلة تشع بلهبها يدب في جسمت

من قر لمسة تلمسها لهن . . . آه يا عم ربيع على قبلة واحدة منهن ! إن طعمها يبقى عالقاً في

فم مدي الحياة . فيسقط عم ربيع من طوله ويقعد القرفصاء ، أمام محمد أفندي . يلتهم بلعة

عظيمة أو صافه الخلافة . . .

— ٣ —

وحيراً فنع محمد أفندي بالنظر إلى محبوبته — من بعيد بعيد — وورضى بالخيال دون الحقيقة .

ولاحلام دون اليقظة . وانقلبت حياته رأساً على عقب . فاختفى محمد أفندي . الكسول القذر

الهيئة . المشاغب الذي لا يجد في العيش إلا السآمة والتمب ، وحل محله محمد أفندي النشيط

الأنيق الوديع ، الذي ينظر إلى الدنيا نظرة الحب والابتهاج . فرضى عن غلامه كل الرضا .

وحسن حليته بكامل عطفه ، وأغدق عليها المال والهدايا ؛ وكان إذا ما احتى بها دامنهما — وهو

مغمض لعينين — وقال لها بصوت فيه نشوة الأحلام :

— قبليني يا حبيبتي ! قبليني في في قبلة طويلة جداً . . . ويتطعم القبلة . ويطلب المزيد

من . متحيلة نفسه أمام سودانيتها الحسناء تغمره بالقبل الحارة الطويلة ؛ وكان يذهب إلى

القهوة . لا ليقرأ الجرائد ، ولا ليتمرج على المارين . بل لينظر نائهاً في الفبار . يتحبه سحياً

رفقه تسمير في انصاء . تسبح فيها حسناؤه برشاقة وإغراء . وقد كثرت ترهاته الخبوية وسف

العيسان وجلساته التأهة بجوار الغدران . يناجي نفسه بالمواويل الغرامية يغنيها بصوت ضعيف

وهو يتنهد ويتمط وينظر إلى السماء ؛ وكان يستنشق النسيم بقوة وهو فاع ذراعيه على آحره .

كأنه يريد أن يعلأ رثيه بكل ما في الفيض من هواء . وإذا عاد إلى بيته مساءً جلس على حافة

النافذة يسامر النجوم والقمر ، ويصوغ لنفسه — بلدة عميقة — حوادث غرامية مع حبيبته ، متحيلة

يُهد في أحضانه يهصر عودها الرخص بذراعيه . ويرشف من ثغرها الرطب حلاوة الحياة .

وذهب مرة إلى القهوة ونادى صاحبها . ثم مال عليه في استرخاء وقال :

— عندك قونوغراف يامانولي ؟

— عندى يا بيه ! ولكنكه مكسور .

— ارسله للتصليح ، وأنا المكلف بمصاريفه .

ومم أيام دار المونوغراف . وغنى لمحمد أفندى «أصل الغرام نظرة» ، فشعر محمد أفندى
أضرب لم يشعر به طول حياته ، وأحس كأن قوة هادئة لذيدة تتمشى في أعصابه فتحدرها
رويداً رويداً ، وانهاى على شاربه ينتفه ، وهو في نشوة الصرب : وعاد الدور عدة مرات ،
وكان يشرك المونوغراف في الغناء ، وهو يصرخ متأوهاً بأهات طويلة عميقة ، بعد كل وقته
في الدور . ويخبط بيديه على المائدة أو بعض أنامله دون أن يشعر بالألم .

وقد دعاه ناظر المحطة عدة مرات ليتناول الطعام عنده في البيت . فكان يذهب إلى
المكان نام الزينة كأنه عريس في ليلة دخلته ، ويجلس مرهف السمع لأقل حركة تصدر عن
الدور الأعلى ، حيث توحد الزوجة ، فإذا سمع صوت تقدم تروح رتجى . خيل إليه أنه يسمع
موسيقى تهبط عليه من السماء هذا بينما ناظر المحطة يروى له حياته . وكيف قضائها بين
فضاء لا كسبريس والركاب : حياة همة ونشاط . مفعمة بحلاثل الحوادث العظام . فكان محمد
أفندى يحب بين فترة وأخرى وهو غارق في أحلامه ومناجاته فلا :

— قطارات الاكسبريس والركاب ؟ ! الله يكون في عونك يا شيخ !

وفي هذه اللحظة يتحلى أنه سمع حشحة ساور . فيقتنى طرباً خلابة نغماتها ، ويعود
في حب له فيتمصور أدرعاً عارية جميلة ذات بشرة ملساء شبيهة تعاقه عناقاً ضويلاً .

— ٤ —

وهكذا أمضى محمد أفندى المتر ثلاثة أشهر من حياته . لم يشعر في أنسابها إلا بكل ما هو
نفس وجيل في الحياة ... أحلام لذيدة وتحيلات عذبة كان يقضيها مستدوم له إلى الأبد . ولكن
من شد حيرته عندما علم أن خميس أفندى «مر المحطة سينتقل إلى محطة أخرى أكبر
شأن من محطة الكواهل . وأنه سيترك البلدة إلى مقر وطيفته الجديدة بعد أيام فلائل .

وحن يوم الوداع . فأخذ محمد أفندى يساعد الخدم في نقل العفش من المنزل إلى المحطة ،
ومعظم نواه علم سراً أن زرجة الناظر قد سبقت زوجها في قطار الصباح لتعد له المنزل وقت
بوصوله . وكان محمد أفندى يسير مضطرباً حزيناً على رصيف المحطة يقرص أظافر يديه . ويركل
بقدمه ركائب الحاصل وعفش الملاحين . وهو يسب نفسه والناس على السواء .

و... حل الميعاد وسمع دوى القطار . خرج خميس أفندى من حجرة النظارة في جمع من
المومنين والأعيان جاؤوا للاحتفال بتوديعه : وكان يسير بتؤدة ووقار . يبرز نفسه إلى الأمام
وبني خلف كاجل ، ويرم شاربه الغزير برماً هادئاً ، فلما رآه محمد أفندى هرع إليه وأمسك
بيده وهو يشق باكياً ، فنظر إليه الناظر في شفقة وشكره . وقد أحذه انعجب من إحلاصه .
بمز يديه ولاطفه على ظهره ملاطفة أبوية .

وعاد محمد أفندى العتر إلى بيته ، وقد لبست البلدة أمام عينيه حلة سوداء بشعة . وكان يحس في قلبه بشيء نائر يماثل الحية يلدغه باستمرار لدغات لا يستطيع احتماؤها . تدفعه إلى الصراح والمشاحنة والضرب ، وانهاى على غلامه وخطيلته يكيل لها اللكمات والرفسات على كل لون . وذهب إلى قهوة « مانولى » . ولكنه لم يكد يستقر به المقام حتى ضرب المائدة بيده وحطم فنجان القهوة . مدعياً أن البن من النوع الرديء . وقام من فوره قاصداً أسواق البلدة - وكان اليوم يوم الأربعاء - فأخذ يتعمت مع البائعين . ويشير غضبهم بكلماته الجارحة . ولم يهدأ حتى اشتبك مع أحدهم فى مشاجرة عنيفة خرج منها مبطوحاً ممزق الثياب .

ومرت الأيام فهدأت سورة محمد أفندى . وعاد إلى سابق حياته ، فأهمل حلاقة لحيته إلا يوم الجمعة من كل أسبوع ، وخرج كل يوم إلى قهوة « مانولى » بهيئته البشعة عارى الرأس يضع على كتفيه - بإهمال - جاكته الصفراء القذرة . ويجر فى قدميه شبشب البالي . وأخذ يحضر من جديد صلاة الجمعة - بعد أن أهمل حضورها ثلاثة أشهر كاملة - ليتخرج على الفلاحين وهم يفتسلون فى الميصة ، ويتفككه بحديثهم الساذج معه . . .

وعندما كان يحظر على باله بعض ذكريات من أيام غرامه العذرى . كان يشهد بحرارة وهو ناظر إلى السماء يعيون دامعة ، ويناجى نفسه قائلاً :

— ايه يا محمد . . . حلم وانتضى . . .

محمود تيمور

خزينة

واجبك!.. هل أدبت؟

انك ستؤدبه ريب

أيها الشباب المثقف!

إن مجلة « المعرفة » سييلكم إلى الثقافة الصحيحة . وهى المجلة المصرية

التي يضطلع بأعبائها الشاقة أحد مواطنكم ، فليكن تمصيدكم
إياداً مشحمة له ولغيره . . . على إحياء القومية المصرية

هذا واجبكم فادوه

من رومة الى مكة

لخضرة صاحبة السمو أميرة سنرواك

السيرة غير النساء

عثر السيدة « حرم النساء » أميرة سنرواك الانجليزية ، من أشهر ربات الصالونات في باريس واندون ، ولها اكن لاعتقادها الاسلام تركيز واسع الذي ، حتى ان صحفاً أمريكية أوفدت من مندوبيها ، من تحدث اليها مستفهمين عن ملين ذلك ، كما ذهب البعض الآخر للتحدث مع الدكتور « لندسبريث » ، رئيس اسلمين في انجلترا . الذي اعتنقت الاميرة الاسلام على سبيلها . وقد ردت عليه السيدة الكبيرة ألا تكفى بحديثه الصحف الاوربية والامريكية والاسيوية عن سبب اسلامها ، ورائت أن تدبر كتاباً في ذلك عنوانه « من رومة الى مكة » (From Rome to Mekke) بالانجليزية والفرنسية . وهي تخص « مجلة المعرفة » بتعريب مقدسته قبل أن ينشر منه شيء في أوروبا .

يبين لنا التاريخ أن المدينيات تنشأ وترقى وتنتهى تبعاً لنسق ثابت معوم . ولأسباب دائمة التشابه . ومع ذلك فإن الذكاء الإنسانى لا يتغير على هذا النحو . وكذلك فانه لما كانت خطوات التقدم التى تحصل فى الميدان المادى لا تفقد ولا تضيع ، إذا فانه لأسباب انحطاط الأمم وزوالها أصلاً خلقياً وروحياً .

وإن الاضمحلال الذى يطرأ على المثل الأعلى لشعب ما ، هذا المثل الأعلى الذى كان سبباً لمعظمته ، ثم إهمال الفضائل الأصلية للجنس . يستدعيان ويقويان عوامل الانحلال والفناء التى لا تلبث أن تقتصر .

وعندما أخذت امبراطورية رومة فى السقوط تحت تدافع الجرمان . وتأثير الاضطرابات الداخلية ، لم يشعر الناس الذين عاشوا فى هذا العصر باضمحلال الامبراطورية ، ولم ينتبهوا إلى العلامات التى كانت تبشئ حين تداعىها وسقوطها بنشأة عصر جديد . ومع ذلك انقض ذلك البناء الشامخ ولم يبق منه إلا صور ، وقد حل الانحدار بالسلطان محل النصال ، وزالت العناصر الروحية التى عملت على محدد رومة واردهاها ، ولم تعد المبادئ العظيمة : مبادئ الشرف والأمانة والتصحىة ، إلا كلمات خوفاء ، وتداعت الفضائل الخلقية والدينية . وقام مكانها الفساد . وهوت الامبراطورية وفقاً لأمر التطور الذى لا يقبل الرد .

وفى حالة المجتمع الحاضر شبه يستدعى القلق عترة الاضمحلال فى المجتمعات الغارة ،

ويبدو في هذا التشابه اجتماع لعلامات تنذر بالمأجعة . ويسود القلق والحيرة في كل مرافق العالم ، سواء في ميدان الأخلاق ، أم في الميدان الاجتماعي . أو في مجال الاقتصاد ؛ والعالم يحس - في حيرة واضطراب - الخطر الذي يحقد به ويهدده . ويذيع في قلوب الذين سيكونون أول نضحايا خلاء مرعباً ، وذلك لأنهم إلا أكثر ذنباً وإجراماً .

والواقع أن خطأ عصرنا ونقصه يرجعان إلى إغفال الشرائع والقوانين التي تسيطر على الناس والجماعات . نرى هجر المعارف الحقيقية والعلم الإلهي ، والاستمساك عنها بشبه معرفة وعلم جدي إنساني ، والاعتقاد - في سفة كبير - في ذلك الوهم .

وقد اعتبر الناس أخطاهم تقدماً ونجاحاً وارتكبوا إنمًا كبيراً . إذ استبدلوا بالله تعالى العقل الانساني الذي هو من خلق الله ، وحسبوا أنهم أهل لأن يكونوا أكفاء لله أو أشباهاً له . وظنوا أن النجاح المادي جذير بأن يقوم مقام السمو الروحي . وزعموا إذ استطاعوا الانتفاع بالقوى الطبيعية أنهم يسخرونها ، وأخذوا الغرور يملوهم فظنوا أنهم أرباب الخلق . مع أنهم لم يستطيعوا أن يقيموا على تلك الأسس العملية شيئاً له دوام . إن المجتمع الذي يحرم نفسه من قيادة روحية . ليقع في مأزق لا مخرج له منها ، وإن الإنسانية التي تؤمن بالنجاح والتقدم القائم على قواعد إنسانية إنما تدفع بنفسها إلى العدم .

ولناس بلاقون جزاء أخطائهم في مجرى الحوادث . وإن الظروف لعنيفة التي يختارها العالم . وإن كانت الأوهام التي أقام عليها الناس آمالهم ، وطبيية المبادئ التي كانت ترحى السعادة منها . وعقم العلم والنظام الآلي وما فيه من غرور . كل هذا يعمل على خلق اضطراب وفوضى . يظهر أن الوسائل المادية عاجزة عن إيقافها ؛ وإذ أطلق الناس العنان لغير آرائهم . فقد ابتعدوا شيئاً فشيئاً عن القوانين الخلقية ، واعتبروها عقبات في سبيل ما يسمونه تحريراً أو خلاصاً . والله نفسه في نضرة هولاء عقبة أيضاً . وقد تولت نفوسهم ومشاعرهم عن الله تعالى - هــ الرب القاضى الذي قلقتهم ! - وتولوا عنه باسم العقل والعلم . وذهب خصوم الدين إلى تنقي وجود الله نقياً كلياً . وإن الكنيسة نفسها لمسئولة . بسبب موقفها . عن إبعاد الناس عن الله . وجهه في منأى عنهم ، وذلك لغموض أصولها وتعاليمها .

وإن الذين « يعلمون » يصرخون صرخة الفزع . ولكن الناس لا يصفون إليهم . كما يصفون - من قبل - إلى صرخات الأنبياء من بني إسرائيل . وهم يتابعون خطاهم مسرعين نحو الهاوية صمماً عن الانذار والتنبيه !

ومع هذا لم يضع كل شيء . وميرال في الامكان رد فعل . ويكفي بدلا من حضور الناس لغير آرائهم . وإن غرورهم ونفاقهم . أن يهجروا تصوراتهم المادية والأمانية . إذ هي مصدر كل شرورهم وآفاتهم ، وأن يستردوا الشموع بمثل أعلى .

ويكفى أن يفهموا المعنى الصحيح للحياة - ذلك المعنى الذي حسروه - وعليهم بدلاً من أن يصنعوا مثلهم الأعلى في المادة . أن يذكروا أن لهم روحاً . وأن هذه الروح متصلة بالله تعالى . وأنه ليس في الامكان أن يوجد أمر حقيقي أو جميل أو ثابت أو دائم . إلا إذا قام بعداد الله وعنايته .

ويحاول الكثيرون الذين احتفظت نفوسهم بمعنى مثل أعلى . أن يقاوموا هذا الانحلال . وهم يبحثون في ماحولهم عن صيغة الدواء الذي ينقذ العالم ، ونحن نشاهد فرقاء متعددة وطوائف شتى تنشأ كثيرة العدد متأثر بعضها بالأناجيل والعهد القديم ، والبعض الآخر بمذاهب الهند . ويعود البعض الآخر إلى مذاهب الفلاسفة القدماء ويدعو إلى حياة الفطرة والبساطة . ولكل هذه المحاولات مبدأ مشترك : إذ هي رد فعل يرمي إلى الخروج من المأزق الذي زج فيه المجتمع الحاضر . ويبين عدد هذه الطوائف أن الاعتقاد في الروح ليس مذهباً ميتاً ، ويبين - إلى ذلك - أنهم يتمسكون في يأسهم بأي مذهب يستطيع أن يقدم إليهم شيئاً من تلك العناصر العليا . التي يحسون مسيس الحاجة إليها ، والتي يبحثون عنها بجشع كبير . ويبدو للكثيرين أن الحياة عديمة المعنى ، وذلك لأنهم في حيرة تامة .

إذن : من ذا الذي يرشدنا إلى الطريق ؟ وأين يستطيعون أن يجدوا ذلك الهدى الذي نقده ؟ إن كنيسة رومة لا تقدر على أن تؤدي بالناس إلى ما ينشدون من هدى ونور . وأن ترشدنا إلى ما هم في حاجة إليه لنجاتهم مما يعانون من أزمة .

وإنما يقدر على معجزة الاتقاد دين خالص قوى ؛ وإني لأذهب إلى القول بأنه لا بد لأرجاع الناس إلى تصور سليم للحياة من ديانة كاملة ذات قواعد ؛ إذ لا يستطيع أن ينهض بهذا مذهب من المذاهب مهما كان حظه من الاحكام .

ولكن هل من ديانة هي من الواضح بحيث يقدر الجميع على فهمها ، ومن موافقه العقول وتوسع بحيث تستطيع أن تكون دليلاً مرشداً دون أن تكون عقبة ؟

بلى ! إن الأبحاث التي أفرغت نفسي لها ، لكي أقضي على شكوكي وحيوتي ، لتسمح لي أن أجزم بذلك . وأن أؤكد أنه لا يوجد إلا دين واحد يقوم تمام القيام بحاجات المجتمع الحاضر . وينهض بكل الشرائط اللازمة لكي تستنصف النفوس المصرية - هذا الدين هو الإسلام . هذا حل غير منتظر بلا شك ! لا سيما إذا اعتبرنا الأوهام السابقة التي تحيط في أذهان الأوروبيين . بديانة البنى ، ولكنه حل مشرق تعقلناه وفهمنا مغزاه روح القرآن .

إن القرآن قابل للتطبيق عند كل جسد ، دون أن يكف عن كونه نسي تعبيري عن الحفيظة من وجهات النظر الثلاث . أي من حيث : المعرفة ، والأخلاق ، والعمران ؛ ومن أجل هذا فهو عالمي يصلح لكل الناس .

ولكن الناس وهم يتحبطون في حال عصبية من الخيرة باحثين عن طريق يتبعونه ، مع أن السبيل الأوحى للهدى هو في العودة إلى اتباع الشرائع الإلهية... يتساءلون لماذا يسبى الاسلام في منأى عن متناول الباحثين. في حين أنه يستطيع أن يكون في سبيل النجاة ؟ وواقع أنه لا يوجد الآن مذهب سواه ينطق عن الحقيقة الأولى. ويقدر على أن يضعها في متناول جميع. وبين الاسلام يشتمل في الحقيقة على كل الوسائل اللازمة للوصول إلى المعارف العبدية. وبالحكمة دون خوف من الاصطدام بحدود أو عقبات .

حقاً إننا نجد القرآن طابع الدين الوحيد . الذي أنزل للناس منذ القدم. هذا الدين الذي قامت عليه كل الأديان، وهو الدين الوحيد الذي لا يقبل التغيير. والذي يبقى نفسه دون كل التحولات التي شاء الناس - كبرياء أو جهلاً - أن يحدوثها فيه . ذلك لأنه هو الحقيقة. ومن احتمال أن يوجد أكثر من حقيقة واحدة ، وهذا من الأوائل الضرورية للمقل .

وإني لأقول هؤلاء الذين يقاسون ألم الخيرة النفسية - هؤلاء الذين يصدون عن سبيل الله هموس في ما تسمح لهم الكنائس بالوقوف عليه ، دون أن يكون لهم الحق في تجاوزه. هؤلاء الذين يصدون وجداهم الممذّب تفارق يشاهدونه لدى معلمى الأرواح. هؤلاء الذين يصدون في يأس واستماتة عن فعدة وغاية في كل المذاهب المختلفة - أقول هؤلاء : حدوا قرآن وتأمّلوا . وانسوا ما سبق لكم وراثته من أوهام وأحكام دون نظر شخصي سليم . واهتموا بالمعنى الحقيقي للمذهب السبي . واخلعوا عنه رداء الحماز والفصاحة الشعرية التي تقتضيها معجزة نبلاغة العربية . وتمكروا في ذاته دون أن تصلوا به مناظر أجنبية أو صوراً غريبة . بدأ سوف تجدون فيه كل ما أوحى به الله عز وجل قبل وحيه لآخر رسله وحاتم أنبيائه . سوف تجدون فيه أروع التعبيرات عن الحقيقة. سوف تجدون فيه - دون أسرار ولا هموس - المذهب الذي يجمع بين الشخص والمثل الأعلى ، والذي يهديكم إلى حياة بسيطة مستقيمة وعنى حق وإني لواقفة أن الاسلام هو ديانة المستقبل وأن الرسالة التي كلف بها النبي محمد ﷺ بعد .

يل لا تزال موجهة إلى العالمين .

وسوف يعود السلم إلى الناس عندما لا تفصل بعضهم عن بعض انقسامات سطحية . وعندما يحتمون على إيمان واحد في معرفة الله ومحبة . لأن الله هو إله الجميع . هذه نتيجة لا يتيسر إدراكها إلا عند وضع الحقيقة فوق كل المسائل المادية ولا نائية ، أي بمنزلة صورتي أبغضها عليها هؤلاء الذين يستفيدون من إخفاء الحقيقة . وكذلك بأن يبين للشعوب والأمة أنه يوجد فوق عداواتهم ومطامعهم إله واحد، شرائعه التي لا تتبدل واحدة للجميع .

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ٢ : ٢٨٥ .
ترجمه عن المخطوط الأصلي : م . خ .

المهاجرة

بقلم الاستاذ أحمد سليمان حزين

منى وأبنى على الإنسان :

اختلاف جماعة الجغرافيين في تحديد موطن الانسان الأول وفي تعيين زمن خلقه : منهم من يقول إن الانسان الأول هبط الأرض في جنوبي شرق آسيا، ويستدلون على ذلك بوجود أقدم جمجمة إنسانية في تلك الجهات : ويقولون إنه خلق في عصر الميوسين (العصر الجيولوجي الثالث)، وعصر بلايوسين (العصر الجيولوجي الرابع) : ومنهم من ينكر ذلك ويدعى بأراء أخرى. وسواء أصح هذا أم داك، فالثابت أن الانسان الأول نشأ ودرج من جنس واحد من حيث لون البشرة، وشكل الرأس، ونوع الشعر إلى غير ذلك من الصفات : ثم بدأ يدب على سطح الأرض بجثاء الأودية والسهول، منتقلا من مكان إلى آخر : وبذلك تكونت جماعات عديدة حصفت كل منها لتأثير بيئة مخالفة لبيئة الأخرى : ومن هنا نشأ الاختلاف في الأجناس كاستيخة في القالب لمو من الجغرافية : وقد بدأ هذا الخلاف في الظهور في أواخر العصر الجيولوجي الرابع، في العصر الحجري الأول.

أنواع المهاجرة وأسبابها :

وبدأ فالمهاجرة ترجع إلى عهد سحيق : إلا أن الانسان جبن على حب وطنه . ولذلك كانت الهجرة الاختيارية قليلة الحدوث وقليلة الأثر : ولا تكون إلا حيث توحّد المرامي نحو الأودية الزراعية الغنية بخيراتها. فيطمع الرعاة في نهب سكان الأودية القليلين الخبرة في الحروب . ويختلف مصير هؤلاء المهاجرين تبعا لظروفهم ورغباتهم : فبينما ترى البعض يرجع إلى موطنه لأول، إذ بالبعض الآخر يفضل الإقامة في البيئة الجديدة حيث يتضاعف بطباع السكان الأصليين . يساهرون ويخرج بهم الامتراج الكلى . ولقد كانت مدن الولايات الاغريقية القديمة بأسوارها لصحة وأبراجها الحصينة، عرضة للنهب والسلب عند ما تغير عليها القبائل التي تقطن سفوح خيال ، أو عندما تهاجمها جماعات القرصان التي اتخذت الخللحان والمصايق مراكز لها . و عوامل التي تدفع الانسان إلى مهاجرة وطنه كثيرة : أهمها عوامل قهرية . كقلة الأمطار في المراعى، فينتج عند ذلك جديها وموت الماشية، فيضطر الرعاة إلى ترك أوطانهم التي نشأوا فيها ويصوبون أنظارهم نحو الجهات الزراعية : وقد أثبت التاريخ أن غارات التتر والمهون والقوط

على أوروبا كانت نتيجة مباشرة لقلة الأمطار عمراعى وسط آسيا.

وقد يكون للعوامل السياسية دخل في الهجرة. كما حدث في التاريخ الإنجليزي في عهد الإصلاح الدينى واضطهاد المذاهب المخالفة لمذهب الكنيسة الإنجليزية العليا. أو كما حصل بعد الحرب العظمى للروس الذين هالهم الانقلاب الاجتماعى الخيفى في وطنهم فتشتتوا في سائر دول أوروبا وأمريكا. وكهجرة البوير بجنوب إفريقيا حينما كان يطاردهم الرجل الأبيض حتى وصلوا إلى ترانسفال، وكهجرة اليابانيين في كورياتهم منشوريا أجمراً. وتشجع فرنسا الهجرة إلى ولايته السار حتى تحوز أغلبية تعتمد عليها ضد ألمانيا.

وللعوامل الدينية أثر فعال في الهجرة. فمثلاً قد أدى اضطهاد قريش للمسيحيين إلى الهجرة النبوية إلى المدينة. وكحروج اليهود من أرض المراعنة. وككثرة مهاجرين إلى أمريكا لكسب العيش أو بعبارة أخرى للاستثمار الاقتصادى. كهجرة الإغريق والسوريين واليهود. وبدفع الاستثمار الأمم منذ القدم إلى الهجرة واستيطان الجهات المعبوة على أمورها. كهجرة العرب إلى سائر البلاد التي دانت لهم وخضعت لسلطانهم. وكهجرة الأندلس إلى أستراليا وأمريكا الشمالية. ثم هجرة العنصر اللاتينى إلى أمريكا الجنوبية.

وللهجرات التدريجية التي تحصل في عشرات السنين أهمية كبرى. إذ يترتب عليها نتائج كثيرة. فمثلاً عندما كثرت الهجرة في القرن التاسع عشر إلى أمريكا قل عدد سكان ألمانيا في جهات الشرقية، وزح إلى تلك الجهات سكان جدد من السلاف بدلا من الألمان المهاجرين من أمريكا. ويسلك المهاجرون في زحفهم - سهل الطرق وأقصرها - كأودية الأنهار والسهول - وكمه إذا كانت تلك الأودية مزدهجة بالسكان كانت مقاومتها للمهاجرين عظيمة؛ أما الرعاة فانهم لا يهاجرون إلا إلى البلاد المجاورة والتي لا تموقعهم سوى عقبة في طريقهم إليها؛ وبذلك كانت الجبال والصحرات والغابات والصحارى توقف تيار هؤلاء الغزاة لأنهم ينتقون بأنعامهم كذلك وقفت ديارهم تسمى إلى وجه الهجرة والاستعمار في أواسط إفريقيا. لأن هذه الذبابة تقتل الحيوانات لأليفة التي لا يمكن للمهاجر الاستغناء عنها. كالأغنام والأبقار والخيل والجمال.

وتقف الجبال حجر عثرة في سبيل المهاجرين، إلا إذا وجدت بها منافذ. ويذكر تاريخ أن الرومان قد اخترقوا جبال الألب واستعمروا بلاد الغال، ومنها وصلوا إلى وسط أوروبا وألمانيا؛ وعن طريق هذه الجبال تمكن نابليون بجيشه من فتح إيطاليا. ومنى كانت سفوح الجبال تنحدر انحداراً تدريجياً، فانها تساعد المهاجرين على اختراقها؛ ولدت على الدول العظيمة تجتهد في جعل حدودها طبيعية بقدر الامكان. وكل من يعرف ماطته فرنسا في سبيل حدودها والبراع المستمر بينها وبين ألمانيا على منطقتي الألزاس ولسون. وهناك مثلاً في التاريخ القديم بينان لنا أهمية الحدود الطبيعية، فكل من الأمبراطورية

المصرية والرومانية جعلت لها حدوداً طبيعية حتى يمكنها صد الغزوات، فامتلك المصريون سوريا وجموعها حده الشرق. وما ضمت الدولة واستقلت سوريا تمكن الغزاة من أن ينزلوا مصر قواً جاً.

الخطر الأصفر :

وظهر في عالم الوجود في أواخر القرن الماضي ما يسمى بالخطر الأصفر ، و ما يسميه الانجليز « قانون السياسة البيضاء White Policy » ، وهي سياسة منع الأجناس الآسيوية من النزول في قارة استراليا . ولا سيما في الجهات الشمالية لكثيرة الخصب والاتاج ، والتي لما تستغل حتى الآن ، نظراً لأن جوها لا يوافق الجنس الأبيض . ويشدد الانجليز في هذا المنع . لأنه لو سمح للصينيين واليابانيين بالمهجرة إلى هناك . لتدفقت سيولهم حتى يأتي يوم يسيطرون فيه على الحكومة وجميع المرافق بحكم الأغلبية . وقد حذت الولايات المتحدة حذو استراليا ، فحرمت المهاجرة على العنصر الأصفر ، وشددت الخناق على من هاجروا منه من قديم الزمان ، ولا تسمح للفرد منهم أن يكون له عقار يطالب به . أو أن يكون له صوت في الانتخاب مهما طال مدة إقامته . وذلك لأنها رأت أن هذا العنصر لا يمكن أن يندمج ويصير أمريكياً ويترك عاداته الشرقية ، لدرجة أن اصفين النازلين بأمريكا يحتفظون بحث موثاق حتى ترسل في آخر كل عام لتدفن في أرض أبناء أسماء ! ! فضلاً عن أنه لو بقيت المهاجرة بلا قيد ولا شرط لكثير المهاجرون وبذلك ينحط مستوى المعيشة . خصوصاً إذا علمنا أن في استطاعة الصيني أن يعيش في اليوم بنصف شأن .

ويستدل على الهجرات بالعوامل التالية :

- ١ — اختلاف الجنس والسحنة لسكان دليل على أنهم ليسوا من عنصر واحد . وعلى أن عصرها . منها دحيل والآخر أصيل . ولا تتميل يمكننا مقارنة سكان مصر العليا بسكان السواحل والمناطق الشرقية حيث يكثر الاختلاط .
- ٢ — الأعمال والآثار والثقافة ، وكلها على جانب كبير من الأهمية ؛ فالثقافة الرومانية وثقافتها أفعال والتي تمتد تقودها حتى القرن العشرين ، كبر دليل على ما بلغه الرومان من سلطة وجاه ، بعد أن هاجروا من موطنهم وبدفقوا إلى مستعمراتهم .
- ٣ — يدل تبين العادات على تبين في الجنس . إذ كثيراً ما يحتفظ المهاجر بعاداته التي نشأ عليها في موطنه الأول . خصوصاً إذا كانت لديه اعتبارات دينية . كالمهاجرين من الصينيين والهنود واليهود .
- ٤ — كذلك يظهر أثر الهجرات في اللغات ؛ يشهد بذلك تأثير اللغة العربية بالفارسية إبان الفتوح الإسلامية . وأيضاً ما طرأ على اللهجات الأوربية الأولى من تغيير عندما انتشر تقود الرومان في أغلب أجزاء القارة الأوربية .

محمد أحمد سليمان حزين
خريج المعادين العليا

كلمة من عمه :

فرنســـــــــــــــــوا بونجــــــــــــــــان

المؤرخ الفرنسي الذي برافع عن الشرق
بقلم الأستاذ إيزاك موسى شמוש [حلب]

زُيد اليوم أن أعرفك بشخصية فذة . هي من الشخصيات البارزة في الأدب الفرنسي الحديث . وأريد قبل ذلك أن أعلمك بأنها أخذت بحال الشرق وسجره ، كما أخذ غيرها من أعلام الأدب في أوروبا . فأوقفت نفسها . بما أوتيت من بلاغة وبيان . للدفاع عن الشرق والشرقيين !

ويمز على كثيراً أن تكون بحاجة إلى من يعرفك بتلك العبقريّة اللامعة . وقد أقامت في القطر المصري بصع سنوات . وأقامت مثلها في القصر السوري الشقيق . دارسة باحثة . لتضع عنهما مؤلفات . يخلدها الزمان في ما حلد من الآثار والتصانيف . و يروك - كما يروفي - أن تسمعها تتحدث عن الشرق . واشرق العربي بهودة حاصه . فتنصت إلى ربيب « السير » يشيد بذكر « النيل » ويتغنى بـ « بردى » . فلا يبدى « النيل » ولا يعيد ، ولا يلبى « بردى » ولا يجيب ! ويريدون بعد ذلك أن تقرأ على أن في البلادين صحافة . وصحافة أدبية . تكره الأدب . وتحتق بأعلامه !

« فرانسوا بونجان » !

عرفته للمرة الأولى . يوم أصدر كتابه القيم عن « الأزهر » . فأسرعت إلى المكتاب لطلعه لاتمكن من قراءته ، قبل أن تطلع الصحافة المصرية بنقدها وتقريرها . فأتممته وانتظرت . ومن ثم عدته بلطف وشوق . وانتظرت ، وما لبثت تنتظر حتى اليوم وعرفته للمرة الثانية . يوم فاجأ المؤرخين والمفكرين . بمؤله الثمير عن « المنصور » . وأخذت على نفسي مراقبة الصحف العربية في مصر وغير مصر : لعل أعر في إحداها على كلمة تصف الكاتب ، فرت الأيام ، ثم مرت الشهور ، و « المنصور » على ما هو عليه من قيمة أدبية وتاريخية . لا يقوى على تحريك فم من تلك الأقلام الكفيفة ! وعرفته للمرة الثالثة . يوم استلقت الأنظار بكتابه عن « شيخ عبده المصري » فوثقت أن سينير هذا المؤلف حوله عاصفة من النقد ، تنجي عن تخليد اسم مؤلفه ، ورفعته إلى

صاف كتب الدرجة الأولى في الأدب الفرنسي الحديث .

ولكن كتاب "رض القراعنة" ، لبثوا صامتين ، كأهرامات الجيزة أو أبنى الهول !
ولكن دباب العالم العربي ، وجوا ، وتقلصوا ، ... وتلاشوا

* * *

إلا أن من هذا الأثر الجليل ، لا تمر به صحافة فرنسا الأدبية . دون أن تشغل حقولها .
تحدث عنه . وعن واضعه أساييغ وأساييغ . فلتعهد إلى نقادها بدرس « شيخ عبده المصري » ، ولتنشر عن هذه الأبحاث المقدمات الإضافية . ولتعلن القراء باطلاعهم على إحدى
مأس الأدب . ولتسابق الكتاب إلى ميدان النقد ، وليبد كل منهم الرأي الذي يكوّنه عن
هذه تحفة المادرة لنفسه وب نفسه . فسيروا له لم يث الوحيد ، في ما يظهره من إعجاب . ويعترف
به من تقدير

وتجميع الأندية الأدبية في باريس وغيرها . على أن « شيخ عبده المصري » مؤلف قم
حتى تحية الأعلام على ضفاف « الصين » أن يفجروا به وأن ينسجوا على منواله :

ولتتجاوز هذه الأصدا في جميع أنحاء فرنسا !

ولا تنسى أيام حتى تطلع علينا صحافة باريس الأدبية بنبا سطرته بأحرف بارزة . وفي
أولى صفحاتها : « شيخ عبده المصري » ينال جائزة « البعث » (La Renaissance) ، وهي
جدي حوائز الأدبية الكبرى . التي تمنح كل عام لأفضل كتاب أدبي يوضع باللغة الفرنسية :

جائزة البعث !

ومصر ؟

وسوريا ؟

والعراق ؟

وفلسطين ؟

والبلاد العربية ؟

... صدقت فيها سورة الكهف !!!

* * *

الغرب يكرم نصير الشرق ! والشرق عنه في غفلة !

عجيبة نصيفها إلى « قاعة » المعجائب . التي تطول وتطول . كل يوم . وكل ساعة !
ويُنَجَّرُ أحد بعد اليوم أن يزعم ، بأن في الشرق صحافة . وأن في الشرق كتاباً . وأن في
الشرق قراء !

وليتجراً أحد على ذكر الجميات الأدبية إلى نسمع عنها في الشرق . ولا نرى هذا متراً
عند اللزوم !

لندع ذلك جانباً ، فقد يكون مما يزعج « فرنسوا بونجان » أن يبصرنا نحرض الناس على
إصافه وتقديره . ونحن أحرص الناس على رضاه . ولنزهف أسماعنا إليه ، وهو يحدث عن
الشرق ، وعن رسالته :

— الشرق في يقظة روحية . لما تفتح كمامها بعد ! فأملوه !

واسمعه يصرح برأيه وتفكيره :

— إني أعتقد أن لشرق رسالة سامية . وأعتقد فوق ذلك أن رسالة الشرق خير من رسالة

لأهلها بالسعادة تبشر . وبالروح تهتدي !

وسيوذي الشرق رسالته : يوم « قلبت » أجنحته ، وليس هذا العهد بعيد !

وتكاد تحسبه . وهو يتحدث عن هذه الرسالة . رسولاً ينبئنا عما ستمحص به الأيام
بعد بضع سنوات ، فهو يحدد لك — على وجه التقريب — العهد الجديد . الذي ستمحصه الملائكة
العربية ، ويسر إليهم بأسماء الذين اعتمدتهم العناية الإلهية . ليقوموا بتأديته هذه الرسالة على
نحو الوحوش (وأكثرهم من أدبه القاهرة) .

وأذكر في التقيت به مرة . فتحدث إلى عن موقف حملة الأفلام في الشرق من تأليفه .

حديثاً مشبعاً بالحكمة والروية . فهو لا يأخذ عن أدباء العربية « جهودهم » نحوه . — يعتقد :

و أن لهم من المسائل الهامة ما يشغلهم عن معالجة كتب توضع بلغة أجنبية . ربما صفت عندهم

الاطلاع عليها !

ولا أكنتم أني لم أفهم حتى هذه الساعة . ما أراد أن يقول بهذه الجملة . وقد يكون

هذا « متبهماً » . وقد يكون قاطعاً عن سلامة نية . وصفاء قلب . ولكني ذكر أنه زعم بقوله

— نحن لا نكتب لهذا الحين إنما نكتب للأجيال المقبلة !

إيراك موسى شموش

[حلب]

من مخطوطات

المعرفة في تونس

تطلب « المعرفة » في تونس من المكتبة العامة لصاحبها ووكيلنا : السيد محمد أمين

والسيد طاهر ، بنهج الكتبية رقم ١٢ .

وتطلب أيضاً من مكتبة الاستقامة لصاحبها السيد محمد بن الحاج صالح النقيب .

المزارعون العارفون بالصناعات كلها !!

من مقال للكاتب الانكليزي المشهور

روبرت روبرتسون

وهو يترك في هذا معنى من «حرفة» عند المزارع الروديسي وهو يعترف من الحرف
والحرفة وفي هذا العدد نذكر - كما وعدنا - عن مزارع ، كتيار ، ومهندس ورجل وليس

من عديد الحرف التي يجب على المزارع الروديسي أن يكون عارفاً بها ، حرفة الصيد :
نيس صيد السمك . . . ولا صيد الفئران ، ولكننا صيد الأسود والقهود التي تتحول برؤسها
في الغابة ، غير المحدودة ، والتي تقوم بغزوات دورية على الماشية السارحة في المزرعة .
وأنا مثلاً . لم يكن جديداً على . . . بعد إذ أمضيت عاماً أو عامين كمرار في هذه الأقاليم .
أن يحى . إلى أحد الرئيسين الوطنيين في صبيحة شى يوم ، يخبرنى أن أسداً أو فهداً قد تناول
كلته من لحم البقر . . . كان حبر الغزوة يحمل إلى في الصباح الباكر . ولم يمض على فواقي
من النوم نصف ساعة . وبينما أكون جالساً أتناول الشاي . قبل أن أخرج في جولة التفتيش
حول المزرعة كلها . . .

فإذا ما دعيت لمعاينة ماشية قتلها أحد الوحوش . فانه يكون لازماً على أن تؤجر سائر
الاعمال الأخرى . حتى تقرر على رؤى في قتلها . وما تكاد الدعوة تصلنى حتى أسرع فأحد
بندقية وبعضاً من الرصاصات . وأقفز على دراجة . وأجرى قطعاً الطرقات الضيقة المنعرجة من
غابة حتى أصل إلى المنطقة المقصودة ، حيث يكون الرئيس الوطنى قد ترك أحد وكلائه ينتظر
ندوى . وأترك دراجتى عند هذه المنطقة ، وتحت إرشاد الوكيل الوطنى أسرع خلال الأشجار
إلى حيث الماشية الميتة التي تكون نصف مأكولة . . .

وقلما وجدنا القاتل في مكان الجريمة . . . ذلك لأن أسود وقهود هذه الأقاليم من عدتها
أن تسرع إلى مأويها النهارية ، ما إن تظهر خيوط الفجر الأولى . وعلى كل حال . فقد كنت
تقدم في حذر ، والبندقية في يدي على استعداد ، وذلك في حالة ما إذا كان القاتل في مكان
مجاور . . . ويمكن أن تصل إليه طلقات الرصاص .

والآن فهأنذا والدليل الوطني، قد وصلنا إلى حيث مكان الجناية التي حدثت في الليلة الماضية. في وسط دائرة من الأغصان المتكسرة والمملوطة بالدماء. وقد تأنت الحشائش من تحته. وجدنا بقايا القتيل... أما القاتل فقد قادر المنطقة كلها...

وانحنأ بأنظارنا إلى الأرض. عسانا نجد أثراً للقاتل تتبعه... ولكن من الصعب أن تجد مثل هذا الأثر وسط حشائش نامية عالية، وأوراق أشجار متساقطة، وأغصان متدلية حتى الأرض لتحتلظ بما عليها... فلم نعثر بعد التي واللتيا إلا على أثر ضئيل. هو بعض حشائش هدتها عدو الأسد المحصور، مما أثبت لنا أنه قد فر وانتهى الأمر... ولكننا اتبعنا هذا الأثر الباهت مسافة؛ وكنت قد عرفت بالتجربة أنه لم يعد هناك من أمل. في هذه المرة كما في المرات السابقة المشابهة، في توجيهه رصاصة إلى صدر هذا القاتل الأثيم؛ وكنت أعرف أن باستماعته أن يشعر بقدومنا، قبل أن تحين لنا فرصة رؤيته. فإني حتى يقفز قفزة القطع الصامتة في غمائي الغابة العميقة. ولقد ثبت هذا قطعاً بعد إذ تتبعنا الأثر أيضاً هذه المرة بدون جدوى. ومن هنا فقد أعطيت الكلمة بالعودة والانصراف عن مطاردة القاتل.

ووم يكن من عادة تلك الحيوانات المفترسة أن ترجع إلى حيث تركت الفريسة في مساء الليلة. نى تلى الافتراض، لكان من الصعب الأمور على المزارع الروديسي أن يقتل الأسود ونفوسه التي تقسلط على قطعانه؛ ولكن هذه العادة تسهل عليه العمل كثيراً. ثم كيف ينتقم من القاتل. فانه يكون باحدى طرق ثلاث:

الأولى - وهذه في الليلة التي تعقب الحادث - بأن يجلس المزارع بيندقيته في يده. على شجرة قريبة من مكان الحادث، ينتظر عودة هذا الخرم النابغة في الاحتفاء!!

الثانية - بنصب الشراك لصيده.

الثالثة - بتسميم الجثة بالأستركنين.

وما الطريقة الأولى فقلما تأتي بالنتيجة المطلوبة. نظراً لأن الرماية بالليل. مهما تكن مهرة الرامي. تكون متعبة وبغير جدوى. وخاصة لأن قاتل الماشية هو أكثر الحيوانات المتوحشة فضة وحذراً. وهو ما إن يشعر. ولو شعوراً سطحياً بسيطاً بوجود الصياد. حتى يقفز قفزاته الصامتة ويغادر المكان، قبل أن يكون الصياد قد أحس اقترابه.

ثم نعرفت أن الآخرين، فقيدتان كثيراً عن الطريقة الأولى. والطريقة الأخيرة لم تكن في الحق أمين إلى استعمالها؛ وطبعاً فكل هواة الصيد لا يميلون إلى استعمال السم في صيد الوحوش. ولكي كمزارع روديسي أحمى ماشيته، كنت استعمل هذه الطريقة. إذ أنها أضمن الطرق الثلاث للقبض على القاتل... بل للاقتصاص منه حالاً...

وبصبح الليلة التالية. يرور المزارع مكان الجريمة مرة أخرى؛ ففي بعض الأحيان

كنت أجسد القاتل ميتاً في نفس المكان : وفي بعض الأحيان لا يؤثر السم التأثير المطلوب . ومن حيث الشباك المسلحة فإنهم قد تجرح الوحش ولا تقتله في الحال . وهنا يأتي أخضر الأدوار في حياة المزارع . فإنه يصبح من الواجب عليه أن يطارد الوحش بكل الطرق الممكنة ليقتله . وما عرفت في حياتي عملاً ألد من مطاردة وحش كاسر مجروح هائج في وقت معاً ، إنى داخل الأحرار المرامية : ذلك أن الوحش ينتهز لفرصة الأولى . فيحتفى بأى غطاء من غصون الأشجار المتدلية وراقها . وهو في الأعم الأغلب يبقى محتبئاً حتى يصير الصيد منه على مبعده ياردات ، ثم تدور المعركة الوحشية . وصيد الوحوش في الحق يحتاج إلى أعصاب هادئة ، ومهارة في الرماية بسرعة . وفي الاتجاه لصائب . وقد حدث لي ما شخصياً أن صدت وحشاً اشتبك معي في قتال ، لم ينجنى منه إلا فوهة البندقية .

بوليس متطوع

وفي تلك الأقاليم الشاسعة لا يمكن إلا أن يكون رجال البوليس النظامي فيها قليلين . والمسافة بين درك كل واحد والآحر كبيرة أيضاً . ومن هنا فإن على المزارع الوردى أن يأخذ على عاتقه من الأعباء الكثيرة ، ما هو ملقى في الممالك المتقدمة على حماة القانون الرسميين . وليس هذا أمراً خارقاً للعادة : فالأزارع الوردى في منطقته يسمع بالجريمة التي تقع فيها وبحوارها . قبل أن يسمع بها رجال البوليس النظامي الذين هم على مبعده بعض من الأميال : وهو إذا هب للقبض بسرعة . فإنه يستطيع أن يقبض على الجاني ويسلمه للدرك ، قبل أن تساعد الظروف والحيل على النجاة : وعدم الوقوع تحت طائلة القانون . والمزارع في قيامه بدور رجل البوليس المتطوع ، يعاونه رجال القبيلة التي حدثت بها الجريمة .

وقليل من المزارعين يعنون بتقديم رؤوسهم ضحية . في سبيل القبض على مرتكب بعض الجنح الصغيرة . مثل القبض على الأهالي الفارين من دفع الضرائب . وما شابه ذلك . ولكن في حالة ما يكون الذنب سرقة أو قتلاً . فقليل هم الذين لا يقدمون رؤوسهم في سبيل القبض على الجاني المسمى ، وإرساله إلى أقرب نقطة بوليس تحت حراسة وطنيين مسلحين . وفي بعض الأحيان يتم القبض على المجرم بسهولة : ذلك لأنه يعجز عن الالتفات إلى كل ناحية يمكن أن يتقدم منها من يقبض عليه . وفي أحيان أخرى فإن عدم الاسراع ، أو الخطأ في التصرف السريع . يمكن الجاني من الفرار .

وفي ما يلي أسرد لك حادثين وقعوا في مزرعتي بالدات ، لأبين لك كيف تكون الدعوة لتجانية للقيام بدور رجل البوليس المتطوع :

حدثت جريمة قتل في إحدى القرى الوطنية النجاورة ، فعلى الرغم من أنها حدثت قبل أن أعرفها بلبلة فقط ، فإن كل العمال الوطنيين علموا بها عن طريق جهازهم التلغرافي المجيب

« تغراف الغابة » مباشرة؛ وبعد إيد أسدل الظلام سدوله جاء إلى منزلى أحد الرؤساء الوطنيين
عندى . وقال لى إن الجانى قد دخل فى حدود القرية . على أنه صانع أجير غير ثابت مقر العمل .
وبه حائد إلى منبته فى الحدود الانكليزية البرتغالية ، وإنه قد طلب منحة : ماء وطعاماً .
فاحتجزه الآخرون بحادثونه قليلاً فى انتظار وصولي . هناك كان واجباً على أن أذهب إليهم
فأقبض على الرجل . فوضعت سديساً فى جيبي كنوع من الاحتياط ، وأسهرت إلى حيث كان
الاهالى فى انتظارى .

وحدث الجانى جالساً إلى إحدى النيران المتقدة التى تدفئ ما بين الأكواخ . فكان دخولى
المفاجئ عليهم ، وتجمهر الاهالى على ، مدحاة له إلى اليأس والاعتقاد بأن الفرار قد أصبح
مراً مستحيلاً . ودفعت المجرم أمامى إلى أحد مخازن الأطعمة ، وأغلقت عليه الباب جيداً
حيث يقضى الليل ، ووضعت فى خارج المخزن قوة مسلحة وطنية .
وفى اليوم التالى عملت الترتيبات اللازمة لتسليم المجرم إلى أقرب نقطة بوليس ، وهى على
مبعدة خمسة وعشرين ميلاً . فأخذت اثنين من أشد رجال مزرعتى الوطنيين ، وجعلت منهما
حارسين ، سلاح أحدهما ببندقية قديمة ، وسلاح الآخر برمحين . وقد طلبا إلى بالحاح أن يوثق
المجرم جيداً قبل أن يخرج من المخزن ، معطين طلبهما بأنه قد يفر منهما فى الطريق ؛ ولكى
عارضتهما وأفهمتهما أنهما من ضخامة الجسم وعظم القوة ومتانة السلاح . بحيث يكون فى
استطاعتها منع أية محاولة منه للهرب .

وبعد يومين أو ثلاثة قابلت رئيس البوليس النظامى لهذه المنطقة . فأخبرنى بوصول المجرم .
وسهر أن الوطنيين لم يعملوا بأمري ! فأنهما بعد أن أصبحا فى مأمن من أن أراهما . أوقعا الرجل
وصبا إليه أن يضعهما طاعة عمياء ويسير كما يريدان . ووثقا يديه إلى ظهره . وأوثقا بوثاق
ثمين . وعند ما وصوا إلى المخفر كان المجرم فى حال يرتى لها . فقد شدت يده إلى ظهره
موتقتين . ولف الحبل على جسده لثماً جعله يبدل حضواته بصعوبة كبير . حتى كان الرأى إليه
يخاله تمثالاً مصرياً قديماً .

وحادثة أخرى فقد كانت هناك عدة سرقات تحدث فى القرى المجاورة . وكان طعم
والغنائبات وملاءات وغير ذلك من اللوازم المنزلية يسرق من الأكواخ الاهالى .
وحسب مرة أو مرتين . أن رؤى اللصوص فى الليل . وهم يطيرون بمسروقاتهم ولكنهم
م يكون حتى يختفوا عن الأنظار ويختفوا بين الأدغال والأحراش .

حتى ذات يوم جاء إلى أحد المواطنين - الذين يشتغلون بتربية الماشية في مزرعتي - بخبر هام وسار في وقت معاً . ذلك أنه في أثناء بحثه عن حيوان ضال بين سلسلة من التلال القائمة في إحدى زوايا المزرعة ، اكتشف مخبأ ، نعم المخبأ !! . وهو كهف قبيح عليه أمارات العمران .. فاعتقد على الفور أنه المخبأ الذي يختبئ فيه رجال عصابة اللصوص الذين روغوا الأمن في تلك الأيام . فخرجت مع هذا الوطني لأرى اكتشافه . فكان المكان غير معمور في تلك اللحظة . ولكن كان به كثير من العلامات التي تبين أنه مأهول من أمد طويل .

وعند غروب الشمس اقتربت من ذلك الكهف مرة أخرى . يصحني اثنان من حيرة مواطني الأشداء . فكان المكان ما يزال خالياً ، فأخفينا أنفسنا . قرب الكهف ، وبدأنا ننظر عودة اللصوص الذين لديهم فرص كثيرة تسنح لهم ليجوسوا في الليل خلال المزارع والطرق كما يريدون . وقد لاحظت مدخل الكهف مظلماً معتماً ، اللهم إلا ما ينبئ عنه من ضوء نجوم السماء الأفريقية المتلألئة في أغلب الأيام .

وسمنا صوت حجر يتدحرج من أعلى التل . وتبع ذلك صوت أغصان تفرق وتفصل عن بعضها البعض ، فاعتدنا في مجلسنا وأنصتنا ثم كان صخب آخر ثم ظهر شبحان على فم الكهف وقد انعكست بعض الأضواء القائمة على الحراب والبلط التي يحملان ، وكان معهما جبل وطني ربط فيه كبش حي . مأماً شاككياً في تلك اللحظة متألماً ، وكان الآخر يحمل حزمة من الفنائم المتنوعة .

وهنا أطفأت المصباح الخفي ، ودفعت البندقية إلى الأمام في وجهيهما . وصرخت في الوطنيين طالباً إليهما أن يهجا عليهما وقد كانت اللحظات القليلة التالية خطيرة جداً . فقد تناثرت الحزم . والحراف . وبلط القتال . في كل الاتجاهات . وهجمت علينا من فم الكهف شرادم عديدة من اللصوص . ومن ناحية المزرعة كثير من الوطنيين الراغبين القبض على من أزعجوا منهم . وبطريقة غريبة وسط هذا الزحام استطاع اللصان أن يفلتا مني . وبهرعا خائفين في ظلام دامس بين الأدغال . تشيمهما طلقات من بندقيتي لم تصبهما بحكم الظلام . وإنما كان يسمع صوت احتكاكها بأوراق الشجر . وفشلنا في القبض على العصابة . ولكن الأثر الذي أردنا . تحقق بشكل واضح . فقد بطلت السرفات ؛ إذ اعتقد اللصوص أن حيائهم أصبحت مهددة بالخطر .

صهرسي وبناء ١١

وعلاوة على كل تلك المهام المعقدة التي ألقى بها الطبيعة على عاتق المزارع الروديسي فهناك صناعات أخرى لا بد له أن يكون عارفاً ومهتماً بها ولو إلماً بسيطاً ، من أجل ألا تمتعض

الأعمال في مزرعته ، مع أنها بعيدة كل البعد عن وجبات المزارع العادي في الممالك برعية
المتقدمة . ففي الأقلم الذي تدور فيه كل الآلات الزراعية بواسطة الدوارين من لوصيين ،
لا بد أن يكثر حدوث كسر في هذه الآلات ؛ وعلاوة على الخسارة التي تلحق بصاحب
المزرعة من جراء ما سيدفعه في إصلاحها . فإنه لا يستطيع أن يرسلها إلى أقرب حداد حصاني
ليعالج الكسر . لأن ذلك معناه تعطيل العمل أسابيع ، علاوة على المصاريف الباهظة التي يصحب
فقد حالة ما تنكسر سكين محرات ، وهي هناك عبارة عن قضيب من الحديد سمكه وصتن
كاملتان ، فإن من الواجب على المزارع أن يصلحها بنفسه في الحال . وفي ورشته الخاصة بالمزرعة .
وليس محبواً بسيطاً ذلك الذي يبذله المزارع في هذه السبيل . نظراً لبسطة الآلات التي
يستخدمها في إصلاحها ؛ وهو في بعض الأحيان يضطر إلى صنع بعض الأجزاء من حديد . من
قطع قديمة يصادف أن تكون عنده .

وعلى المزارع أن يشرف بنفسه على صناعة الصوب في مزرعته . وأن يكون له ، مما يصرف
يصنع منها . ذلك لأن كل الطوب اللازم للمباني يعمل في داخل المزرعة ؛ وإذن فعليه أن
يكون ضراباً كما عليه أن يكون بناءً كذلك . ونرى وطني غير مدرب على البناء ، لا
لا يستطيع أن يبنى أكثر من كوخه الخشن القذر المصنوع من الخشيش وشجيرات الترك . كما
أن على المزارع أن يكون سباحاً ماهراً . وسمكرياً عارفاً بدق الطبقات وما يتبع ذلك . كل هذه
واجبات يتعرض لها المزارع الروديسي في كل يوم . ولكنك قد تسأل : كيف نحصل المزارع
على معلوماته في كل هذه المهن والصناعات ؟ والاجابة ميسورة في المثل القديم الذي يقول : إن
الحاجة أم الاختراع . فالمرء عندما يعيش بعيداً عن مساعدة كل الاحصائيين في شتى الحرف
والصناعات من حدادين وبنائين وماشاهم . فإنه لا يلبث أن يتعلم كيف يقوم بعمل هذه الاشياء
لنفسه . ويحصل على المعلومات التي لا يهتدى إليها من المزارعين الآخرين الذين يجاورونه .
وهو في بادئ الأمر يعمل غلطات كثيرة ولكنه بالمزاولة يأتي في النهاية بالتم .

وتسقط الأصواء في نوافذ البيت ما إن يصل إليه صاحبه ؛ وما إن يخط إلى الميراث حتى
يسرع خادم المطبخ فيقدم له ما يذهب عنه غناء النهار كله . ويسكن غروب الشمس
والآن فهذه ذى الأربع وعشرون ساعة التي للمزارع الروديسي قد وصفتها لك . ومثل
هذا اليوم هو عنده يوم عادي يسير على نظام عادي . . . ولو أنه يوم مرس بالاشياء التي لا يتغير
حصولها للرجل العادي ؛ وهو يعلم أن الغد سوف يحمل اليه تشكيلة أخرى من الحوادث . تشكيلة
يحمل حياة المزارع الروديسي الهادئة مستساغة بل تجعل فيها لذة أخرى وفيها متعة

[عن : مجلة المجلات الانكليزية]

٥- المعاني الأفلاطونية عند المعتزلة *

للاستاذ محمود الخضيرى

عضو بعثة الجامعة المصرية بباريس

عرف المسلمون أفلاطون منذ زمن مبكر . وذلك بواسطة رجال الدين المسيحيين الذين كانت الفلسفة الدائمة يسهم هي المذهب الأفلاطونى الحديث . وكان تأثير هؤلاء الشيوخ المسيحيين في الثقافة الإسلامية بالاتصال الشخصى والتعليم الشفوى ، ولا سيما في دور الخلفاء والولاة حيث تولى كثير منهم مناصب مختلفة في عهد الأمويين . وجاء بعد ذلك عصر الترجمة فنقل إلى العربية كثير من محاورات أفلاطون ورسائله ، وكذلك عدد لا بأس به من الكتب المنسوبة إليه . ثم إنهم عرفوه أيضاً بواسطة مؤلفات أرسطو التي تحتوي على شروح نقدية لآراء أفلاطون : وساعدتهم على فهم تلك الشروح كثير من التعليقات على أرسطو التي نقلت أيضاً إلى العربية ، وكان أكثر المعلقين من أنصار المذهب الأفلاطونى الحديث مثل سمبليسيوس Simplicius . ويجدر بنا أن نذكر من يرب أصحاب التعليقات على أفلاطون من اليوناني الذين نقلت مؤلفاتهم إلى العربية اسم ثيون Theon الأزمرى . الذي اشتهر بين المسلمين بكتابه عن المعلومات الرياضية الضرورية لفهم أفلاطون . (١)

ونحن نبدأ — في الكلام عن المصوّر الأولى التي عرف فيها المسلمون مذهب أفلاطون — بالوثائق الوضعية التي وصلت إلينا .

يرد اسم أفلاطون في أعمال الكندي (المتوفى سنة ٨٧٣ أو ٨٧٤ م) في مناسبات عدة تدل على معرفة الفيلسوف العربى بأعمال أفلاطون . قال في كتابه عن العقل والمعقول De intellecta et intellectu ما ترجمه عن النص اللاتينى : « فهمت ما تطلب إلى من أن أكتب إليك مقالا موجزاً عن العقل [والمعقول] على مذهب أفلاطون وأرسطو » (٢) وكذلك قال في كتابه عن الحلم والرؤيا Liber de Somno et Visione « وأمامنا في الحقيقة

(*) راجع « المعرفة » : أجزاء أغسطس وأكتوبر ونوفمبر وديسمبر سنة ١٩٣٣

(1) M. Steinschneider : Die arabischen Uebersetzungen aus dem Griechischen; Zwölftes Beiheft Zum Centralblatt für Bibliothekswesen, Leipzig 1893, § 8 « 32 »

« سنشير الى هذا المؤلف فيه بعد بقولنا . شتاينشneider . الترجمة العربية من اليوناني 17 16 S

[2] A. Wagy . Die philosophischen Abhandlungen des Jaqub ben Ishaq Al - Kind

و Baeumker : Beitrage zur Gesch. d Philos. d Mittelalters . Bd H , H t V.

وسنشير الى هذا الكتاب بقولنا : اجبى ، رسائل الكندي . ص ١ : 1897; Munster

مقاله أفلاطون اعظم فيلسوف الاغريق وما شرحه وحكاه فيلسوفه الأشهر أرسطو طاليس في مقالاته الطبيعية^(١) ويشرح الكندي في ما بين ذلك مع - ذكره لاسم أفلاطون - ريه حد أفلاطوني . وهذه خاتمة شرحه : « وإذن فالاحساسات والادراكات العقلية شيء واحد : إذ أنها من اختراعات النفس : وذن فهي جميعاً موجودة في النفس ؛ ومن حل هذا فحل أفلاطون إن النفس هي محل لجميع المعارف الحسية والعقلية »^(٢) ثم إن الكندي يقول أيضاً في رسالته في الأسماء الحسية^(٣) Liac de quelque في مقاله عن المكان ما ترجمته : « وآخرون قالوا ماهو المكان تبعاً لمقاله أفلاطون »^(٤)

وقد ذكر ابن النديم المتوفى سنة ٩٩٥ م كتاباً لـ كندي عنوانه « رسالة في الإجابة عن الأعداد التي ذكرها أفلاطون في كتاب السياسة »^(٥) كما ذكره أيضاً حمزة كتب عن سقراط^(٦) . وفي كل حال فإنه لم يفته أقرن التاسع للميلاد حتى كانت اللغة العربية تشتمل على تراجم للجمهورية (السياسة) والشرائع (النواميس) والسوفسطائي (سفسطس) وطيبوس وقد عرفه المدهون خير معرفة^(٧) . وكذلك عرفوا سائر ادوار أفلاطونية وبعض التملیقات عليها . وكثيراً من الأعمال المنسوبة إليه وهي ليست من تأليفه^(٨)

وبن نحن نعيد هذا مسبق لما تقريره من أثر التعليم الشدوي في تعريف المسلمين «المفكر الاغريقي . وإذن فليس من الحرم أن نقيم علم المسلمين بـ فلسفة اليونان وعمومهم بالتراجم العربية فقط . أو أن نؤرخ اتصالهم بتلك الثقافة وفق تاريخ المرحمين الرسميين الذين عاشوا جميعاً في ظل الدولة العباسية : ودأب لأننا نرحح ترجيحاً قوياً أن كثيراً من الكتب اليونانية قد نقل إلى العربية في عصر الأمويين بفضل علماء مصريين . ويؤيد ذلك ما جاء في تاريخ الطبري (المتوفى سنة ٧٨٦ م) بمناسبة عام ٦٥ من الهجرة (٦٨٣ م) إذ قل ما نقل

١ - الكتاب المذكور : ص ١٨

٢ - الكتاب المذكور ص ١٩ - ٢٠

٣ - الترجمة الخرمية لـ « كتاب الدولة الحسن » و « كتاب الخراج » المذكورين في تاريخ الطبري ص ١٩٠

٤ - تاريخ الطبري ص ٣٧ . وقد أضاف الاستاذ أليينو ناجي في مقدمته ص ٢٥ (من الترجمة الروماني) في هذه المناسبة (Timaeus) (طيباوس)

٥ - كتاب الطبري ص ٢٥٦ . وانظر أيضاً في تاريخ الطبري ص ١٩٠

القرن ٩ (٣٣) ص ١٨

٦ - كتاب الطبري ص ١٩٠

٧ - تاريخ الطبري ص ١٩٠

٨ - تاريخ الطبري ص ١٩٠ . وانظر أيضاً في تاريخ الطبري ص ١٩٠

« من أولاد يزيد بن معاوية - خالد بن يزيد - ويكنى أبا هاشم، وكان يقال إنه أصاب عمل الكيمياء »^(١) ومما يؤيد دعواها بالأصل الاغريقي لكيمياء خالد بن يزيد ما كتبه ابن النديم: « كان خالد . . . يسمى حكيم آل مروان » وكان فاضلاً في نفسه وله همة ومحبة للعلوم - حطرت بهالة الصنعة فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان يرسل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبلي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الاسلام من لغة إلى أخرى »^(٢) وقد ترك خالد بن يزيد المتوفى (٨٥ - ٧٠٠ م) ثلاث رسائل تدل على اتصاله بالفكر الاغريقي^(٣) وقد ظلت هذه الأقوال موضع شك كبير حتى جاء الأستاذ يوليوس روسكا J. Roska بحجة المعاصرين في تاريخ العلوم عند المسلمين - فأيدها بما اكتشفه من نصوص وكذلك بأبحاثه العميقة^(٤).

وإذن فليس القرن التاسع للميلاد هو مبدأ عصر الترجمة، وإنما هو قمة تلك الفترة المردهرة من تاريخ المسلمين حيث اجتهدوا فيها في طلب العلم باحثين عنه في كل مصادره، ولا سيما في الفلسفة اليونانية. أي إن انتيحية إلى زيد أن انتهى إليها هي أن المسلمين عرفوا الفلسفة في زمن سابق لترجمين لرسامين الذين عاشوا في ظل العباسيين وبقيت لنا آثارهم، وذلك عن طريقين: الأول طريق التعليم الشفوي - والثاني طريق الترجمة نفسها التي بدأت منذ أيام الأمويين، ولكن لم تصل إليها وثائق وضعية عن هذه المحاولات. وهذا ما يفسر عبثاً على معار فلسفية إغريقية وغير إغريقية عند شيوخ من المعتزلة عاشوا في القرن الثامن للميلاد. ومن المفيد أن نذكر في تلك المناسبة ما كتبه الشيرازي (المتوفى سنة ١٦٤٠ م) بعد أن شرح قول المعتزلة في أن المعدوم شيء ثابت. (وهذا ما سندرسه بالتفصيل في ما بعد) : قال [صاحب الاشراف في كتاب المطارحات] وهؤلاء قوم نبغوا في ملة الاسلام ومالوا إلى الأمور العقلية، وما كانت لهم أفكار سليمة، ولا حصل لهم ما حصص للصوفية من الأمور الدوقية، ووقع بأيديهم مما نقله جماعة في عهد بني أمية من كتب قوم أساميهم تشبه أسامي الفلاسفة، فقل القوم أن كل اسم يوناني فهو فيلسوف، فوجدوا فيها كلمات استحسوها وذهبوا إليها فرعوها رغبة في الفلسفة وانتشرت في الأرض وهم فرحون بها »^(٥).

وقد جرت العادة على أن لا يسمى المعتزلة « فلاسفة » أو « حكماء »، ويظهر أن السبب الذي منع المسلمين أن يطلقوا عليهم هذا اللقب هو أنهم لم يأخذوا بمجموع المعارف

١- تاريخ الطبري ج ٧ ص ١٦ طبعة بولاق

٢- المهرس - نسخة فليجل ص ٣١٢

٣- بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٦٧ Brockelmann, Gesch. D. arab. Litt

٤- راجع لوصف تلك الابحاث مجلة Der Islam المجلد الثامن عشر (سنة ١٩٢٥) ص ١٧٦ -

١٨. والأستاذ روسكا نفسه في المجلد عاشر ص ٢٩٣ - ٢٩٩

٥- تاريخ الشيرازي - كتب الاسفار الاربعية : مطبوع على الحجر في طهران سنة ١٢٨٢ هـ ص

١ في منتصفه، وانتشر هذه المرحلة لاشكر الأستاذ الفاضل لويس مستيويون تكملة على هذا الكتاب الاسر

الفلسفة اليونان ؛ ونحن لا نعرف منهم من كان طبيباً كسائر « الفلاسفة » الإسلاميين . وكذلك فإن معرفتهم بالعلم اليوناني مقصورة على جانبه النظري ، وغير منفصلة عن عم ما بعد الطبيعة ؛ مثال ذلك أقوالهم في الجوهر والمكان والزمان والحركة . ومع ذلك فإن المسلمين لم يغفلوا ما بينهم وبين الفلسفة من صلات وثيقة ؛ ومثال ذلك أن ثاب نواس الشاعر المشهور قال في معاصره النظام : « يأتنا تدل على ذلك ؛ وتكشف لنا في الوقت نفسه عن عدم اضمئنان الشاعر إلى تشدد المعتزلة في قولهم بالعدل . قال أبو نواس :

فقل لمن يدعى في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

لا تحظر العفو إن كنت امرأاً حرجاً فإن حظرك بالدين إزاراً^(١)

وكذلك قل الشهرستاني عند شرحه لمذهب واصل بن عطاء في الصفات الإلهية . وميله إلى نقيها : « وكانت هذه المقالة في بدئها غير نصيحة ، وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر ، وهو الاتفاق على استحالة وجود الإلهيين قديمين أوليين . ومن أثبت معنى وصفه قديمة فقد أثبت الإلهيين ، وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلسفة^(٢) . وكذلك نسب الأشعري مذهب المعتزلة في نفي الصفات إلى أصل فلسفي إذ قل : « وهذا قول نحذوه عن إخوانهم من المتفلسفة^(٣) » . كما ذهب إلى أن ثاب الهزيل العلاف تأثر في توحيدده للذات الإلهية بالصفات بقول أرسطو^(٤) . ثم إن الشهرستاني يقرر أيضاً أن النظام قد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وأنه خلط كلامهم بكلام المعتزلة^(٥) . وقد اعتاد الشهرستاني على العموم أن يردف شرحه لمذاهب أهل الاعتزال بما معناه أنهم أخذوا مقالاتهم عن الفلاسفة أو يقتصر على الإشارة إلى علاقة مذهبية بين الفلسفة والاعتزال . وكذلك قل النفسى (المتوفى سنة ١٣١٠ م) إن المعتزلة « توغلوا في علم الكلام وتشبهوا بأدب الفلاسفة في كثير من الأصول^(٦) » .

ويطول بنا المقام إذا أردنا الاكثار من شهادات المؤلفين الإسلاميين بالعلاقة بين الفلاسفة والمعتزلة ، فلنقتصر على ما أوردناه ، وسنشرح في المقال الآتي الأسباب التي تدعو هؤلاء إلى الميل نحو الفلسفة الأفلاطونية ؟

محمود الخضيرى

[باريس]

(١) في قطعة من كتاب الفهرست لا تنشر في طبعة دييج و شره . الأستاذ هونسم Houtsma في بحثه في معرفة الشرق Genlandes Wiener Zeitschrift Für die Kunde des Mor الجلد الرابع سنة ١٨٩٠ ص ٢٢٠

(٢) الملل والنحل ، طبعة خليفة ، ج ١ ص ٥٣

(٣) مقالات الإسلاميين ، ج ٢ ص ٤٨٣

(٤) نفس الكتاب ، ج ٢ ص ٤٨٥

(٥) الملل والنحل . ج ١ ص ٦٠ — ٦١

(٦) العقائد : طبعة استامبول ص ٨

مكتبة المعرفة

رسالة تاريخية

عن مستشفى الاسكندرية الأميرى

[وصمها الدكتور عبد الرحمن بك عمر فى ٨٤ صفحة: طبع مطبعة التعاون]

لبحث فى المسائل التاريخية ، يتطلب دقة فى الاستقراء ، وتعمقاً فى دراسة الصوم ، واستيعاباً طاهراً لمختلف ما يحتويه الوثائق والمؤلفات خاصة بالمسألة التى نصب المؤرخ لها نفسه ؛ لذلك كانت مهمة المؤرخ لحقق من أشق المهام ، وأكثرها تعرضاً للزلل والخطأ ، وبخاصة فى الموضوعات التى تعددت فيها الروايات ، واختلفت الأقاصيص ؛ فإذا وفق المؤرخ إلى كشف الحقائق البعيدة عن الزيف والتمويه ، ارتفع بعمله ذلك إلى درجة تميز على من رامها من الآخذين بالقشور دون اللباب .

لذلك كان تقديرنا بالغ الشأن لهذه الرسالة القيمة الجليلة التى وضعها حصرة الطبيب الذائع الصيت الدكتور عبد الرحمن بك عمر مدير مستشفى الاسكندرية الأميرى سابقاً ومدير المستشفيات العامة بمصلحة الصحة حالاً ، متولاً فيها ، بالدقة والتحليل والسر : تاريخ المستشفى وبناؤه ، وموقعه ، وبنيته ، ومديره ، وهووضه من الوجهة الفنية ، ومشاهير رجاله وغير ذلك مما يتصل إلى المستشفى بسبب ، بأسطاً إياه فى أسلوب رصير ، مؤيده بوثائق مدعمة ، وحجج لا تقبل جدلاً ولا شكاً ؛ ثم قفى ذلك كله بتوضيح ما تناوله بالرسوم ؛ فوضع صور مؤسسه ومديره والعاملين فى بناؤه ، وأولاد الملك فؤاد الأول ، الذى نهض فى عهده مستشفى الاسكندرية الأميرى ، حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ، الذى نهض فى عهده مستشفى الاسكندرية الأميرى ، ثمهته الأخيرة .

وقد دل حضرة المؤلف الفاضل بعمله هذا ، على ما تتجلى به نفسه من فصائل ، أقربها إليها فى هذه الرسالة التى بين يدينا ، فضليتان هما : إخلاصه للعلم ، وإخلاصه للعاملين عليه . وحبنا أن نقدم للقراء فقرة صغيرة من التصدير الذى صدر به المؤلف الفاضل رسالته ؛ ليعرف القارئ مقدار ما بذل فى هذا البحث الجليل من جهود .

قال المؤلف بعد أن عدد جملة ما لاقاه من صعوبات فنية : « وفوق ذلك وجدت صعوبات جملة فى الحصول على المعلومات التاريخية عن المستشفى ، وقدرت أن من يأتى بعدجيلنا الحاضر

ربما يهسه أن يعرف شيئاً عن حياته فلا يتيسر له ، فصممت على وضع هذه الرسالة بمناسبة مرور مائة عام على إنشائه ، وتوخيت أن أذكر فيها ما وصلت إليه من تاريخ بنائه ، وما صادفه من التدرج في رقيه ، من حيث مبانيه وإدارته وأعماله الفنية ، مع ذكر من وصلت إلينا أسماؤهم من رجاله السابقين ، واصفاً حالته الحاضرة بما كنت أتمنى أن أجده مسطوراً عن أدواره الأولى وكل ما أستطيع أن أدعيه أنني أخلصت في رسالتي إلى التاريخ »

فثنيت على همه حضرة المؤلف الجليل الدكتور عبد الرحمن بك عمر ، ونشكر له هذا الصنيع الجليل الذي أسداه إلى العلم وإلى الوطن ؛ راجين أن تكون هذه الباكورة الموفقة ، فاتحة لسلسلة من بحوثه الجليلة . كما ثنيت على القائمين بأمر مطبعة التعاون ، الذين لم يدخروا وسعاً في سبيل طبع الرسالة طبعاً جميلاً .

رسالة الناصر معروف

في الذب عن مجد التصوف

مؤلف هذه الرسالة الأستاذ الفاضل والعالم الجليل المعروف بتلقين الاسم الأعظم ، سيدي الحاج أحمد بن مصطفى العلوي المستغاني ، شيخ علماء الجزائر .

والرسالة التي بين أيدينا يدور محورها حول الدفاع عن مذاهب الصوفية ، وتقنين ماوجه إليهم من تهم وشبه ، وقد حاول المؤلف الفاضل - جهد الطاقة - أن يناقش آراء مخالفيه في أدب عال وخلق قويم ؛ كما أخذ بأيديهم - في رفق - إلى سبيل الحق وطريق الرشاد ، دون أن يزهي بما وفق إليه من حجج وبراهين أوردها لتأييد دعوى التصوف ؛ وقد كان موفقاً التوفيق كله ، في إيراد حججه التي أستلها من أقوال أعلام الدين وأئمة وشيوخه ، المشتغلين بعلوم الشريعة دون الحقيقة ، فلم يعتمد على أقوال شيوخ التصوف ، ومؤلفي كتبه ؛ كالغزالي والشاذلي مثلاً ، وإنما أثبت ما يريد من دفاع عن المتصوفة ، من أقوال : التفتازاني والأجهوري والبوني ومحمد عبده وفريد وجدي والسيد رشيد رضا وغيرهم .

ثم فند أقوال ابن الجوزي التي أوردها في كتابه « تلبيس إبليس » ، وقال : « إن للعلماء في ذلك الكتاب كثيراً من الأخذ والرد ؛ وفي الأخير اتضح عندهم أنه مما لا تنهض به الحجة ولا يصح به الاستدلال »

وقد تناولت الرسالة وجوها كثيرة من مختلف نواحي التصوف ؛ وانتهى فيها الأستاذ إلى وجوب الاعتقاد بأن التصوف لا ينبغي أن يختلف فيه المسلمون ، ما دام عبارة عن السير في مقام الاحسان الذي هو أحد أركان الدين .

وهما يكن لنا من رأى ، قد يخالف فضيلة الأستاذ المؤلف في بعض جزئيات المسألة ،

فأنا لا ننكر ما لرسائله الجليلة من قيمة وفضل في تبييد كثير من الشبهات .
نفع الله به الاسلام والمسلمين .

مجموعة المحاضرات

جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية

كنا ، إلى عهد قريب ، سيئ الظن ببقاء الجماعات والنوادي التي تنشأ للأغراض العلمية أو الأدبية أو ما شاكل ذلك ؛ لأننا لاحظنا باستمرار أن أكثر هذه الجماعات تؤلف لخدمة أشخاص معينين ، أو لتحقيق مآرب ذاتية ، على حساب المصلحة العامة تارة ، والجمهور الساذج تارة أخرى .

ولهذا كنا نرى باستمرار أيضاً ، أن تلك الجماعات ، ما تلبث الواحدة منها ظهوراً حتى يكشف أمرها ، فتعود إلى الرمس الذي بعث منه . وبقيننا أن كثيراً من هذه الجماعات سينقرض إن أجلاً أو عاجلاً ، بفضل نقطة المتفقين من شباب الأمة ، الذين يزدادون يوماً بعد يوم .
والآن وبين أيدينا مجموعة المحاضرات الأولى ، التي ألقيت بمعهد الثقافة بجماعة نشر الثقافة بالاسكندرية (من ٣١ أكتوبر إلى ٣٥ نوفمبر ١٩٣٢) ، نصرح - في صدق و يقين - أن هذه الجماعة قد بدأت تؤتي أطيب الثمرات ، وتؤدي بعض ما في أعناق القائمين بها من حق ودين للأمة التي أنجبته .

أولئك هم جماعة نشر الثقافة ، بارك الله فيهم ، وفي مجهوداتهم التي نشعرنا بما سيكون لهم من أثر جليل ، في ما يساهمون به من العمل - في دأب - على خدمة الثقافة الصحيحة ، بميدان عن الزهو والادعاء والفرو ، شأن بعض القائمين بجماعاتنا من عشاق الشهرة والظهور ، والحمد لله الذي لا يحمد على المكروه سواء .

وبعد فإني الجزء الذي بين أيدينا حافل بمختلف البحوث الأدبية والعلمية والتاريخية والطبية ، وما إلى ذلك مما قد نعرض له في فرصة أخرى .

ورجأؤنا إلى شباب الأمة ، أن يقدروا مجهود أولئك الأشبال ، الذين تقوم على أعناقهم « جماعة نشر الثقافة » ليشدوا من أزرها ويساهموا في ما أخذت نفسها بسبيله .

مطبعات الخفاف

مجلة الحديث : العدد الممتاز ١٩٣٣

أصدرت مجلة الحديث الغراء - التي تصدر بحلب ، لصاحبها الأديب الفاضل والصحفي تقدير الأستاذ سامي السكيالي - عدداً ممتازاً ، لمناسبة دخولها في عامها السابع .

« والحديث » مجلة غنية عن كل تعريف ، تحسبها أن تكون في طليعة المجلات العربية ، التي تخدم الثقافة الأدبية ، وتدعو إلى تحرير الفكر ، وتشجيع الأدب العالي الجديد ، دون الاسفاف إلى استنارة نفوس الجماهير ، واستهوائهم بالموضوعات التجارية ، كما تفعل بعض المجلات ، التي تجعل همها طه منحصرأ في الكسب المادي دون أى اعتبار آخر .
فلتسر « الحديث » على بركة الله ، وليهنأ صاحبها الفاضل بما وفق إليه من نجاح .

مجلة المناهج

وهذه أيضاً مجلة من أرقى المجلات في بلاد الشرق قاطبة ، تلك هي مجلة « المناهج » التي يصدرها في دمشق الشام ، زميلنا الفاضل والعالم الجليل الأستاذ محمد مأمون عبد الوهاب الأرزنجاني . وهي المجلة الوحيدة التي وقفها صاحبها الفاضل على خدمة المذاهب العلمية الروحية الخالصة . ويكفي القارئ أن يعرف أن من موضوعاتها : سر التكوين والناموس الأصلي للحياة ، ومناجاة الأرواح ، والتنويم المغناطيسى ، والسحر والشعوذة ... الخ — يعلم مقدار ما يبذل صاحبها الفاضل في خدمة الشرق والعربية من جهود .
ففتنى على همة الأستاذ الأرزنجاني ، ونرجو لمجلته دوام الديوع والانتشار ، لينهل من منهل العذب أبناء العربية والشرق في جميع الأقطار .

مجلة الارشاد

لسان حال أئمة المساجد والوعاظ

هذه مجلة ناشئة ، بين أيدينا العدد الثانى منها ، وهو وحده كاف على ما سيكون لها من أثر طيب في تهذيب النفوس الجامحة ، وخدمة الدين الخفيف خدمة منتجة .
ويقيننا أن هذه المجلة الفقية ، سيكون لها أثر في خدمة الاسلام ، إذا لم يستكتب حضرات القائمين بأمرها — في المستقبل — بعض مدعى العلم بالدين ، والذين هم أبعد الناس عن الدين فليحرصوا على أن يكون كتاب المجلة قدوة صالحة ، لتؤدي المجلة رسالتها في صدق ويقين .

مجلة الهراية

أهدانا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ كمال المغربي مفتى لواء صيدا سابقاً ، العدد الاول من مجلته « الهداية » ، صدر في بيروت بتاريخ ١٥ رمضان المبارك ، حافلاً بمختلف ضروب الأدب والثقافة ، وقد جعل صاحبها بدل الاشتراك فيها زهيداً جداً — على حد تعبيره — ليتسنى للجميع الاطلاع عليها . فنرجو للزميلة الرواج والديوع

دار الكتب المصرية

أنجزت دار الكتب المصرية طبع كتاب « ديوان نابغة بني شيبان » أحد خول شعراء الدولة الأموية ، وهو كسائر مطبوعات الدار في دقة التصحيح وجمال الطبع ، وثمن النسخة الواحدة منه ٤٠ ملياً للجمهور و ٣٠ ملياً لأصحاب المكاتب أو لمن يشتري منه عشر نسخ فأكثر . ويطلب من دار الكتب المصرية .

ونحن نلتهمز هذه الفرصة لنحيي حضرات رجال دار الكتب ، على ما يبذلونه من دقة وعناية في ما يخرجونه من عيون الكتب والمؤلفات .

اعتذار

لدينا مجلة كتب ورسائل ومجلات جديدة ، سنكتب عنها في الأعداد التالية إن شاء الله ، نظراً لضيق المجال الآن . ونلتهمز هذه الفرصة لنعتذر لحضرات القراء عن عدم نشر أبواب المجلة في هذا الجزء ، للسبب السابق .

انتظروا قريباً

رواية

مخاطبات الشباب

تأليف الأديب حسن رشاد

﴿ بمعهد التربية ﴾

منقحة ومصححة وبها مقدمة في فن القصة الحديثة بقلم صاحب « المعرفة »

تصدر في أول مارس سنة ١٩٣٣